يناير ٢٠١٦ / العدد ١٣

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

الإنسان في رسائل النور وجودا، ومهمة، وغاية:

- البعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم
- دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي
- نظام التربية في رسائل النور
- منهج وطريقة رسائل النور وغايتها

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 7, Number 13 (January 2016)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Annual Subscriptions (2 issues)

Turkey:	TL 20
Individuals outside Turkey:	US$ 15
Institutions outside Turkey:	US$ 30

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 13

النور
للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛ أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛ أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

يناير ٢٠١٦

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١– التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢– تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول ''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الثالث عشر ..... أ.د. عمار جيدل ٣

الدراسات والبحوث

- النورسي والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم ..... أ.د. عماد الدين خليل ٨
- دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي ..... أ.م.د. حسن خالد مصطفى محمود المفتي ٣٣

ملف العدد :

- دور رسائل النور في استعادة صياغة القرآن للإنسان ..... إحسان قاسم الصالحي ٦١
- الإنسان في رسائل النور وجودا، ومهمة، وغاية ..... أ.د. فاروق حمادة ٧٧
- مؤلّفات بديع الزمان أنموذجاً لتقديم الإسلام إلى الغرب ..... شكران واحدة ٩٥
- نظام التربية في رسائل النور ..... أ.د. آدم طاطلي ١١١
- منهج وطريقة رسائل النور وغايتها ..... أ.د. شَنَر دِلَك ١٢٩

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

- حوار مع الأستاذ فاروق رسول يحيى ١٦٥
- الإصدارات: قراءة في كتاب: منهج الاستنباط من القران الكريم عند سعيد النورسي في رسائل النور ١٧٥
- المؤتمرات والحلقات الدراسية:
  ١- ملتقيات ماليزيا وإندونيسيا ١٧٨
  ٢- ملتقيات أمريكا الجنوبية: في البرازيل والأرجنتين ١٧٩
  ٣- ندوة رسائل النور في أربيل ١٨٠
  ٤- الندوة العالمية الثالثة لمترجمي رسائل النور ١٨٢
  ٥- إعلان عن انعقاد المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي ١٨٩
- معلومات عن النشر في المجلة ١٩٢
- الإشتراك السنوي / Contents ١٩٣

• ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد الثالث عشر

أ.د. عمار جيدل

تطل عليكم مجلتكم ''النور للدراسات الحضارية والفكرية'' في عددها الجديد الذي نجتهد في جعله مفيدا، كيف لا نطمع في ذلك وقد أكرمنا الله بتزيين صفحاتها باستقبال مقالات جديدة لأعلام كنا ننتظرهم منذ أمد بعيد، كأنّ القائمين على المجلة لهم بهم سابق معرفة، ينتظرونهم، وقد صدق الحدس والتحقت بنا كوكبة اجتمعنا بهم روحيا ومعنويا على النهل من نبع واحد (رسائل النور) فتوحّدت بالنبع الواحد القبلة في المعرفة والمنهج والإنسان فردا وجماعة ومجتمعا وإنسانية، فبعثت القبلة الواحدة على التوحيد في كلّ شيء، فكان أن اخترنا بعضا من تلك التدليات الجمالية للتوحيد، فكان الجمال في الأسلوب مفتتح العدد، وقد جلاّه الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل في دراسته الراقية الموسومة بـ ''لنورسي والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم''، ونحا بنا الأستاذ المساعد الدكتور حسن خالد مصطفى محمود المفتي مسلكا متمما لبيان جمال الشريعة المنبثق من سماحتها، فاختار أن يكون عنوان دراسته ''دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي''.

آثرنا أن يكون ملف العدد متمحورا على الإنسان في ظل ظروف صارت التجارة بفكرة الإنسان مربحة ولكنها في الوقت نفسه مربكة، فكان اهتمامنا بالفكرة لأجل دفع التوظيف السلبي ورفع الإرباك، وفي هذا تكمن أهمية مسالك رسائل النور التربوية في الاستجابة لحاجات الإنسان المعنوية وبعثه على استجماع شروطها المادية، المؤسسة لجو داخلي لا إرباك فيه، فاستهلت الدراسات الملف بما كتبه مترجم رسائل النور إلى اللسان العربي الأستاذ إحسان قاسم الصالحي فكان'' دور رسائل النور في استعادة صياغة القرآن للإنسان'' عنوانا لمقالته، وفي السياق نفسه وتأكيدا للفكرة المركزية من البحث الآنف الذكر كتب الأستاذ الدكتور فاروق حمادة عن ''الإنسان في رسائل النور وجودا، ومهمة، وغاية''، والبحثان السابقان كأنّهما بمثابة مفاتيح رئيسة للتدليل على أنّ ما اختارته الأستاذة شكران واحدة (ماري ويلد) عنوانا لدراستها'' مؤلّفات بديع الزمان أنموذجاً لتقديم الإسلام إلى الغرب'' حقيق بالعناية والتثمين والقراءة الفاحصة المستوعبة، ودراسة الأستاذة شكران وإن كانت مبيّنة للمراد بما لا مزيد على بحثها، فإنّ التفاصيل تشرحها وتيسرها سائر الدراسات، أوّلها ما دبّجه يراع الأستاذ الدكتور آدم طاطلي في دراسته الماتعة بعنوان ''نظام التربية في رسائل النور''، وفي فلكها يفهم بحث الأستاذ الدكتور شَنَر دِلَك الموسوم بـ ''منهج وطريقة رسائل النور وغايتها''.

أجرينا في العدد حوارا ممتعا مع الأستاذ فاروق رسول يحيى تعرّفنا من خلاله على ما تحدثه رسائل النور في نفس المقبل عليها بإخلاص المثمر للشغف بها روحا ومعرفة وتمثّلا وأفقا واستشرافا.

وكما جرت العادة عرّفنا في الإصدارات بأواخر ما نشر من المصنفات التي لها صلة برسائل النور، فوقع الاختيار في العدد على كتاب ''منهج الاستنباط من القران الكريم عند سعيد النورسي في رسائل النور''، وقد صنفه: حيدر خليل اسماعيل، نشر الكتاب أثناء العام الحالي (٢٠١٥)، وهو في الأصل أطروحة المصنف التي تحصّل بها على شهادة الدكتوراه في علوم القرآن.

نقلنا بعدها جهود التعريف بمصنفات الأستاذ بديع الزمان النورسي، فبدأت رحلة التعريف بها بملتقيات ماليزيا وإندونيسيا، والتي تم خلالها عرض مجريات اللقاءات العلمية الجامعية في ماليزيا بالتعاون مع مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، والتي تمت يومي ٨-٢٠١٥/٩، ثم انتقل الوفد لأجل المهمة نفسها إلى جامعات إندونيسية.

وفي السياق نفسه قام وفد علمي رفيع من مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم بلقاءات بحثية ومباحثات علمية أكاديمية في أمريكا الجنوبية، كانت أولاها في البرازيل، وذلك خلال الفترة الممتدة من ٠٤-٢٠١٥/١١/٠٥، انتقل للقصد نفسه الوفد بتاريخ ٢٠١٥/١١/٠٧ إلى الأرجنتين، حيث نظّم لقاءات علمية رفيعة المستوى شارك فيها الأستاذ كولومبو مترجم صحيح البخاري إلى اللغة الإسبانية، وكذلك مع الأستاذ غوستاف الأستاذ في جامعة Tres de Febrero المعروفة في بوينس أيرس.

عرفنا بالمؤتمرات والندوات العلمية التي عرفتها المؤسسة في نشاطاتها، وأهمها الندوة العالمية الثالثة لمترجمي رسائل النور

عقدت في إسطنبول أيام ٧-٢٠١٥/١١/٩ في مجمّع مركز البحوث العلمية في أسكدار، إسطنبول ودامت الندوة ثلاثة أيام متوالية. تذاكر فيها المترجمون والمهتمون الصعوبات بالدراسة والتحليل، وعرض خلالها الأستاذ فاروق رسول يحي دراسة قيّمة عنوانها: الترجَمَةُ الجيّدة -معالم وخطوط أساسية -.

وزيادة إلى ما سلف عرضنا للندوات التي عقدت في إربيل العراق معرفة برسائل النور، والتي كان لها شرف استضافة أكادميين من تركيا والعراق، وبحضور وجهاء من المجتمع، تناولت الحلقة الدراسية بعرض وتحليل نور النبوة في رسائل النور، وكان ذلك ليوم كامل ١/ربيع الأول/١٤٣٧هجرية الموافق ليوم ٢٠١٥/١٢/١٢ميلادية.

* * *

الدراسات والبحوث

النورسي والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم

–ABSTRACT–

Nursi and the Aesthetic Dimensions of the Qur'an's Literary Styles

Prof. Dr. 'Imaduddin Khalil

Types of miraculousness found in the Qur'an such as its eloquence, rhetoric, linguistic and artistic style; contain their own unique aesthetic style. Many scholars and researchers have dedicated a lot of studies around them. Nevertheless, they still need more attention because they address a book that is not in similitude to other books. Namely, it is the book of God that is inexhaustible and its wonders do not come to an end. It is the book that has always remained young, vital and new just like the first time it was revealed. It is the book which the Quraish infidels could not counter with any chapter or verse of its kind. Moreover, neither humans nor jinn have ever been able to come up with its similitude even if they gathered for that aim because it is the miraculous book revealed from God Almighty.

The rhetoric miracle of the Qura'n includes multiple and diverse elements, including meaning. The Holy Scripture of Qur'an possesses deep meanings on which prudent and clever minds would bewildered. In addition to deep meanings, the Qur'an possesses a distinguished style. Its style is unique and brilliant as well as marvelous and persuasive. No one has ever been able to imitate it neither will anyone ever be able to. The Quran is also superior in its wording as it is exceptional in terms of style and account. Its wording is eloquent and smooth. Its reader would never feel bored or unsatisfied. Many linguistics and scholars of eloquence testify to this fact. Moreover, it is distinguished by its pure declaration as the highest state of oratory. Nursi refers to the fact that man made laws and legislation get old, shift and change. On the contrary, the provisions of the Qur'an and its laws gain more fortitude and firmness so that they become more durable as time passes by.

Nursi believes that such profound methods in the Qur'an constitute two types of discourse. The first type targets polytheists in Mecca. They were illiterate and did not have a book. Thus, the verses revealed in Mecca dealt with the issue of faith and unity of God. The style which is used to

address these important issues is supreme, brief and miraculous. The second type of rhetoric in the Qur'an addressed Jews and Christians who were the people of the book. They believed in God and revered His books. Thus, the verses and their style came in accordance with their state of faith. The style was easy, smooth and clear. That is why verses revealed in Medinah are usually adopting this easy and direct manner.

Key words: Risale-i Nur, Quran, Aesthetics, Rhetoric, Eloquence

– ملخص البحث –

أ.د. عماد الدين خليل[1]

تنطوي أصناف الإعجاز في القرآن الكريم ومنها البلاغي أو البياني أو الأدبي أو اللغوي أو الفني على جمالياته الخاصة، وقد تناولها علماء أجلة وكَتب فيها الباحثون الكثير من الدراسات، ومع ذلك فهي لازالت في حاجة إلى المزيد لأنها تتطرق لكتاب يختلف عن سائر الكتب، ألا وهو كتاب الله الذي لا ينضب ولا تنقضي عجائبه، والذي حافظ وما يزال يحافظ على طراوته وشبابيته وغرابته مثلما نزل أول مرة، ورغم ذلك لم يستطع كفار قريش أن يأتوا بمثله ولا بسورة مثله ولا بآية مثله، بل يعجز الجن والإنس على الإتيان بمثله ولو اجتمعوا له، ولن يستطيعوا أن يأتوا بأقل من ذلك، لأنه الكتاب المعجز الذي أنزل من عند الله عز وجل.

ويتضمن الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عناصر متعددة ومتنوعة، منها المعنى، فالكتاب الكريم يتحلى بمعاني عميقة ودقيقة يحار فيها العقل المتدبر والمتفكر، وكذلك نجد عنصر الأسلوب الذي يتميز به كتاب الله عز وجل، إنه غريب وبديع، كما هو عجيب ومقنع، لم يقلد أحدا قط ولا يستطيع أحد أن يقلده. وكذلك عنصر اللفظ، فالقرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه، والدليل على ذلك هو عدم إيراثه السأم والملل، كما يشهد علماء البيان والمعاني على ذلك، بالإضافة إلى عنصر البيان من حيث كونه أعلى مرتبة من مراتب الخطاب... ويشير الأستاذ إلى أن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم، وتتغير وتتبدل، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور.

يرى النورسي أن هذه الأساليب العميقة في القرآن الكريم تشكل نوعين من الخطاب يستهدف المعارضين في مكة وهم مشركو قريش وهم أميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة أسلوبا عاليا قويا، لذا بحثت أغلب السور المكية أركان الإيمان

ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو وبإيجاز في غاية الإعجاز، فأثبتت أركان الإيمان إثباتا جعل علماء البلاغة يقفون حيارى مبهوتين أمام هذا الأسلوب المعجز. والنوع الثاني كان من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لهم مطابقا لواقع حالهم، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس، لذا فغالبا ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم.

تمهيد

الإعجاز البلاغي أو البياني أو الأدبي أو اللغوي أو الفني في القرآن الكريم ينطوي -كما هو معلوم- على جمالياته الخاصة. وقد كتب في ذلك الكثير، منذ فجر الدراسات القرآنية وحتى اللحظات الراهنة. وهو -مع ذلك- يتطلب المزيد بالنسبة لكتاب ليس كالكتب وظاهرة جمالية فريدة لا تنقضي عجائبها.

النورسي أدلى بدلوه هو الآخر، وكان هذا منطقي تماما بالنسبة لرجل تدفقت رسائله المائة والثلاثون من نبع كتاب الله المترع عذوبة وسخاء، ونسجت كلماتها على هديه.

وهو منطقي -مرة أخرى- لأن خلفيات الفكر النورسي تنبض بعشق الجمال، وتراه انعكاسا مدهشا للإبداع الإلهي في الكون.

وهو -أي النورسي- في وقفيته إزاء كتابي الكون المنظور والمقروء كان يولي اهتماما ملحوظا ومؤكدا لمتابعة الملامع والتشكيلات والقيم والمفردات الفنية والجمالية هنا وهناك. إنه مهندس معماري من طراز أول وإن المرء ليلمس وهو يجتاز رسائله كافة كيف أن رؤيته للعالم والأشياء والكلمات هو رؤية مهندس يلمح ببصيرة ثاقبة وخبرة عميقة عناصر التوازن والتناظر في معمار الكون الكبير والكلمة المعبرة.

وإذا كنا في بحوث أخرى قد تابعنا مرئيات النورسي الجمالية وهو يتعامل مع الكلمات، والكون والعالم،[2] فإننا سنحاول هنا أن نؤشر على بعض ما أراد الرجل أن يقوله بخصوص كتاب الله.

ابتداءاً، نلحظ كيف أن النورسي تحرك وهو يتعامل مع النص القرآني ومعطياته الجمالية على خطين متوازيين، أو طبقتين تقوم إحداهما على الأخرى. فأما في

أولاهما فقد عرض لجملة من الاستنتاجات ''التنظيرية'' -إذا صح التعبير- بخصوص ما سماه قدماؤنا ''البلاغة القرآنية''، وما يسميه المعاصرون القيم الفنية أو الجمالية.

وأما في الثانية فقد نفذ محاولة تطبيقية من خلال تفسيره لعدد من صور القرآن أو مقاطعه أو آياته.

وبمقدور المرء ان يتابع السياق الثاني في كتابات النورسي كلها، وفي كتابي ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز''[3] و''المثنوي العربي النوري''[4] بوجه الخصوص.

والذي يهمنا هنا هو ما أسميناه بالتنظيرات، والتي تنتشر هو الأخرى في رسائله كافة ولكنها تتمركز بالدرجة الأولى في ''الكلمات''[5] حيث يخصص ١٢٠ صفحة لتقديم مرئياته عن الموضوع.

عالج النورسي جل المسائل والقيم الفنية والجمالية التي عني بها القدماء والمحدثون في دراساتهم البلاغية والأدبية والفنية واللغوية لكتاب الله، بدءاً من الجاحظ والزمخشري والسكاكي والجرجاني وصولا إلى الخولي وسيد قطب وبنت الشاطئ وعشرات بل مئات غير هؤلاء وهؤلاء... وهو لم يكد يترك واحدة من هذه القيم الفنية دون أن يقف عندها متأملا، مدققا، مستدعيا الشاهد الذي يؤكدها.

ومتابعة للموضوع يمكن أن يضع المرء يديه على المسائل التالية التي عالجها النورسي مستعينا بحساسيته المرهفة التي كانت تعينه على وضع يده على مظان الجمال في كتاب الله:

١- القيم أو المعطيات البلاغية.

٢- ظاهرة التكرار.

٣- عناصر الخطاب القرآني وطبقات المخاطبين.

١. القيم أو المعطيات البلاغية

ينطلق النورسي في تعامله مع ''البلاغة'' القرآنية، وإعجازها، من الخصائص التي أكدها القدماء والمحدثون: جزالة النظم وحسن متانته، وبداعة الأسلوب وغرابته وجودته، وبراعة البيان وتفوقه وصفوته، وقوة المعاني وصدقها، وفصاحة الألفاظ وسلاستها.[6] مؤكدا أن ''البيئة'' التي تنزل فيها القرآن كانت في أشد حالات فصاحتها الفطرية وبلاغتها المطبوعة تألقا وتمكنا.

لقد عوض العرب بغياب التدوين ذاكرة حادة، وسلامة في الأداء الشفاهي جعلتها

يتعاملون مع ''الكلمة'' في سويتها التي لا يشوبها دخل. ولقد عبر شعرهم، ومعلقاتهم السبع التي وضعت على جدار الكعبة، عن المستوى ''البلاغي'' العالي الذي بلغوه. فلما تحداهم القرآن ''لن يأتوا بمثله''، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، وعجزوا عن الاستجابة، كان هذا بحد ذاته تأكيدا لمعجزة القرآن.[7]

كان هناك -كما يقول النورسي- دافعان في غاية القوة لمعارضة القرآن والإتيان بمثله. أولهما حرص الأعداء على معارضة كهذه، وثانيهما شغف الأصدقاء بتقليده. والنتيجة: لا شيء. وأصبحت محاولة كمحاولة مسيلمة الكذاب، رغم أنه من أصحاب البلاغة، مثلا يتندر به المتندرون وصورة من صور الهذيان الذي لا يستحق الالتفات.

بعدها يبدأ النورسي بتحليل عناصر الإعجاز البلاغي الخمسة فيبدأ بالنظم هذا الذي وقف عنده طويلا في كتابه المعروف ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز''. ويضرب لذلك مثلا: عقارب الساعة العادة للثواني والدقائق والسعات والتي يكمل كل منها نظام الآخر ''كذلك النظم في هيئات كل جملة من جمل القرآن، والنظام الذي في كلماته والانتظام الذي في مناسبة الجمال كل تجاه الآخر''.[8]

إن النورسي يوظف هنا بعض معطيات ما يسميه المحدثون بنظرية النظم التي بلغت على يد عبد القاهر الجرجاني أقصى حالات اكتمالها في كتابيه المعروفين ''أسرار البلاغة'' و''دلائل الإعجاز''... متابعة الارتباط أو العالقات الداخلية -إذا صح التعبير- في نسيج النص القرآني بين الكلمات والجمل والتعابير والأنساق، فيما عده البعض جهدا بنيويا بشكل من الأشكال.

وفي تفسيره لسورة البقرة في ''إشارات الإعجاز'' نفذ النورسي محاولة تطبيقية لنظرية النظم هذه في بعض جوانبها، ولكنه في ''الكلمات''[9] يكتفي بشواهد محددة فحسب حيث لا يتسع المجال للاستفاضة. ومن هذه الشواهد تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾الأنبياء:٤٦ حيث يقول: ''هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول: فلفظ 'لئن' هو للتشكيك، والشك يوحي القلة. ولفظ 'مس' هو إصابة قليلة يفيد القلة أيضا. ولفظ 'نفحة' مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي -مصدر المرة- فيفيد القلة. وتنوين التنكير في 'نفحة' هي لتقليلها، بمعنى أنها شيء صغير إلى حد لا يعلم فينكر. ولفظ ''من'' هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة. ولفظ 'عذاب' هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال

والعقاب، فيشير إلى القلة. ولفظ 'ربك' بدلا من: القهار، الجبار، المنتقم، فيفيد القلة أيضاً وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الجملة أنه: إذا كان العذاب شديدا ومؤثرا مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكل يمد المقصد لجهته الخاصة''.[10]

ولا ينسى النورسي أن يشير إلى الأسباب التي قد تخل في الحالات الاعتيادية بقدرة الخطاب على الاحتفاظ بسلامة ''نظمه'' من الخلل والاضطراب. أما في كتاب الله فإن الإعجاز القرآني يعرف كيف يتمثلها ويطويها.

فهناك ما يقارب تسعة أسباب ''إذ إن القرآن المبين نزل في ثلاث وعشرين سنة نجما نجما لمواقع الحاجات نزولا متفرقا متقطعا، مع أنه يظهر من التلاؤم الكامل كأنه نزل دفعة واحدة. وأيضا أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة لأسباب نزول مختلفة متباينة، مع أنه يظهر من التساند التام كأنه نزل لسبب واحد. وأيضا أنه جاء جوابا لأسئلة مكررة متفاوتة، مع أنه يظهر من الامتزاج التام والاتحاد الكامل كأنه جواب عن سؤال واحد. وأيضا أنه جاء بيانا لأحكام حوادث متعددة متغايرة، مع أنه يبين من الانتظام الكامل كأنه بيان لحادثة واحدة. وأيضا أنه نزل متضمنا لتنزلات كلامية إلهية في أساليب تناسب أفهام مخاطبين لا يحصرون، ومن حالات من التلقي متخالفة متنوعة، مع أنه يبين من السلاسة اللطيفة والتماثل الجميل كأن الحالة واحدة والفهم واحد، حتى تجري السلاسة كالماء السلسبيل، وأيضا أنه جاء مكلما متوجها إلى أصناف متعددة متباعدة من المخاطبين، مع أنه يظهر من سهولة البيان وجزالة النظام ووضوح الأفهام كأن المخاطبين صنف واحد بحيث يظن كل صنف أنه المخاطب وحده بالأصالة. وأيضا أنه نزل هاديا وموصلا إلى غايات إرشادية متدرجة متفاوتة، مع أنه يبين من الاستقامة الكاملة والموازنة الدقيقة والانتظام الجميل كان المقصد واحد. فهذه الأسباب مع أنها أسباب للتشويش واختلال المعنى والمبنى إلا أنه استخدمت في إظهار إعجاز بيان القرآن وسلاسته وتناسبه...''[11]

المعنى هو العنصر الآخر في الإعجاز البلاغي للقرآن..

تصور نفسك -يقول النورسي- ''قبل مجيء نور القرآن، في ذلك العصر الجاهلي، وفي صحراء البداوة والجهل، فبينما تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولف بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد بصدى قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾الحديد:١ أو ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾الإسراء:٤٤ قد دبت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة بصدى 'سبح'

و'تسبح' في أذهان السامعين فتنهض مسبحة ذاكرة لله. وأن وجه السماء المظلمة التي تستعر فيها نجوم جامدة، والأرض التي تدب فيها مخلوقات عاجزة، تتحول في نظر السامعين بصدى 'تسبح' وبنوره إلى فم ذاكر لله، كل نجم يشع نور الحقيقة ويبث حكمة حكيمة بالغة. ويتحول وجه الأرض بذلك الصدى السماوي ونوره إلى رأس عظيم، والبر والبحر لسانين يلهجان بالتسبيح والتقديس وجميع النباتات والحيوانات كلمات ذاكرة مسبحة حتى لكأن الأرض كلها تنبض بالحياة''.[12]

إن معاني القرآن كلها، بفضاءاتها الفسيحة، يقدمها الخطاب القرآني للناس في كل زمان ومكان بأسلوبياته المتميزة التي هي وحدها كفاء لمضامين هذا الخطاب.

وهذا ينقلنا إلى العنصر الثالث في الإعجاز البلاغي لكتاب الله: الأسلوب.. إنه غريب وبديع، كما هو عجيب ومقنع ''لم يقلد أحدا قط ولا يستطيع أحد أن يقلده. ولقد حافظ وما يزال يحافظ على طراوته وشبابيته وغرابته مثلما نزل أول مرة''.[13]

وكعادته يضرب النورسي على ذلك الأمثال: ''إن سورة النبأ: 'عم يتساءلون...' إذا أنعم النظر فيها فإنه تصف وتثبت أحوال الإرادة والحشر والجنة وجهنم بأسلوب بديع يطمئن القلب ويقنعه، حيث تبين أن ما في هذه الدنيا من أفعال إلهية وآثار ربانية متوجهة إلى كل من تلك الأحوال الأخروية. ولما كان إيضاح أسلوب السورة كلها يطول علينا، فسنشير إلى نقطة أو نقطتين منه:

''تقول السورة في مستهلها إثباتا ليوم القيامة: لقد جعلنا الأرض لكم مهدا قد بسط بسطا جميلا زاهيا، والجبال أعمدة وأوتادا مليئة بالخزائن لمساكنكم وحياتكم، وخلقناكم أزواجا تتحابون فيما بينكم ويأنس بعضكم ببعض. وجعلنا الليل ساترا لكم لتخلدوا إلى الراحة، والنهار ميدانا لمعيشتكم، والشمس مصباحا مضيئا ومدفئا لكم. وأنزلنا من السحب لكم ماء باعثا على الحياة يجري مجرى العيون. وننشئ بسهولة من ماء بسيط أشياء شتى من مزهر ومثمر يحمل أرزاقكم. فإذا يوم الفصل -وهو يوم القيامة- ينتظركم. وإن إتيانه ليس بعسير علينا.

''وبعد ذلك يشير إشارة خفية إلى إثبات ما يحدث في يوم القيامة من سير الجبال وتناثرها، وتشقق السماوات وتهيؤ جهنم، ومنح الجنة أهلها الرياض الجميلة. وكأنه يقول: إن الذي يفعل هذه الأفعال في الجبال والأرض بمرأى منكم سيفعل مثلها في الآخرة. أي إن ما في بداية السورة من جبال تشير إلى أحوال الجبال يوم القيامة وإن الحدائق التي في صدر السورة تشير إلى رياض الجنة في الآخرة. فقس سائر النقاط على هذا لتشاهد علو الأسلوب ومدى لطافته''.[14]

وفي مكان آخر يقف النورسي طويلا عند إحدى الخصائص الأسلوبية للقرآن،

تلك هي ''جامعيته'' المثيرة للدهشة ''حتى إن سورة واحدة تتضمن بحر القرآن العظيم الذي ضم الكون بين جوانحه وإن آية واحدة تضم خزينة تلك السورة. وإن أكثر الآيات - كل منها- كسورة صغيرة، وأكثر السور -كل منها- كقرآن صغير. فمن هذا الإيجاز المعجز ينشأ لطف عظيم للإرشاد وتسهيل واسع جميل. لأن كل إنسان على الرغم من حاجته إلى تلاوة القرآن كل وقت فإنه قد لا يتاح له تلاوته.. فلكي لا يحرم أحد من القرآن فإن كل سورة في حكم قرآن صغير. بل كل آية طويلة في مقام سورة قصيرة، حتى إن أهل الكشف متفقون أن القرآن في الفاتحة والفاتحة في البسملة. أما البرهان على هذا فهو إجماع اهل التحقيق العلماء''.[15]

أما العنصر الرابع فهو ''اللفظ'': ''نعم، إن القرآن كما هو بليغ خارق من حيث أسلوبه وبيان معناه، فهو فصيح في غاية السلاسة في لفظه، والدليل القاطع على فصاحته هو عدم إيراثه السأم والملل، كما أن شهادة علماء البيان والمعاني برهان باهر على حكمة فصاحته''.

ويمضي النورسي إلى القول بأنه ''لو كرر ألوف المرات فإنه لا يورث سأما ولا مللاً. بل يزيد لذة وحلاوة. ثم إنه لا يثقل على ذهن صبي بسيط فيستطيع حفظه، ولا تسأم منه أذن المصاب بداء عضال الذي يتأذى بأدنى كلام بل يتلذذ به وكأنه الشراب العذب''.[16]

ويبحث النورسي عن الأسباب وراء تألق اللفظ القرآني ويقول: ''إن القرآن قوت وغذاء للقلوب، وقوة وغذاء للعقول، وماء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يمل.. إنه حق وحقيقة وصدق وهدى''.[17] ويضرب على ذلك مثلا آية واحدة من سورة آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. آل عمران:١٥٤

''لقد جمعت هذه الآية جميع حروف الهجاء وأجناس الحروف الثقيلة، ومع ذلك لم يفقدها هذا الجمع سلاستها بل زادها بهاءً إلى جمالها، ومزج نغمة من الفصاحة نبعت من أوتار متناسبة متنوعة''.

''فأنعم النظر في هذه اللمعة ذات الإعجاز وهي: أن الألف والياء لأنهما أخف

حروف الهجاء، وتنقلب احداهما بالأخرى كأنهما اختان تكرر كل منهما احدى وعشرين مرة، وان الميم والنون -والتنوين أيضاً نون- لأنهما أختان، ويمكن أن تحل إحداهما محل الأخرى، فقد ذكر كل منهما ثلاثا وثلاثين مرة. وأن الصاد والسين والشين، متآخية حسب المخرج والصفة والصوت فذكر كل واحد منها ثلاث مرات. وأن العين والغين متآخيتان فذكر العين ست مرات لخفتها بينما الغين لثقلها ذكرت ثلاث مرات أي نصفه. وأن الطاء والظاء والذال والزاي متآخية حسب المخرج والصفة والصوت، فذكر كل واحد منها مرتين. وأن اللام والألف متحدتان في صورة 'لا' وأن حصة الألف نصف في صورة 'لا' فذكرت اللام اثنتين وأربعين مرة وذكرت الألف -نصفه- إحدى وعشرين مرة... وهكذا فإن هذه الحروف بهذا الوضع المنتظم الخارق، مع تلك المناسبات الخفية، والانتظام الجميل، والنظام الدقيق، والانسجام اللطيف، تثبت بيقين جازم كحاصل ضرب إثنين في إثنين يساوى أربعا: إنه ليس من شأن البشر ولا يمكن أن يفعله. أما المصادفة فمحال أن تلعب به..."[18]

وما دام النورسي يتعامل ها هنا مع "الألفاظ" فإنه يجد نفسه ملزما بالرجوع كرة أخرى إلى "النظم" القرآني الفريد: "نعم، إن الالفاظ القرآنية قد وضعت وضعا بحيث إن لكل كلام بل لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى السكون أحيانا وجوها كثيرة جدا، تمنح كل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب مختلفة. فمثلا: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.النبأ:٧ فحظ عامي من هذا الكلام أنه: يرى الجبال كالأوتاد المغروزة في الأرض كما هو ظاهر أمام عينه، فيتأمل ما فيها من نعم وفوائد ويشكر خالقه. وحصة شاعر من هذا الكلام أنه: يتخيل أن الأرض سهل منبسط، وقبة السماء عبارة عن خيمة عظيمة خضراء ضربت عليه، وزينت الخيمة بمصابيح، وأن الجبال تتراءى وهي تملأ دائرة الأفق، تمس قممها أذيال السماء، وكأنها أوتاد تلك الخيمة العظيمة، فتعمره الحيرة والإعجاب ويقدس الصانع الجليل.

"اما البدوي البليغ فحصته من هذا الكلام أنه: يتصور سطح الأرض كصحراء واسعة، وكأن سلاسل الجبال سلسلة ممتدة لخيم كثيرة بأنواع شتى لمخلوقات متنوعة، حتى إن طبقة التراب عبارة عن غطاء أُلقي على تلك الأوتاد المرتفعة فرفعتها برؤوسها الحادة، جاعلة منها مساكن مختلفة لأنواع شتى من المخلوقات. وكذا يفهم فيسجد للفاطر الجليل سجدة حيرة وإعجاب بجعله تلك المخلوقات العظيمة كأنها خيام ضربت على الأرض.

"اما الجغرافي الأديب فحصته من هذا الكلام أن: كرة الأرض عبارة عن سفينة

تمخر عباب بحر المحيط الهوائي أو الأثيري. وأن الجبال أوتاد دقت على تلك السفينة للتثبيت والموازنة. هكذا يفكر الجغرافي ويقول أمام عظمة القدير ذي الكمال الذي جعل الكرة الأرضية الضخمة سفينة منتظمة وأركبنا فيها، لتجري بنا في آفاق العالم: 'سبحانك ما أعظم شأنك' ''.

''اما المتخصص في أمور المجتمع والملم بمتطلبات الحضارة الحديثة فحصته من هذا الكلام أنه: يفهم الأرض عبارة عن مسكن، وأن عماد حياة هذا المسكن هو حياة ذوي الحياة، وان عماد تلك الحياة هو الماء والهواء والتراب التي هي شرائط الحياة. وأن عماد هذه الثلاثة هو الجبال، لأن الجبل مخازن الماء، مشاطة الهواء ومصفاته -إذ ترسب الغازات المضرة- وحامية التراب -إذ تحميه من استيلاء البحر والتوحل- وخزينة لسائر ما تقتضيه حياة الإنسان. هكذا يفهم فيحمد ويقدس ذلكم الصانع ذا الجلال والإكرام الذي جعل هذه الجبال العملاقة أوتادا ومخازن معايشنا على الأرض التي هي مسكن حياتنا.

''وحصة فيلسوف طبيعي من هذا الكلام: إنه يدرك أن الامتزاجات والانقلابات والزلازل التي تحصل في باطن الأرض تجد استقرارها وسكونها بظهور الجبال، فتكون الجبال سببا لهدوء الأرض واستقرارها حول محورها ومدارها وعدم عدولها عن مدارها السنوي وكأن الأرض تتنفس بمنافذ الجبال فيخف غضبها وتسكن حدتها. هكذا يفهم ويطمئن ويلج في الإيمان قائلا: الحكمة لله''.[19]

اما العنصر الخامس وهو البيان فيقف عندها طويلا باعتباره جماع العناصر كافة.

إنه أعلى مرتبة من مراتب طبقات الخطاب وأقسام الكلام: كالترغيب والترهيب، والمدح والذم، والإثبات والإرشاد، والإفهام والإفحام.[20]

وهو يضرب لكل غرض من هذه الاغراض مثلا أو اثنين لتأكيد تفرد البيان القرآني: ''فمن بين آلاف أمثلة مقام 'الترغيب والتشويق' سورة 'الإنسان' إذ بيان القرآن في هذه السورة سلس ينساب كالسلسبيل، ولذيذ كثمار الجنة، وجميل كحلل الحور العين. ومن بين الأمثلة التي لا تحد لمقام 'الترهيب والتهديد' مقدمة سورة 'الغاشية' إذ بيان القرآن في هذه السورة يؤثر تأثير غليان الرصاص في صماخ الضالين، ولهيب النار في عقولهم، وكالزقوم في حلوقهم، وكلفح جهنم في وجوههم، وكالضريع الشائك في بطونهم. نعم، إن كانت مأمورة العذاب جهنم ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[الملك:٨] فكيف يكون تهديد وترهيب آمرها بالعذاب؟

''ومن بين آلاف أمثلة مقام 'المدح' السور الخمس المستهلة بـ 'الحمد لله' إذ بيان القرآن في هذه السورة ساطع كالشمس، مزين كالنجوم، مهيب كالسماوات والأرض، محبوب مأنوس كالملائكة، لطيف رؤوف كالرحمة على الصغار في الدنيا، وجميل بهية كالجنة اللطيفة في الآخرة.

''ومن بين آلاف أمثلة مقام 'الذم والزجر' الآية الكريمة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. الحجرات:١٢

''تنهى هذه الآية الكريمة عن الغيبة بست مرات وتزجر عنها بشدة وعنف، وحيث إن خطاب الآية موجه إلى المغتابين فيكون المعنى كالآتي: إن الهمزة الموجودة في البداية، للاستفهام الإنكاري حيث يسري حكمه ويسيل كالماء إلى جميع كلمات الآية، فكل كلمة منها تتضمن حكما. ففي الكلمة الأولى تخاطب الآية الكريمة بالهمزة: أليس لكم عقل -وهو محل السؤال والجواب- ليعي هذا الأمر القبيح؟ وفي الكلمة الثانية: 'أيحب' تخاطب الآية بالهمزة. هل فسد قلبكم -وهو محل الحب والبغض- حتى أصبح يحب أكره الأشياء وأشدها تنفيرا. وفي الكلمة الثالثة: 'أحدكم' تخاطب بالهمزة: ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية -التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة- وما بال مدنيتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم. وفي الكلمة الرابعة 'أن يأكل لحم' تخاطب بالهمزة: ماذا أصابت إنسانيتكم؟ حتى أصبحتم تفترسون صديقكم الحميم. وفي الكلمة الخامسة: 'أخيه' تخاطب بالهمزة: أليس بكم رأفة ببني جنسكم، أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم، حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشا قاسيا، أيملك عقلا من يعض عضوا من جسمه؟ أوَ ليس هو بمجنون؟ وفي الكلمة السادسة: 'ميتا' تخاطب بالهمزة: أين وجدانكم؟ أفسدت فطرتكم حتى أصبحتم تجترحون أبغض الأشياء وأفسدها -وهو أكل لحم أخيكم- في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير''.[21]

ثم يخلص النورسي إلى القول بأن هذه الآية يفهم منها ''وبما ذكرناه من دلائل مختلفة في كلماتها، أن الغيبة مذمومة عقلا وقلبا وإنسانية ووجدانا وفطرة وملة. فتدبر هذه الآية الكريمة، وانظر كيف أنها تزجر عن جريمة الغيبة بإعجاز بالغ وبإيجاز شديد''.[22]

(٢) التكرار

ليس القرآن الكريم عملا ''بحثيا'' يسعى للتعامل مع مشكلة ما أو قضية محددة، فيحاول استقصاء مفرداتها ودراستها وتحليلها والوصول إلى النتائج بأكبر قدر من

التركيز والاقتصاد في اللغة، كما هو شأن الدراسات المعروفة في دائرة ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية، ولكنه خطاب عقدي وتشريعي ودعوي ينطوي على التأسيسات العقدية، والمعطيات التشريعية، وأساليب النشاط الدعوي. وهو من أجل تأكيد مطالبه وإضاءتها يتعامل مع المنظور الكوني أو الطبيعي حينا، ومع الخبرة التاريخية حينا آخر، ومع المؤثرات العقلية أو الحسية أو الوجدانية حينا ثالثا. ويتجاوز هذا كله في حالات أخرى إلى ما وراء الزمن والمكان والمنظور باتجاه يوم الحساب، بمتغيراته وأهواله، بنعيمه وعذابه، وبجنته وناره...

ومن ثم يغدو التكرار ليس ''زيادات'' في التعبير، وتبذيرا في اللغة لا مبرر لها، وحاشا لكتاب الله، وإنما ضرورة منهجية وأسلوبية في الوقت نفسه... ويعاد عرض ''اللقطة'' أو ''الحالة'' أو الخبرة'' أو ''التجربة'' مرة ومرتين وثلاثا لتحقيق غرض مقصود هو تأكيد القيمة المطلوبة، بكسر جدران الغفلة والنسيان، وحواجز الألفة والاعتياد وأكداس الرين والصدأ.

إنها -إذا جاز التشبيه- أشبه بعملية غسيل عقلي وروحي ووجداني وحسي، حيث يسكب الماء المطهر مرتين وثلاثا من أجل إعادة الخبرة البشرية إلى نبضها وألقها ودهشتها وانفعالها قبالة العالم والوجود والطبيعة والكون والتاريخ والأبدية.

هذا إلى أن التكرار القرآني، وفق المنطوق الفني الصرف، ليس في حقيقته تكرارا نمطيا يعيد المفردات والوقائع والمرئيات نفسها المرة تلو المرة، ولكنه تحويل لزاوية الرؤية من مكان إلى مكان، وتقديم معطيات جديدة -أو في الأقل- إتاحة الفرصة لمشاهدة جوانب مضافة من ''الحالة'' التي تتعامل معها كلمات الله.

إنها -إذا جازت التسمية- نوع من السيناريو ذي اللقطات المتنوعة التي يمكن ترتيبها وفق منظور زمني، أو موضوعي، أو مكاني، أن تعطي القارئ عرضا متكاملا مترعا بالتفاصيل والمتغيرات.

فإذا انتقلنا إلى الدائرة الثالثة، وهي الدائرة الأدبية أو البلاغية الصرفة، وجدنا التكرار صيغة جمالية أو أسلوبا بلاغيا يتفق النقاد على ضرورته في الخطاب الأدبي لتحقيق جملة مقاصد تستهدف خدمة هذا الخطاب.

ولقد كتب في ظاهرة التكرار القرآني هذه، الكثير، وكان النورسي أحد الذين أدلوا بدلوهم في الموضع على طريقته المتميزة.

إنه يلحظ -ابتداء- كيف أن الخطاب القرآني يتوجه إلى طبقات شتى من

المخاطبين، وبما أنه كتاب دعوة وعقيدة، فإن التكرار يغدو ضروريا لتحقيق مقاصده وتأكيدها، ليس هذا فحسب، بل إنه يصير جزء من النسيج البلاغي للقرآن، لكونه الأسلوب الملائم للخطاب.

إن القرآن الكريم، يقول النورسي: ''يظهر نوعا من إعجازه البديع في تكراره البليغ لجملة واحدة، أو لقصة واحدة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى معان عدة وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصة، فاقتضى التكرار حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد. وكل من هذا يقتضي التكرار. فكل ما كرر في القرآن الكريم -إذاً- من آية أو قصة إنما يشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة''.[23]

ثم إن تكرار الحاجة يستلزم التكرار ''هذه قاعدة ثابتة -كما يؤكد النورسي- لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة فأرشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة متباينة من المخاطبين. فهو يكرر جملا تملك ألوف النتائج، ويكرر إرشادات هي نتيجة لأدلة لا حد لها، وذلك عند ترسيخه في الأذهان وتقريره في القلوب ما سيجده من انقلاب عظيم وتبدل رهيب في العالم وما سيصيبه من دمار وتفتت الأجزاء، وما سيعقبه من بناء الآخرة الخالدة بدلا من هذا العالم الفاني''.[24]

وقد تقتضي بعض المعاني والقيم والحقائق تكرارا لكشفها وتأكيدها من مثل حاكمية الله سبحانه وتحريمه الظلم، فهو ''يكرر الجمل والآيات -مثلا- عند إثباته أن جميع الجزئيات والكليات ابتداء من الذرات إلى النجوم إنما هي في قبضة واحد أحد سبحانه وضمن تصرفه جل شأنه'' وهو يكررها ''عند بيان الغضب الإلهي والسخط الرباني على الإنسان المرتكب للمظالم عند خرقه الغاية من الخلق، تلك المظالم التي تثير هيجان الكائنات والأرض والسماء والعناصر وتؤجج غضبها على مقترفيها''.[25]

هنالك -أيضا- حقائق وظواهر لا تقل خطورة تقتضي الكشف بالتأكيد والتكرار، وتظل تتطلب المزيد. ومن هذه الحقائق الانقلاب الكوني العظيم الذي تطوي به صفحة الحياة الدنيا: ''فلو قام القرآن الكريم بتوجيه الأنظار إلى الانقلابات المدهشة في ذلك اليوم، وحمل الآخرين على تصديق تلك المسألة العظيمة... الآف المرات فكرر تلك المسائل ملايين المرات، لا يعد ذلك منه إسرافا في البلاغة قط، كما أنه لا يولد سأما ولا مللا البتة، بل لا تنقطع الحاجة إلى تكرار تلاوتها في القرآن الكريم حيث ليس هناك أهم ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة''.[26]

إنه سعي موصول لإقناع المخاطبين بهذه الحقائق الكبرى وذلك بإقامة الحجج الدامغة، الأمر الذي يعمق في الأذهان والقلوب تلك التحولات العظيمة والتبدلات

الضخمة في الكون، ويجعلها أمامهم سهلة واضحة كتبدل المنزل وتغير شكله. فلا بد أن لفت الأنظار إلى هذه المسائل -صراحة وضمنا وإشارة- بألوف المرات ضروري جدا كضرورة الإنسان إلى نعمة الخبز والهواء والضياء التي تتكرر حاجته إليها دائما''.[27]

لذا، مرة أخرى، كان ''تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان أمثال هذه الأمور العظيمة الهائلة، لا يعد نقصا في البلاغة قط، بل هو إعجاز في غاية الروعة والإبداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة، وجزالة، بل فصاحة مطابقة تطابقا تاما لمقتضى الحال''.[28]

وهو يضرب على ذلك جملة أمثلة كشواهد فحسب مما يحفل به النص القرآني: ''إن جملة ''بسم الله الرحمن الرحيم'' هي آية واحدة تتكرر مائة وأربع عشر مرة في القرآن الكريم ذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نورا وضياءً ونشد الفرش بالعرش برباط وثيق.. فما من أحد إلا هو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كل حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمي ملايين المرات، فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي. إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضاً كالهواء والضياء الذي يضطر اليه ويشتاق كل دقيقة.

''وإن الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾الشعراء:٩ تتكرر ثماني مرات في سورة ''الشعراء'' فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على ألوف الحقائق في سورة تذكر نجاة الأنبياء عليهم السلام وعذاب أقوامهم، إنما هو لبيان: أن مظالم أقوامهم تمس الغاية من الخلق، وتتعرض إلى عظمة الربوبية المطلقة، فتقضي العزة الربانية عذاب تلك الأقوام الظالمة مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياء عليهم السلام. فلو تكررت هذه الآية ألوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق إليها، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات إعجاز وإيجاز.

''وكذلك الآية الكريمة ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ المكررة في سورة ''الرحمن'' والآية الكريمة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المكررة في سورة المرسلات، تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن إعلانا صريحا في أقطار السماوات والأرض أن كفر الجن والإنس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير غضب الكائنات ويجعل الأرض والسماوات في حنق وغيظ عليهم.. ويخل بحكمة خلق العالم والقصد منه، ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها، ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من امثال هذه الحقائق، ولهما من

الاهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الجن والإنس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة إليها ما زالت موجودة باقية، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة''.[29]

ويخلص النورسي إلى القول ''بأننا نرى أمثال هذه الأسس فيما تشتمل عليه أنواع التكرار في القرآن الكريم، حتى نرى أنه يعبر أكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد - صراحة أو ضمنا- في صحيفة واحدة من المصحف، وذلك حسب اقتضاء المقام ولزوم الحاجة إلى الإفهام، وبلاغة البيان، فيهيج بالتكرار الشوق إلى تكرار التلاوة ويمد به البلاغة قوة وسموا، من دون أن يورث سأما أو مللا''.[30]

وليس المعطى القرآني طبقة واحدة وإنما هو طبقات يعلو بعضها بعضا، ويخفي بعضها بعضا. والمعنى الواحد فيه ينطوي على منظومة من القيم والمعاني.. إن دلالاته المركزة لا تمنح معانيها -أحيانا- للوهلة الأولى، ولكن بتكرار القول فيها، هذا التكرار الذي لا يجيئ تأكيدا فحسب، ولكن إضاءة وكشفا في الوقت نفسه: ''إن كل وقت وكل يوم إنما هو عالم يمضي وباب ينفتح لعالم جديد، لذا فإن تكرار ''لا إله إلا الله'' بشوق الحاجة إليها ألوف المرات لأجل إضاءة تلك العوالم السيارة كلها وإنارتها بنور الايمان، يجعل تلك الجملة التوحيدية كأنها سراج منير في سماء تلك العوالم والأيام. فكما أن الأمر هكذا في ''لا إله إلا الله'' كذلك تلاوة القرآن الكريم فهي تبدد الظلام المخيم على تلك الكثرة الكاثرة من المشاهد السارية، وعلي تلك العوالم السيارة المتجددة، وتزيل التشوه والقبح عن صورها المنعكسة في مرآة الحياة، وتجعل تلك الأوضاع المقبلة شهوداً له يوم القيامة لا شهودا عليه، وترقيه إلى مرتبة معرفة عظم جزاء الجنايات، وتجعله يدرك قيمة النذر المخيفة لسلطان الأزل والأبد التي تشتت عناد الظالمين الطغاة، وتشوقه إلى الخلاص من طغيان النفس الأمارة بالسوء... فلأجل هذه الحكم كلها يكرر القرآن الكريم ما يكرر في غاية الحكمة، مظهرا أن النذر القرآنية الكثيرة إلى هذا القدر، وبهذه القوة والشدة والتكرار حقيقة عظمى، ينهزم الشيطان من توهمها باطلا ويهرب من تخليلها عبثا. نعم إن عذاب جهنم لهو عين العدالة لأولئك الكفار الذين لا يعيرون للنذر سمعاً''.[31]

ولا ينسى النورسي أن يقف عند قصص الأنبياء (عليهم السلام) وما تتضمنه من التكرار فيرى أن الحكمة - مثلا في ''تكرار قصة موسى التي لها من الحكم والفوائد ما لعصا موسى، وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء انما هي لإثبات الرسالة الاحمدية وذلك بإظهار نبوة الأنبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة الأحمدية

وصدقها، حيث لا يمكن أن ينكرها إلا من ينكر نبوتهم جميعا. فذكرها إذن دليل على الرسالة. ثم إن كثيرا من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما تيسر لهم منه. ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار أركان الإيمان الضرورية. أي أن تكرار هذه القصص هو مقتضى البلاغة وليس فيه إسراف قط. زد على ذلك فإن فيه تعليما بأن حادثة ظهور محمد ﷺ أعظم حادثة للبشرية، وأجل مسالة من مسائل الكون''.[32]

خلاصة القول في المنظور النورسي للتكرار في كتاب الله سبحانه، أنه -فضلا عن ضرورته في التعامل مع المضامين القرآنية- فإنه يحمل في الوقت نفسه قيمة جمالية أو بلاغية تجئ متممة لجماليات السياقات المختلفة. ويكفي تدليلا على دوره المزدوج هذا أن تكرار تلاوة النص القرآني، على ما في مقاطع النص نفسه من تكرار، لم يورث القارئين يوما، على مدار الأماكن والأزمان، سأما أو مللاً، وحاشا لكتاب الله!.

إنها خبرة شخصية نعرفها جميعها، ومذاقا عذبا ارتوينا منه عبر رحلة الليل والنهار... فما كانت تلاوتنا لكتاب الله، وتعاملنا مع تكراره المدهش، لتزيدنا إلاّ عطشاً وتوقاً لتلاوته مرات ومرات أخرى. ويكفي -كما يقول النورسي- ''أننا نرى كيف أن مئات الملايين من الناس منذ ألف ومئات من السنين يتلون القرآن الكريم بلهفة وشوق، وبحاجة ماسة إليه دون ملل أو سأم''.[33] وهو يؤكد هذا المعنى في مكان آخر بقوله: ''إن القرآن الكريم قد اظهر عذوبة وحلاوة ذات أصالة وحقيقة بحيث إن التكرار الكثير -المسبب للسآمة حتى من أطيب الأشياء- لا يورث الملال عند من لم يفسد قلبه ويبلد ذوقه، بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته. وهذا أمر مسلم به عند الجميع منذ ذلك العصر، حتى غدا مضرب الأمثال''.[34]

(٣) عناصر الخطاب القرآني وطبقات المخاطبين

يتميز الخطاب القرآني بأنه ذو مستويات شتى سواء بالنسبة لوضع المتلقى الذهني أو النفسي أو الوجداني، أو ثقافته، أو العصر الذي يضطرب فيه.

ويستطيع المرء -أيضا- أن يلحظ -بشكل عام- خطين متوازيين في هذا الخطاب: أحدهما بيني مرحلي، والآخر شمولي مستقبلي. وتلك واحدة من أشد معطيات القرآن إثارة للدهشة والإعجاب، لأنها في جوهرها، واحدة من أكثر حلقاته الإعجازية فرادة وتألقا!

إن أسباب النزول -مثلا- كانت تتعامل مع العديد من الآيات والمقاطع والسور القرآنية في ضوء الوضع التاريخي الراهن الذي تنزلت فيه والبيئة التي غذت مطالبها ومتغيراتها.

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، ذلك إن كلمات الله، وهي تتعامل مع التاريخ والجغرافيا، تملك في الوقت نفسه قدرة معجزة على التحرر من اثقالهما والمضي للتعامل مع العالم كله، والمستقبل البشري حتى حافاته القصوى المطلة على يوم الحساب.

إنه علم الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو يعرف كيف يتعامل مع الآني والأبدي... مع المحدود والمطلق... عبر الكلمات والمفردات نفسها التي تشكل خطابا مزدوجاً يتجاوز احاديته لكي يصير عاملا مؤثرا في كل زمن أو مكان، وعبر كل مرحلة تاريخية أو بيئة جغرافية على الإطلاق.

وعلى سبيل المثال، فإنه على المستوى المعرفي قدم القرآن الكريم معطيات وكشوفا كان العقل العربي يومها قديرا على استيعابها، لكن هذه المعطيات كانت تنطوي في الوقت نفسه، على جملة كشوف وطبقات، تركت رهن تنامي الخبرة البشرية وتزايد النشاط المعرفي عبر تعامله مع الظواهر والنواميس والموجودات والأشياء.

ويكفي أن نرجع إلى محاولة واحدة من بين عشرات المحاولات ومئاتها، تلك المحاولة التي نفذها العالم الفرنسي ''موريس بوكاي'' بخصوص المقارنة بين المعطيات المعرفية للتوراة والإنجيل والقرآن، وبين المعرفة الحديثة، على مدى ما يزيد عن العشرين عاما لكي يخلص إلى القول بأنه إذا كانت التوراة والإنجيل تعكس بأمانة الكثير من الخرافات التي كانت منتشرة زمن تدوين هذين النصين، فإنه ''لا مكان مطلقا في نص القرآن لأي خرافة من الخرافات التي كانت منتشرة في عصر تنزيل القرآن''.[35]

ويشير بوكاي إلى منهج العمل ''في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام. وقد طرقت دراسة هذه النصوص -ويعني الكتب الدينية الثلاثة- بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة...[36] والنتيجة؟ أن الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن'' أثارت دهشتي العميقة. فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماما للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا''[37] والحق -كما يستنتج الرجل- ''أن مفسري القرآن ''بما في ذلك مفسرو عصر الحضارة الاسلامية العظيم''

قد أخطأوا حتما وطيلة قرون في تفسير بعض الآيات التي لم يكن باستطاعتهم ان يفطنوا إلى معناها الدقيق. إن ترجمة هذه الآيات وتفسيرها بشكل صحيح لم يكن ممكنا الا بعد ذلك العصر بكثير، أي في عصر قريب منا. ذلك يتضمن أن المعارف اللغوية المتبحرة لا تكفي وحدها لفهم هذه الآيات القرآنية، بل يجب بالإضافة اليها امتلاك معارف علمية شديدة التنوع. ان دراسة كهذه هي دراسة انسكلوبيدية تقع على عاتق تخصصات عدة. وسندرك كلما تقدمنا في عرض المسائل المثارة تنوع المعارف العلمية اللازمة لفهم معنى بعض آيات القرآن.[38]

من أجل ذلك يقول القرآن الكريم مؤكدا هذه الثنائية المدهشة في الخطاب القرآني: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾يونس:٣٩

ويقول متحدثا عن المستقبل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣

والنورسي وهو يتعامل مع جماليات القرآن ويتحدث عن خطابه، ويحلل عناصر هذا الخطاب ومستوياته، يقول أشياء كثيرة تؤكد هذا الاستنتاج وتضيئه في الوقت نفسه.

بالنسبة لعناصر الخطاب، أو أطرافه، يؤكد النورسي على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يقاس بأي كلام آخر، إذ إن منابع علو طبقة الكلام، وقوته، وحسنه، وجماله، أربعة: الأول: المتكلم، الثاني: المخاطب، الثالث: المقصد، الرابع: المقام. وليس المقام وحده كما ضل فيه الأدباء. فلا بد من أن تنظر في الكلام إلى: من قال؟ ولمن قال؟ ولم قال؟ وفيم قال؟ ولا تقف عند الكلام وحده وتنظر إليه.

ولما كان الكلام يستمد قوته وجماله من هذه المنابع الأربعة، فبإنعام النظر في منابع القرآن تدرك درجة بلاغته وحسنها وسموها وعلوها.[39]

إن النورسي يتحرك ها هنا باتجاه مضاد للبنيوية التي تتمركز عند النص، وتسعى إلى فك الارتباط بينه وبين طرفيه الآخرين: المبدع والمتلقي. وبقدر ما قدمت البنيوية من خدمة للجهد النقدي في مقاربة النص والحكم عليه من خلال بنيته الداخلية، بقدر ما ضيعت على نفسها فرصة التقويم الاكثر موضوعية ودقة من خلال متابعة الأطراف الأخرى للمعطي الأدبي.

ومن يدري، فعل هذا، فضلا عن عوامل كثيرة أخرى، تتعلق بالدور التقني الصرف للبنيوية، أو بخلفياتها الابستمولوجية، ما جعل بعض روادها أنفسهم ''من مثل رولان بارت وتودوروف'' ينفضون أيديهم منها ويتحولون إلى مسارات جديدة.

مهما يكن من أمر فإن النورسي، وهو يتعامل مع النص القرآني، يردنا إلى الحق، ويقف بعض الوقت عند الحد الأساسي للمعادلة الإبداعية كلها: المنشئ، أو المبدع، أو المتكلم. ويرى أن الكلام ''يستمد القوة من المتكلم، فإذا كان الكلام أمراً ونهياً يتضمن إرادة المتكلم وقدرته حسب درجته، وعند ذاك يكون الكلام مؤثرا نافذا يسري سريان الكهرباء من دون إعاقة ومقاومة، وتتضاعف قوة الكلام وعلوه حسب تلك النسبة.

ويضرب لنا -كعادته- جملة من الاستشهادات، فمثلا: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾هود:٤٤ و﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾فصلت:١١ ''فانظر إلى قوة وعلو هذه الأوامر الحقيقية النافذة التي تتضمن القوة والإرادة. ثم انظر إلى كلام إنسان وأمره الجمادات الشبيه بهذيان المحموم: اسكني يا أرضي وانشقي يا سماء وقومي أيتها القيامة فهل يمكن مقايسة هذا الكلام مع الأمرين النافذين السابقين؟ ثم أين الأوامر الناشئة من فضول الإنسان والنابعة من رغباته والمتولدة من امانيه، وأين الأوامر الصادرة ممن هو متصف بالآمرية الحقة يأمر وهو مهيمن على عمله؟

''نعم! أين أمر أمير عظيم مطاع نافذ الكلام يأمر جنوده بـ: تقدم. وأين هذا الأمر إذا صدر من جندي بسيط لا يبالى به؟ فهذان الأمران وإن كانا صورة واحدة إلا أن بينهما معنى بونا شاسعا، كما بين القائد العام والجندي''.[40]

ومثلا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾يس:٨٢ و﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾البقرة:٣٤ ''انظر إلى قوة وعلو الأمرين في هاتين الآيتين. ثم انظر إلى كلام البشر من قبيل الأمر. ألا تكون النسبة بينهما كضوء اليراع أمام نور الشمس الساطعة؟ نعم! أين تصوير عامل يمارس عمله، وبيان صانع وهو يصنع، وكلام محسن في آن إحسانه، كل يصور أفاعيله، ويطابق فعل قوله، أي يقول: انظروا فقد فعلت كذا وكذا، أفعل هذا لذلك، وهذا يكون كذا وذاك كذا... وهكذا يبين فعله للعين والأذن معاً.

''فمثلاً: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ق:٦-١١

أين هذا التصوير الذي يتلألأ كالنجم في برج هذه السورة في سماء القرآن كأنه ثمار الجنة؟ وقد ذكر كثيرا من الدلائل ضمن هذه الفعال مع انتظام البلاغة وأثبت

الحشر الذي هو نتيجتها بتعبير ''كذلك الخروج'' ليلزم به الذين ينكرون الحشر في مستهل السورة. فاين هذا واين كلام الناس على وجه الفضول عن أفعال لا تمسهم إلا قليلا؟ أفلا تكون نسبته إليه إلا كنسبة صورة الزهرة إلى الزهرة الحقيقية التي تنبض بالحياة...''[41]

وهكذا، وكما يؤكد النورسي في مكان آخر، اكتسب الخطاب القرآني ''الصفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والإحاطة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه''.[42]

ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، فهناك أطراف أخرى في الظاهرة القرآنية، يقف في قمتها، بعد المتكلم الأزلي الذي هو الله سبحانه، النبي الكريم ﷺ الذي أنزل عليه هذا الكتاب، والممثل للنوع البشري والمخاطب باسم الانسانية قاطبة، بل باسم الكائنات جميعا. أما المخاطب فهو ذو فضاء ''أو مقام كما يسميه النورسي'' واسع فسيح يمضي إلى طبقات البشرية كافة والى سائر العصور. هذا إلى ما ينطوي عليه الخطاب القرآني من بيان شاف لقوانين الله سبحانه المتعلقة بالدنيا والآخرة، بالأرض والسماء، بالأزل والابد، وهي تشمل أمور المخلوقات كافة''.[43] ''إن الأزمنة الغابرة والعصور المندثرة التي هي في نظر الغافلين الضالين واد من عدم سحيق موحش رهيب، ومقبرة مندرسة أليمة كئيبة، يعرضها صحيفة حية تطفح عبرا ودروسا، وعالما عجيباً ينبض بالحياة ويتدفق بالحيوية من أقصاه إلى أقصاه، ومملكة ربانية ترتبط معنا بوشائج وأواصر، فيبينها -بإعجازه البديع- واضحة جليلة كأنها مشهودة تعرض أمامنا على شاشة، فتارة يأتي بتلك العصور ماثلة شاخصة أمامنا، وتارة يأخذنا إلى تلك العصور. ويبين الإعجاز نفسه ''الكون'' الذي يراه الغافلون فضاءً موحشا بلا نهاية، وجمادات مضطربة بلا روح تتدحرج في دوامة الفراق والآلام، يبينه القرآن: كتابا بليغا كتبه الأحد الصمد، ومدينة منسقة عمرها الرحمن الرحيم، ومعرضا بديعا اقامه الرب الكريم لإشهاد مصنوعاته. فيبعث بهذا البيان حياة في تلك الجمادات، ويجعل بعضها يسعى لإمداد الآخر، وكل جزء يغيث الآخر ويعينه، كأنه يحاوره محاورة ودية صميمة، فكل شيء مسخر وكل شيء أنيط به وظيفة وواجب. وهكذا يلقي القرآن دروس الحكمة الحقيقية والعلم المنور إلى الإنس والجن والملائكة كافة. فلا ريب أن هذا القرآن العظيم- الذي له هذا الإعجاز في البيان قمين بأن يحوز خواص راقية عالية وميزات مقدسة سامية.[44]

وهذا ينقلنا إلى مستويات الخطاب القرآني التي وقف النورسي عندها طويلاً: ''فما دام القرآن الكريم خطابا أزليا يخاطب به الله سبحانه مختلف طبقات البشرية المصطفة خلف العصور، ويرشدهم جميعا، فلا بد أنه يدرج معاني عدة لتلائم مختلف

الأفهام''[45] إنه ''يخاطب كل طبقة من طبقات البشر في كل عصر من العصور، وكأنه متوجه توجها خاصا إلى تلك الطبقة بالذات. إذ لما كان القرآن يدعو جميع بني آدم بطوائفهم كافة إلى الإيمان الذي هو أسمى العلوم وأدقها، وإلى معرفة الله التي هي أوسع العلوم وانورها، والى الاحكام الإسلامية التي هي اهم المعارف واكثرها تنوعا، فمن الألزم إذن أن يكون الدرس الذي يلقيه على تلك الطوائف من الناس، درسا يوائم فهم كل منها. والحال أن الدرس واحد، وليس مختلفا، فلا بد اذن من وجود طبقات من الفهم في الدرس نفسه، فكل طائفة من الناس -حسب درجاتها- تأخذ حظها من الدرس من مشهد من مشاهد القرآن''.[46]

وهو يضرب لذلك عددا من الأمثلة نكتفي بالإحالة إليها.[47] ولا ينس أن يشير إلى ''الألفاظ'' التي صاغت الخطاب القرآني ذا الطبقات والأدوار: ''لقد وضعت وضعا بحيث إن لكل كلام، بل لكل كلمة، بل لكل حرف، بل حتى لسكون أحيانا، وجوها كثيرة جدا، تمنح كل مخاطب حظه ونصيبه من أبواب مختلفة.. فلكل آية ظهر وبطن وحد ومطلع، ولكل شجون وغصون وفنون''.[48] ويضرب لذلك عددا من الأمثلة نكتفي بالإحالة إليها .[49]

ولكن الخطاب القرآني أزليا يخاطب جميع طبقات البشر في جميع العصور خطابا مباشرا فإنه ''حافظ على شبابيته وفتوته حتى كأنه ينزل في كل عصر نضرا فتيا.. إن آثار البشر وقوانينه تشيب وتهرم مثله، وتتغير وتتبدل، إلا أن أحكام القرآن وقوانينه لها من الثبات والرسوخ بحيث تظهر متانتها أكثر كلما مرت العصور''.[50]

صحيح أن الحديث ينصب هنا على ''الموضوع'' القرآني، ولكن هذا ما كان بمقدوره أن يتجاوز تحديات الزمان والمكان، ويتعامل مع متغيرات البيئات والجماعات والثقافات، ولا تساند ''الأسلوب'' معه، وتمكينه من أداء مهمته المدهشة هذه: ''لقد أظهر القرآن الكريم من الطراوة والفتوة والنضارة والجدة بحيث يحتفظ بها وكأنه قد نزل الآن، رغم مرور أربعة عشر قرنا من الزمان عليه، ورغم تيسر الحصول عليه للجميع. فكل عصر قد تلقاه شابا نضرا وكأنه يخاطبه. وكل طائفة علمية مع أنهم يجدونه في متناول أيديهم وينهلون منه كل حين ويقتفون أثر أسلوب بيانه، يرونه محافظا دائما على الجدة نفسها في أسلوبه، والفتوة عينها في طرز بيانه''.[51]

وما دمنا بصدد مستويات أو طبقات الخطاب القرآني، فلا بد من الإشارة إلى تعليل النورسي لاختلاف السور المكية عن المدنية من حيث البلاغة، فهو يرى ''أن الصف الأول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش وهم أميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة أسلوبا عاليا قويا، وإجمالا معجزا مقنعا، وتكرارا يستلزمه

التثبيت في الأفهام، لذا بحثت أغلب السور المكية أركان الإيمان ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو وبإيجاز في غاية الإعجاز، وكررت الإيمان بالله والمبدأ والمعاد والآخرة كثيرا، بل قد عبرت عن تلك الأركان الإيمانية في كل صحيفة أو آية، أو في جملة واحدة، أو كلمة واحدة، بل ربما عبرت عنها في حرف واحد، في تقديم وتأخير، في تعريف وتنكير، في حذف وذكر هنا فأثبتت أركان الإيمان في أمثال تلك الحالات والهيئات البلاغية إثباتا جعل علماء البلاغة وأئمتها يقفون حيارى مبهوتين أمام هذا الأسلوب المعجز.

''أما الآيات المدنية وسورها فالصف الأول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقا لواقع حالهم، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس، مع بيان وتوضيح في الجزئيات -دون الأصول والأركان الإيمانية- لأن تلك الجزئيات هي منشأ الأحكام الفرعية والقوانين الكلية ومدار الاختلافات في الشرائع والأحكام. لذا فغالبا ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم.. وهكذا ترى أن هناك نمطاً من جزالة معجزة ساطعة في الآيات المدنية هو غير بلاغة الآيات المكية، حسب اختلاف المقام وتنوع مقاصد الإرشاد والتبليغ''.[52]

ولا ينسى النورسي أن يشير إلى أن قدرة الخطاب القرآني على التوجه إلى أفهام العوام البسيطة، وهم معظم المخاطبين، تنطوي في القوت نفسه على ''حصة وافرة لأعلى المستويات الفكرية ولأرقي الطبقات العقلية، فلا يهب لمخاطبيه شيئا من إرشاداته وحدها، ولا يخصهم بعبرة من حكاية تاريخية فقط، بل يخاطب مع ذلك طبقة في كل عصر -لكونها فردا من أفراد دستور كلي- خطابا نديا طريا جديدا كأنه الآن ينزل عليه''.[53]

كما لا ينسى أن يشير إلى أن إعجاز القرآن الجميل يظهر أيضاً ''في أسلوب إرشاده البليغ، حيث راعى أحسن الرعاية أمية مبلّغه الكريم ﷺ باحتفاظه التام على سلاسته الفطرية، فهو أجلّ من أن يدنو منه تكلف أو تصنع أو رياء مهما كان نوعه- فجاء أسلوبه مستساغا لدى العوام الذين هم أكثرية المخاطبين ملاطفاً بساطة أذهانهم بتنزلاته الكلامية القريبة من أفهامهم، باسطاً أمامهم صحائف ظاهرة ظهوراً بديهياً كالسماوات والأرض، موجهاً الأنظار إلى معجزات القدرة الإلهية وسطور حكمته البالغة المضمرتين تحت العاديات من الأمور والأشياء''.[54]

ويخلص إلى القول بأن ''في كل حرف منه عشر حسنات، بل ألف حسنة أحيانا، بل

ألوف الحسنات في أحيان أخرى، وعجز الجن والإنس علن الإتيان بمثله ولو اجتمعوا له، ومخاطبته بني آدم جميعهم، بل الكائنات برمتها مخاطبة بليغة حكيمة، وحرص الملايين من الناس في كل عصر على حفظه عن ظهر قلب بشوق ومتعة، وعدم السأم من تلاوته الكثيرة رغم تكراراته، واستقراره التام في أذهان الصغار اللطيفة البسيطة مع كثرة ما فيه من جمل ومواضع تلتبس عليهم، وتلذذ المرضى والمحتضرين -الذين يتألمون حتى من أدنى كلام- بسماعه وجريانه في أسماعهم عذبا طيبا، وغيرها من الخواص السامية والمزايا المقدسة التي يحوزها القرآن الكريم، فيمنح قراءه وتلاميذه أنواعاً من سعادة الدارين''.[55]

حقاً إن الخطاب القرآني لهو واحد من أكثر وجوه هذا الكتاب فرادة وإعجازا فنحن نرى قبالة أعيننا كيف يحقق هذا الخطاب كسبه للزنجي البسيط في أعماق أفريقيا وللغربي المتفوق في ساحات أوربا وأمريكا.

يكفي أن نتذكر عقولا ''كروجيه كارودي'' ''ومراد هوفمان'' انتمت إلى هذا الدين، ونتذكر معهما حشود للزنوج الأفارقة الذين يتدفقون على الإسلام ويعلنون انتماءهم إليه، يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة.. لكي نعرف قدرة هذا الخطاب، رغم حاجز اللغة أحياناً، على التأثير في الآخر ومنحه القناعة بأحقية هذا الدين وجدوى الانتماء إليه.

يكفي أيضاً أن نتذكر كيف أنه في عالم الادب، هنالك قصص وروايات للصغار وأخرى للكبار، ولن يكون بمقدور إحداهما أن تحقق المتعة والانسجام والفائدة للفئتين معاً. لكن هذا الكتاب المعجز يخاطبهما معاً فيمنحهما الكثير.

قد يقال إن التوراة والإنجيل، أو أي كتاب ديني، يقرأه -أيضاً- الصغار والكبار أسوة بكتاب الله...

إلا أن الفارق يظل كبيرا يصعب عبوره... إن الكتب المذكورة أصبحت بعد تحريفها وحقنها بالخرافات والأضاليل، منظومة من الأكاذيب، وجسداً بغير روح.. وقراءتها أيام الآحاد أو غيرها لا تعدو أن تكون مجرد تقليد ميت لا حياة فيه، ولا يمنح عقول قارئيه أو أرواحهم شيئاً ذا غناء.

أما الخطاب القرآني المعجز فإنه يدفع العقل إلى أقصى حدود الاحتمال وهو يضع قبالته معرفة ليست كالمعارف، ويسبح به في آفاق الحياة والوجود والعالم والطبيعة والكون والمصير..

أما في دائرة الروح والوجدان فإنه يفعل الأفاعيل التي تعجز الكلمات عن التعبير عنها.. وفوق هذا وذاك فإنه يستجيب لطموحات الأميين والبسطاء والصغار فيقرأونه بشغف، كلٌ بما يسّره الله له من قدرة على التذوق والفهم والتصور والادراك.

وتجئ الأسلوبيات القرآنية المدهشة فتمنح هذا كله القدرة على التحقق وتقدم للناس كافة، على اختلاف الاجيال والاذواق والمدارك والبيئات والأعمار، رحيقاً من عسل مصفى كان وسيظل البوابة الكبرى التي يجتازها الداخلون إلى حمى هذا الدين.

خاتمة

إن النورسي وهو يتحدث عن البعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم ويحاول أن يجزئ المعطى الجمالي بالإحالة على مصطلحات البلاغيين كالنظم والمعنى والأسلوب واللفظ والبيان والتكرار إلى آخره... لم يقصد البتة أن يحصر هذه المعطيات في دوائر تلك الحلقات المحددة في الدراسات البلاغية، ولا أن يخصص للموضوع عدداً من المقاطع والمباحث والرسائل والكلمات، ثم يمضي لمعالجة الموضوعات الأخرى بعيداً عن أطرها أو نبضها الجمالي.

ذلك أن الإحساس بالجمال، ورؤيته، والتفاعل معه، وتلقيه، وتحليل أبعاده وعناصره، سواء في كتاب الكون المنظور، أو الكتاب المقروء، يهيمن على كلمات النورسي ورسائله من بدئها حتى منتهاها.[56] ومن ثم فإن ما يقوله النورسي ها هنا عن جماليات الأسلوب القرآني، قد ينتشر بالكلمة القرآنية نفسها، جنبا إلى جنب مع الإبداع الإلهي في الكون والعالم، عبر الرسائل المائة والثلاثين جميعا.

ولكنها ضرورات الدراسة -كما يقولون- تقتضي -أحيانا- من الطرفين: المفكر ودارسيه، تحجيم القيم والمعاني من أجل السيطرة عليها.

ويبقي كتاب الله، قبل هذا وبعده، ينطوي على ما هو أغلى وأعلى وأكثر إثارة للدهشة والإجلال والتقدير: إنه الجلال الإلهي الذي تعجز الكلمات عن تقريب أبعاده للمتلقي، لأنه كلام الله جلّ في علاه والذي يمكن للمرء أن يلمسه ويحسّه وينفعل معه وهو يقرأ في كتاب الله منذ أول كلمة فيه حتى آخر حرف، لكنه لن يكون بمقدوره أن يصفه، أو يحدده، أو يكتب عنه بما يوازي تماماً حجمه أو تأثيره الحقيقي.

هذ الجلال القرآني الذي ينبض بالجمال.. بالتناظر والتناسب، والتوزيع المذهل للأبعاد والمساحات.. هذا التدفق الموصول الذي لا يكف عن الخفقان لحظة واحدة ولا عن الإيماض لحظة واحدة ولا عن الوعد بالعجيب المدهش لحظة واحدة...

أليس هو قبل هذا، ومعه وبعده، من عطاء الله الجميل الذي يحب الجمال والذي لا تنفد كلماته، والذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؟!.

* * *

الهوامش:

[1] من مواليد الموصل، العراق عام ١٩٣٩م. حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٦٨م. حاليا أستاذ في جامعة الموصل وقد تولى عددا من المناصب في ادارة المكتبات والتراث. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية في بلدان العالم. أنجز أكثر من أربعين كتابا وترجمت بعض مؤلفاته الى الإنكليزية والفرنسية والتركية وغيرها من اللغات. كتب عن أعماله العديد من رسائل الدبلوم والماجستير والدكتوراه.

[2] انظر: عماد الدين خليل: الكلمات: روية جمالية، بحث مقدم الى الندوة العالمية الثانية حول فكر العلامة النورسي التي عقدتها مؤسسة الثقافة والعلوم في إسطنبول في الفترة بين ٢٦-١٩٩٤/٩/٢٧م. ونشر في المجلد الخاص ببحوث الندوة.

[3] تحقيق إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، دار سوزلر للنشر-١٩٩٤م.

[4] تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثانية، إسطنبول، دار سوزلر للنشر -١٩٩٤م.

[5] ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، دار سوزلر للنشر -١٩٩٢م.

[6] الكلمات ص ٤٢٤.

[7] انظر بالتفصيل: الكلمات ص ٤٣٤-٥١٨،٤٢٦-٥٢٢،٥١٩.

[8] نفسه ص ٤٢٦.

[9] وهو المجلد الذي سيعتمد في كتابة هذا البحث.

[10] الكلمات ص ٤٢٦-٤٢٧

[11] نفسه ص ٤٨١-٤٨٢

[12] الكلمات ص ٤٢٩-٤٣٠.

[13] نفسه ص ٤٣١.

[14] نفسه ص ٤٣٢-٤٣٣.

[15] نفسه ص ٤٥٩-٤٦٠.

[16] نفسه ص ٤٣٦.

[17] نفسه ص ٤٣٧.

[18] الكلمات ص ٤٣٧-٤٣٨.

[19] الكلمات ص ٤٥٢- ٤٥٣.

[20] نفسه ص ٤٣٩.

[21] الكلمات ص ٤٣٩- ٤٤٠.

[22] نفسه ص ٤٤٠- ٤٤١.

[23] نفسه ص ٥٢٨.

[24] نفسه ص ٥٢٨-٥٢٩.

[25] نفسه ص ٥٢٩.

[26] نفسه ص ٥٣٣-٥٣٤.

[27] نفسه ص ٥٣٤.

[28] نفسه ص ٥٢٩-٥٣٠.

[29] نفسه ص ٥٣٠.

[30] نفسه ص ٥٣٠.

[31] نفسه ص ٥٣٥.

[32] نفسه ص ٥٣٥-٥٣٦
[33] نفسه ص ٥٣٥.
[34] نفسه ص ٥٢٠.
[35] القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، القاهرة، دار المعارف -١٩٧٨م، ص ٢١٣.
[36] نفسه ص ١٤٤.
[37] نفسه ص ١٤٤.
[38] نفسه ص ١٤٦.
[39] الكلمات ص ٥٠٠
[40] الكلمات ص ٥٠١.
[41] الكلمات ص ٥٠١- ٥٠٢.
[42] نفسه ص ٥٢٦.
[43] نفسه ص ٥٢٦.
[44] نفسه ص ٥٢٧.
[45] نفسه ص ٤٥٦.
[46] نفسه ص ٤٧٨.
[47] انظر المرجع نفسه ص ٤٧٨-٤٥٧.
[48] نفسه ص ٤٥١
[49] انظر المرجع نفسه ص ٤٥٢-٤٥٧
[50] نفسه ص ٤٧١
[51] نفسه ص ٥٢٠.
[52] نفسه ص ٥٣٠-٥٣٢.
[53] نفسه ص ٥٢٦.
[54] نفسه ص ٥٢٨.
[55] نفسه ص ٥٢٧-٥٢٨.
[56] سبق وأن أنجز الباحث دراسة بعنوان ''الكلمات: رؤية جمالية'' تناولت الاسلوب والتقنيات، والموضوع الجمالي في الطبيعة والعالم والكون وقد نشرت في المجلد الخاص ببحوث الندوة العالمية الثانية حول فكر النورسي، إسطنبول، دار سوزلر - ١٩٩٣م. وسوف تتم معالجة رؤية النورسي الجمالية لدنيا الأحياء، والإنسان، وعالم الغيب، من أجل أن تكتمل الصورة إن شاء الله.

دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي

–ABSTRACT–

The Role of the Tolerant Islamic Shari'a in Establishing International Security

Emeritus Prof. Dr. Hasan Khalid Mustafa Mahmud al-Mufti

This research consists of an introduction and features thirty-two scientific principles followed by a conclusion. The thirty-two legislative principles concern themselves with the role of Islamic law with respect to the consolidation of General principles of global security. The conclusion provides results and recommendations and pointers of research based on scholarly evidence of the Sunnah. The paper is concerned with the problem of establishing world peace and security and understanding the ultimate goal of Islam goal in creating the appropriate atmosphere for intra and inter-religious harmony. It discusses the issue of maintaining societies and civilizations and the preservation of other beliefs and the fact that the message of Islam is concerned with the safety and security of the world. Islamic Sharia and its focus on brotherhood, harmony and forgiveness, tolerance, promotion of education and constructive dialogue – all has implications for prosperity, development and the advancement of civilizations and their cooperation in righteousness and piety .

Key Words: Sharia, Islamic Law, Global Security, Inter-Religious Dialogue, Global Developmen

– ملخص البحث –

أ.م.د. حسن خالد مصطفى محمود المفتي[1]

هذا البحث بعنوان (دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي) يتكون من مقدمة ومادة علمية في اثنين وثلاثين مبدأ وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت إشكالية البحث وأسبابه وأهدافه مع الخطة العلمية، وأما المحتوى فيشمل اثنين وثلاثين مبدأ تشريعيا في بيان دور الشريعة الإسلامية في ترسيخ المبادئ العامة للأمن العالمي، وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، ويستند البحث إلى أدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم ويأسّس للأمن والسّلام العالمي ويساعد على

معرفة الهدف الأسمى للإسلام المتمثل في تهيئة الأجواء المناسبة للعيش المشترك واستقراء الأمن العالمي وتثبيته بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الشرائع والمجتمعات والحضارات والمعتقدات الأخرى، محاولا فيه إبراز حقيقة أن رسالة الإسلام هي رسالة الأمن والأمان والسلام العالمي وأنها تساهم بلا ريب في إرساء دعائم السلم والطمأنينة والأخوة والوئام والعفو والسماحة والنهوض بمجالات التربية والتعليم والدعوة إلى الحوار البناء من أجل الازدهار والتطور والرخاء والازدهار والترقي بالحضارات والتعاون على البر والتقوى وفي مختلف ميادين الحياة. وبالله تعالى التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لا شك أن الإيمان وبعثة رسول الرحمة ﷺ هما النعمتان العظيمتان الأخرويتان اللتان لا تضاهيهما نعمة أخرى لاشتمالهما دون سائر النعم على المنة الإلهية على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، الحجرات:١٧ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، آل عمران:١٦٤ وبجانبهما فهناك نعمتان عظيمتان دنيويتان قد لا تضاهيهما النعم الدنيوية الأخرى وهما نعمتا الإطعام والأمن من الخوف المصطلح عليهما في أيامنا هذه بالأمن الغذائي والأمن الوطني، تلكم النعم التي يعاني من آثار فقدانها الكثير من الأفراد والدول والمجتمعات، لذلك على النخب المثقفة قبل غيرها، -العالمة بمخاطر الواقع المؤلم الذي نعيش فيه- تواصل الشكر والحمد والثناء على ما مَنَّ الله به علينا من النعم الظاهرة والآلاء الباطنة من أجل شكر المنعم تعالى أولاً، وإدامة نِعمه علينا ثانيا، إذ ''بالشكر تدوم النعم'' والمساهمة في ترسيخها وتطويرها وإحكامها داخليا وخارجيا ثالثاً... وإن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده المكلفين في مشارق الأرض ومغاربها من غير تفريق بين قومية وأخرى ودونما تمايز بين لسان أو لون أو منطقة أو فئة، وجعل التقوى المعيار الأمثل والأوحد

للتفاضل بيت عباده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[الحجرات:١٣] وقال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح عن أبي نضرة ﷺ في خطبة حجة الوداع: ''يا أيها الناس ألا إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ، إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى''.[2]

وبناء على ذلك فإن الإسلام اهتم بجميع بني البشر من غير تفريق ودعاهم إلى السعادة الدنيوية والأخروية كي يستجيبوا لما يحييهم حياة طيبة باقية، فالله سبحانه متصف بالرحمة والغفران حيث قال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.[الكهف:٥٨] ولكون رسالته رسالة الإسلام حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾،[آل عمران:١٩] ونعمة الإسلام كاملة تامة، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.[المائدة:٣] وهو دين الرحمة والسماحة والوئام حيث قال: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾،[الأعراف:٢٠٣] وقال (جل ثناؤه): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾،[يونس:٥٧] حتى إنه تعالى أطلق على القاتل كلمة الأخ استعطافا لذوي المقتول حيث قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾.[البقرة:١٧٨] ولكون رسوله شفيعنا محمد (عليه الصلاة والسلام) نبي الرحمة والشفقة والرأفة حيث قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧] وقال عن ذاته المباركة: فيما أخرجه الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين ووافقه الذهبي عن أبي هريرة ﷺ: ''يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة وهو الذي أرسله.''[3]

لكل ذلك لا بد أن تساهم هذه الرسالة النيرة أعني رسالة الإسلام في إرساء دعائم السلم والأمن والأمان والأخوة والوئام على وجه المعمورة داخل الأمة الإسلامية وخارجها، بل لا سعادة ولا أمان للأمة الإسلامية إلا بتحقيق حقائق الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية كما قال الأستاذ بديع الزمان النورسي (رحمة الله عليه): ''إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلاّ بتحقيق حقائق الإسلام، وإلاّ فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمةُ السعادةَ في الدنيا أو تعيشَ حياة اجتماعية فاضلة إلاّ بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلاّ فلا عدالة قطعاً، ولا أمان مطلقاً؛ إذ تتغلب عندئذٍ الأخلاقُ الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقاً بيد الكذابين والمرائين''.[4] لكن بسبب جهل البعض بمبادئ الإسلام السامية والداعية إلى إرساء دعائم الأمن بين الناس جميعا وكذلك بسبب الجهل بالمصطلحات والعلوم والمعارف الإسلامية النقلية منها والعقلية، وبسبب بروز جيل من أدعياء العلم وأنصاف المتعلّمين من حملة الفكر التكفيري والسلوك الغريب

المتّصف بالتشدّد والتعنّت والعنف والقسوة تجاه الرأي الآخر ولو كان مسلما، حيث يفتون بغير علم ولا هدى، فضلوا وأضلوا، وقد تسببت أفعالهم وأعمالهم وفتاواهم في تشويه سمعة الإسلام وصورة المسلمين، حتى توهم بعض الناس أن الإسلام لا يساعد على السّلم والأمن بل قد زعم بعض السذَّج أن الإسلام -والعياذ بالله- هو من بين أسباب انعدام الأمن والسلم في العالَمين الإسلامي والخارجي، وبيانا لوجه الحق في ذلك وتصحيحا لتلك المفاهيم المشوهة رأيت من الضرورة أن أكتب بحثا وجيزا أسلط من خلاله على دور الشريعة الإسلامية بمبادئها وقواعدها العامة في إرساء السِّلم وتثبيت الأمن والاستقرار بين الناس قاطبة، لذلك سمّيته بـ ''دور الشريعة الإسلامية السمحاء في تثبيت الأمن العالمي''. وجعلته في مقدمة واثنين وثلاثين مبدأ تشريعيا مستندا إلى أدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وتالك المبادئ العامة تأسِّس للأمن والسلام وتساعد على تحقيق الهدف الأسمى للإسلام ألا وهو تهيئة الأجواء المناسبة للعيش المشترك واستقراء الأمن وتثبيته بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الشرائع والمجتمعات والحضارات والمعتقدات الأخرى، ثم أنهيت البحث بخاتمة لخَصت من خلالها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، ولأجل الدخول في الصلب مباشرة لم أوزع المادة العلمية على المباحث والمطالب وذلك منهج جديد متبع في الكثير من البلدان المتقدمة في البحوث والدراسات ومعالجة المعضلال العصرية، لذلك دخلت مباشرة في بيان المبادئ العامة في الإسلام والمؤسّسة للسلم والداعمة للأمن الداخلي والعالمي، وبالله تعالى التوفيق. وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المبادئ العامة في الشريعة الإسلامية

التي تأسس وتدعم الاستقرار والسلم والأمن في العالم بأسره

قبل الدخول في بيان تلك المبادئ ينبغي توضيح أهم المصطلحات في عنوان البحث فنقول: إن المقصود بـ ''الشَّرِيعَة'' هي ما شرعه الله لعباده من العقائد والأَحكام، والشَّريعة الإسلاميَّة هي التعاليم والقوانين والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية ومصادر التشريع الأخرى كالإجماع والقياس وغير ذلك. وقد جاء فِي التَّنْزِيل العزيز: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[الجاثية:١٨] [5] وأما ''الأمن'' فهو: ضدّ الخوف، والفعل منه: أمِنَ يأْمَنُ أمْناً. والمَأْمَنُ: موضعُ الأَمن. والأَمَنَةُ من الأَمْن، اسم موضوعٌ من أمنت. الأَمانةُ الَّتي هي ضدُّ الخيانة، ومعناها سكونُ القلب.[6] وجاء في التنزيل المبارك: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾قريش:٣،٤ والمقصود بـ ''الأمن العالمي'' فهو الأمن أو السلم الذي لا يعرف حدًّا للأمم والشعوب والشرائع والمعتقدات، يشارك في بنائه الإنسانيّة بأسرها.

ويمكن لنا بيان أهم تلك المبادئ والقواعد العامة في الشريعة الإسلامية التي ترسي دعائم الأمن والسلم العالميين وذلك في اثنين وثلاثين مبدأ تشريعيا وعلى النحو الآتي:

أولا: إن الله خلق البشر من أجل معرفته وعبادته أولاً، ثم التعارف فيما بينهم من أجل التّكاتف والتّعاون والتقدُّم والرَّفاهية والازدهار ثانيا، وجعل الله تعالى بني البشر أُمَما وأقواما وشعوبا وحضارات من أجل تحقُّق أهداف هذا التعارف، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.الحجرات:١٣ وذلك التعارف يستلزم الأمن والأمان والاستقرار والتعايش في المساحات المشتركة وترك العنف والكيد والبغضاء وتهيئة الأجواء المناسبة لتحقق الأخوة الإنسانية والاستفادة من الآخرين.

ثانيا: جعل الإسلام البرّ والتقوى فقط معياري التعاون بين الناس بمختلف شرائعهم وتوجهاتهم وألسنتهم وتصوراتهم، وأمرهم بالتعاون والتآزن فيما بينهم شريطة أن يكون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.المائدة:٢ ولا شك التعاون فيما بين الناس يتطلب تهيئة جوّ من الأمن والسلم والأمان إذ لا يمكن التعاون والاستفادة من خبرات الشعوب والاعتبار من حضارات الأمم الغابرة منها واللاحقة في أجواء الحروب والاقتتال والويلات، لذلك فإن الإسلام حريص على ترسيخ دعائم الأمن فيما بين العباد لازدهار البلاد.

ثالثا: ألزم الباري تعالى عباده المؤمنين أن تكون كلماتهم تجاه الآخرين ولو كانوا كفارا تفوح منها رائحة الأخوة الإنسانية التي يشترك فيها الجميع والإحسان إلى الغير أيا كان، حيث أطلق الباري تعالى قائلا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.البقرة:٨٣ وألزمهم الإحسان إلى الوالدين ولو كانا مشركين كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.العنكبوت:٨

رابعا: أوجبت الشريعة الإسلامية تكريم الناس واحترامهم من غير تفريق لأنه تعالى كرم بني آدم من غير استثناء فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.الإسراء:٧٠

وما قيام الرسول الأكرم ﷺ لجنازة يهودي إلا درسا بليغا للمعتبرين، اعتبر به الصحابة والمهتدون بهديهم من بعدهم إلى أيامنا هذه، فقد صح عند البخاري وغيره عن عبد الرحمن بن أَبي ليلى قال: "كان سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بالقَادسيَّة فَمَرُّوا عليهما بجَنَازَةٍ فقاما، فقيل لهما: إِنَّها مِنْ أَهل الْأَرض أَي: مِن أَهل الذِّمَّةِ، فقالا: إنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّتْ به جِنازةٌ فَقَامَ فقيل لهُ إِنَّهَا جنَازَةُ يَهُودِيّ فقال أَلَيْسَتْ نَفْسًا".[7]

خامسا: من آداب الإسلام العامة مقابلة الإساءة بالإحسان فقد جاء في "فيض القدير للمناوي شرح الجامع الصغير للسيوطي فيما رواه 'ابن النجار' بإسناد صحيح عن علي ﷺ أنه ﷺ قال: "صِلْ من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقُل الحق ولو على نفسك"،[8] وقال كذلك: "ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة برحمته، قالوا وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: تعطي من حَرَمَك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة"[9] ومن آدابه الكريمة كذلك مواصلة الإحسان بالإحسان من غير تفريق ولا استثناء حيث قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. الرحمن:٦٠

سادسا: إن عالمية الإسلام وكونه دينا إلى العالمين صالحا لجميع الأزمن والأماكن والأعصار والقرى والأمصار والأفراد والمجتمعات والحضارات تقتضي كل ذلك أن تكون دعوته دعوة إلى الفضيلة ونبذ العنف والإكراه والإرهاب والتعنت والتصلب والتسلط والأنانية والتجبر والتمطي التبختر والتكبر والنظرة الاستعلائية لذلك فإن الله تعالى استخدم "لا" النافية للجنس الداخلة على النكرة إفادةً للعموم فقال (عزمن قائل): ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. البقرة:٢٥٦ ويمكن أن يكون المفهوم معتبرا على أساس أنه لا يبقى في معرض الإكراه دين يمثّل الحقيقة المنشودة. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. آل عمران:١٥٩

وفي شرع من قبلنا فقد أرشد الباري تعالى نبييه "موسى وهارون" (عليهما السلام) أن يستعملا القول اللين في دعوتهما فرعون مع أن الله تعالى كان عالما بما يؤول إليه أمر فرعون فأمرهما قائلا: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. طه:٤٤

سابعا: وعالمية الإسلام تقتضي كذلك بث بذور الأخوة الإنسانية والإسلامية وترسيخ دعائم التعاون على البر والتقوى ومبادئ حقوق الإنسان ونشر ثقافة الحوار

الهادئ الهادف والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة مع المؤمنين وبالأحسن مع المجادلين والمتعنتين قائلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ. وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.[النحل:١٢٦،١٢٥]

وتقتضي عالمية الإسلام كذلك حرية التفكير وعدم إكراه الآخرين على الإيمان كما يفيد ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[يونس:٩٩] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.[النور:٥٤] وقوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.[الشورى:٤٨،٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف:٢٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾،[المزمل:١٩ والإنسان:٢٩] وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾،[المدثر:٥٤،٥٥ وعبس:١١،١٢] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾.[النبأ:٣٩]

ثامنا: الإسلام دين ارتضاه الله تعالى لجميع عباده من غير استثناء، فمن اقتصر الهدي على قوم دون آخر أو مجتمع دون سواه أو فئة أو حزب أو جماعة دون غيرهم فقد افترى على الله الكذب الذي وصف ذاته العلية بكونه ﴿رب العالمين﴾ في بداية أول سورة من القرآن و﴿رب الناس﴾ في نهاية آخر سورة منه تأكيدا على ذلك فقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،[الفاتحة:٢] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾،[الناس:١] فحمل المفتري بتوجهه السقيم ذلك من غير أن يدري أوصاف المغضوب عليهم في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾،[النساء:٥٠،٤٩] وكذلك رسوله ﷺ رسول إلى الناس كافة كما ذكرنا آنفا، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[الأعراف:١٥٩]

والإيمان بربوبية الله تعالى لما سواه والإذعان لإلهيته بالاستحقاق دون ما سواه يقتضيان حمل لواء السلم والأمان والتعايش ونشر الفضيلة بين الناس من غير استثناء، ولا يمكن ذلك إلا في جو من الأمن والإستقرار الداخلي والخارجي.

عاشرا: بما أن الإسلام دين السلم والأمان حتى مع الكفار والمعاندين حيث دعا القرآن الكريم اهل الإيمان إلى السلم كافة، فقال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[البقرة:٢٠٨]

وأوجب على المسلمين رد المشرك إلى مأمنه بعد أن يُصِرَّ على الكفر قائلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[التوبة:٦]

وهذا لأدل دليل على كون الإسلام الداعي الأمثل والأصدق إلى السلم والأمان والراعي الكريم لهما، وهو الحريص على حياة الناس جميعا وسعادتهم ودفع الحرج والإحراج عنهم.

الحادي عشر: إن القتال في الإسلام قتال دفاعي وليس هجوميا استباقيا كما هو حال أعدائه وكما ظنه المتفيقهون السذجُ بالكتاب والسنة من جهة وبعلم السير والمغازي من جهة أخرى، وقد قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[الحج:٣٩-٤٠] وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[البقرة:١٩٠] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[المائدة:٨٧] وقال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[الممتحنة:٨،٩]

ومما يجدر ذكره للاهتمام والانتفاع أن أعظم دراسة مستفيضة مثبتة لما ذكرناه حسب اطلاعنا هي الدراسة العلمية الموضوعية الحاوية لجميع اشكاليات العصر فيما يتعلق بقضايا الجهاد وأحكامه والتي كتبها العلامة المرحوم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه الفريد المسمى بـ ''الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه وكيف نمارسه؟'' وبعد أحداث سوريا والعراق أقر الحساد بما في كتابه من العبر والعظات والحكم والفضائل، ولا شك أن خصومه التكفيريين قد اتعظوا به لما حدث ما حدث ويحدث الآن من دمار واقتتال وانتهاك لحرمات الله باسم الجهاد والدعوة.

الثاني عشر: الإسلام يراعي كمال الأدب وغاية الخطاب المعرفي حتى مع الكفار لخلق جو من الأمن والأمان في حرية التفكير وبأسلوب بديع من الحوار الهادئ البناء كي ينفتح

الآخرون آذانهم ويجعلونها أُذُنا واعية وأبصارهم ويجعلونها تتأمل وتتبصّر بقلوبهم وأن الإسلام ينظر إليهم نظرة شفقة وكرم وصداقة وتفضّل لا نظرة تسلّط وتعنّت وعداء، كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.سبأ:٢٤-٣٠ وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ. وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.الحج:٦٧-٦٩

الثالث عشر: إن التجارب التاريخية أثبتت أن الإسلام قد انتشر انتشارا عجيبا في أيام السلم والأمان مقارنة مع أيام الحرب والفتن. وأن الأمم التي دخلت طواعية في الإسلام هو الأكثر والأكثر دفاعا وثباتا وطمأنينة وتفانيا كما هو حال الشعب الكردي المسلم منذ أن شرّفه الله تعالى بالإسلام فأسلم دون عنوة أو إكراه.

الرابع عشر: الإسلام لا ينظر إلى غير المسلمين نظرة واحدة، بل يبوبهم ويصنفهم إلى محاربين ومسالمين، ويحترم توجهاتهم في إطار ما يعتقدونه وما يدينون به ولا يكرههم على قبول الإسلام إلا طواعية، إذ شعار المسلمين الصادقين كان ولا يزال: ''فتح القلوب قبل الجدران''، ويظهر ذلك التبويب في آيات كريمة منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.الأعراف:١٥٩ وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.آل عمران:١١٣-١١٥ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾،البقرة:٦٢ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.المائدة:٦٩

بل لقد مدح القرآن الكريم أمة من أهل الكتاب ممن عرفوا الحق واتبعوه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.المائدة:٨٣ ووصف النصارى بأنهم لا يستكبرون فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.المائدة:٨٢

وعندما يذكر القرآن الكريم مسألة دفع الناس بعضهم بسبب البعض الآخر، أي أن بعضا من الصلحاء يتسبب بصلاحه ودعواته ووجاهته عند الله تعالى في أن يدفع الله العذاب عن البعض الآخر، وهؤلاء المدفوع بهم قيل هم الصحابة يدفع الله بهم عن التابعين فمن بعدهم، وقيل هي عامة فيهم وفي غيرهم، لولا ذلك الدفع والدفاع يقول تعالى: لهدمت صوامع وبيع ومُصَلَّياتٌ ومساجد يذكر فيها اسم الله، جامعا بذلك بين جميع دور العبادة ودافعا العذاب عنها بسبب ذلك الدفاع، سواء العائدة إلى اليهود أم النصارى أم المسلمين، بل قدم دور عبادة أهل الكتاب على المسلمين وذلك غايةٌ في اللطف والكرم ورعاية الآخرين واحترامهم، حيث قال (جل ثناؤه): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[الحج:٤٠] قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ''جامع البيان'': ''لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهُدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفِّه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه ببعضهم التظالم، كالسلطان الذي كفّ به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفُّه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك، وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيَعهم... الخ''.[10] وقال القاضي الشوكاني: ''أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ الآية قال: الصوامع التي تكون فيها الرهبان والبيع مساجد اليهود وصلوات كنائس النصارى والمساجد مساجد المسلمين''.[11] ونقل ابن عطية الأندلسي عن مجاهد (رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ﴾ قال: أي لولا ظلم قوم بشهادات العدول ونحو هذا، ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة'' ونقل عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: المعنى: ''ولولا دفع الله بأصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم''.[12] وقال الإمام برهان الدين البقاعي في ''نظم الدرر'': ''﴿وَمَسَاجِدُ﴾ أي للمسلمين، أخّرها لتكون بعيدة من الهدم، قريبة من الذكر ''يذكر فيها اسم الله''... ثم قال: ''ولكن لم تهدم المذكورات، لأن الله دفع بعضهم ببعض''.[13]

الخامس عشر: حرّمت الشريعة الإسلامية كل أنواع السخرية والاستهزاء والتهكم والاحتقار والنظر إلى المقابل أيا كان نظرة استعلائية أو دونية فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[الحجرات:١١]

وهذه التعليمات مما ينبغي أن تتجذّر في أعماق القلوب وتترجم من مجرد الأقوال إلى الأفعال والأعمال ولا يتأتى ذلك إلا بإرساء أجواء الأمن والأمان بين المسلمين في مجتمعاتهم وبينهم وبين غيرهم من المجتمعات والأمم والحضارات.

السادس عشر: جعل رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ رسالته رسالة السلم والأمان، حيث إن شعار المسلمين هو التحية بالسلام على من عرفت أو لم تعرف، لأن من اسمائه تعالى (السلام)، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾، النساء:٨٦ وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: ''تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف''.[14]

السابع عشر: وبين الرسول الأكرم ﷺ أن حسن التعامل مع الآخرين ومساعدهم من أحب الأعمال إلى الله من غير تفريق أو استثناء، فقال عليه الصلاة والسلام: فيما رواه البزار في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى في مسنده عن أَنَس بن مالك ﷺ أنه ﷺ: ''الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.[15] وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط عن جابر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس''.[16]

وأخرج الطبراني كذلك في المعجم الكبير بسنده عن عمرو بن دينار عن ابن عمر (رضي الله عنهما): أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: ''أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مُسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام''.[17] وهذا غاية اللطف من الله تعالى وغاية التلطف في الإسلام، ويتطلب ذلك أجواءً من السلم والأمان.

الثامن عشر: من أجل إحلال السلم والأمان أثاب الله تعالى على اهل الخير والصدقة والكرم والشفاعة الحسنة بجزيل ثوابه حيث قال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾. النساء:٨٥

وقد مدح الله تعالى عليا وفاطمة (رضي الله عنهما) في القرآن الكريم حيث ساعدا مسكينا ويتيما وأسيرا إيثارا على نفسيهما، ولا شك أن الأسير لم يكن مسلما، فقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. الإنسان:٨-٩

التاسع عشر: ومن أجل إحلال الأمن والأمان جعل الله تعالى التخلق بستّاريته أصلا في الإسلام فحرم هتك الأعراض وجعل ستره مرهونا بستر العبد أخاه فقال ﷺ: فيما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ: ''من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة.. الحديث''.[18]

وشرّع الإسلام كذلك عقوبة القاذف وشرّع الملاعنة بين الزوجين بدل القتل، وجعل الطلاق أبغض الحلال عند الله تعالى، وحرم الكذب والنميمة والبهتان والغيبة والدجل والشعوذة والسحر والتحايل والربا وأكل مال اليتيم والسرقة والغش والرشوة والفساد بجميع أنواعه والخيانة مع المسلمين وغيرهم كل ذلك حفاظا على النسيج الاجتماعي واستقرار حياة الأُسَر والأفراد.

العشرون: إن بداية الإرشاد القرآني هي الأمر بالقراءة والتعلم حيث إن أولى الآيات التي نزلت على قلبه الشريف فيها الأمر بالقراءة والتعليم فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. العلق:١-٥

والله تعالى أقسم بالقلم وبما يسطر من العلوم النافعة والكتابات الصالحة لخدمة الإنسانية من غير تفريق فقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.[القلم:١] وبين تعالى أن الحقائق القرآنية تتجلى في عصر العلم كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. فصلت:٥٣

وبيّن تعالى أنه كلما تقدّم العلم وازدهرت المعارف كلما انتشر الإسلام وأقر العلماء لحقيقة التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. سبأ:٦ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. الإسراء:١٠٧ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[الحج:٥٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.[القصص:٨٠] وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾.[العنكبوت:٤٩]

ومدح العلماء وجعلهم أخشى عباده حيث تتجلى لهم حقيقة الإيمان بفضل الهداية الرحمانية المكتسبة من علومهم النافعة وإخلاصهم فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.[فاطر:٢٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[الزمر:٩]

ولا شك أن أجواء العلم والتعلم لا يتفق مع الحروب والقتال والفتن والفوضى، وبناء عليه فإن الإسلام يهدف إلى نشر العلم والمعارف في جو من الهدوء والأمن والسلام، ومصلحة المسلمين تظهر في ذلك.

الواحد والعشرون: الإسلام حرّم سوء الظن بالناس وحرم التجسس والتناجش والتحاسد والتباغض والتدابر وشجع على الأخوة والصداقة، وكل ذلك مما يساهم في انحلال السلم والأمان، كما قال (عليه الصلاة والسلام) فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ: ''إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسّسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا''.[19] وعند مسلم في صحيحه عنه أيضا جاءت الرواية بلفظ: ''لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانا''.[20]

الثاني والعشرون: من جملة ما أمر به القرآن الكريم من الفضائل أمرا عاما هو نشر مبدأ العدل بين الناس وكون الحكم عليهم على أساس من العدل والمساواة فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.[النساء:٥٨]

وكذلك أمر بالتواصي بالصبر والحق وبالمرحمة فقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.[البلد:١٧] وقال تعالى في مقام آخر: ﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.[العصر:١-٣]

وأمر أن تكون الشهادة بالحق وبالقسط فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[المائدة:٨] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[المائدة:٨] ولا شك أن هذه المبادئ مما يساهم في الأمن والسلم العالميين.

الثالث والعشرون: شرع الإسلام جملة من القوانين التي تفتح من خلالها أبواب من التعايش والتعاون والتعارف بين الناس بمختلف تشريعاتهم ومعتقداتهم، لا سيما بين المسلمين وأهل الكتاب، حيث أحل لنا الأكل من طعامهم، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾.[المائدة:٥]

وأجاز الرسول ﷺ الإهداء إلى الكفار كما جاء في الصحيح أنه ﷺ أعطى عمر ﷺ كساء من حرير فأهداها عمر لأخ مشرك له في مكة ولفظ الحديث: كما جاء في صحيح البخاري (باب الهدية للمشركين) وكذلك في ''باب صلة الأخ المشرك'' عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: رأى عمر حلة على رجل تباع فقال للنبي ﷺ: ''ابتع هذه الحلة تلبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفد''. فقال ''إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة''. فأتي رسول الله ﷺ منها بحلل فأرسل إلى عمر منها بحلة فقال عمر: كيف ألبسها وقد قلت ما قلت فيها؟ قال ''إني لم أَكْسُكَها لِتَلْبَسَها، تبيعُها أو تكسوها''. فأرسل بها عمر إلى أخٍ له من أهل مكة قبل أن يسلم''.[21]

الرابع والعشرون: جعل القرآن الكريم أولئك الذين يتجبرون على رقاب الناس ويسعون في الأرض فسادا وقتلا وإفسادا العقوبة القصوى التي هي جهنم وبئس المصير، ونبه على أن منهم من هو معسول اللسان ويحلف أنه صادق وناصح لكنه في الحقيقة كذاب بل هو ألد الخصام كما وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.[البقرة:٢٠٤–٢٠٨]

لذلك يجب أن لا ينخدع المسلمون في أيامنا هذه بالشعارات والأعلام والدعوات العالية والصرخات والتكبيرات المدوية والظواهر البراقة والعبارات الجذابة باسم الله وفي سبيله مرة وباسم الإسلام والدين ونبيه ﷺ مرة أخرى، ومن أجر المسلمين والمستضعفين مرة ثالثة، والله ورسوله والمؤمنون بريئون مما يقولونه ويفعلونه من جرائم وانتهاكات وأفعال لا تمت بتعاليم الإسلام ولا علاقة لها بمبادىء الدين الإسلامي وأحكامه ولا بأخلاق المسلمين بصلة، فقد عرف الرسول الأعظم نبي الرحمة المسلم بأنه منْ سلم المسلمون من لسانه ويده كما جاء في صحيح البخاري

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: ''المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه''،[22] وجاء في مسند أبي يعلى ومسند أحمد بن حنبل وغيرهما بأسانيد صحيحة عن أنس بن مالك ﷺ: بلفظ أعم وأشمل حيث قال رسول الله ﷺ: ''المؤمن من أَمِنَهُ الناس، والمسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة لا يأمن جاره بوائقه''.[23]

فوعد الله تعالى لا يتعلق بالمفسدين في الأرض، المتسلطين على رقاب الضعفاء، الذين لا عهد لهم ولا إيمان ولا أمان ولا أعمال صالحة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكرات، بل أعمال هي المنكرة وما يأمرون به هو عين المنكر في ميزان الشريعة، إنما وعد الله تعالى للأخيار لا للأشرار، للمؤمنين الصادقين الذين ينشرون العدل والمحبة والفضائل ويصلحون ولا يفسدون، كما قال تعالى على لسان نبيه صالح (على نبينا وعليه الصلاة والسلام): ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ. وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.الشعراء:١٥٢،١٥٠ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.الأنبياء:١٠٥-١٠٧ وبشّر تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.النور:٥٥،٥٤ وبقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.الحج:٤٠-٤١

ولاشك أن تلكم البشائر السعيدة لا تنطبق على الأشرار الطالحين، الخوارج التكفيريين، التُّعساء والطغاة الظلاميين، والمعتدين الظالمين، الذين هم دعاة على أبواب جهنم بدل الجنة، يفسدون في الأرض ولا يصلحون، يهلكون الحرث والنسل، أعداء الإسلام خصوصا والإنسانية والعباد والبلاد على وجه العموم.

الخامس والعشرون: لو تأملنا إلى أول وثيقة نبوية في الإسلام لعلمنا أن الإسلام هو الداعي للتعايش السلمي والراعي للأمن والأمان بحق، حيث إن الرسول ﷺ لما آخى بين المسلمين وأصبح للإسلام حكم وقوة ونفوذ لم يُكره اليهود على الإسلام ولا على ترك يثرب بل كتب وثيقة حفظ من خلالها حقوقهم كاملة كما رواه أهل السير

بأسانيد صحيحة: كما في سيرة ابن هشام والسيرة النبوية لابن كثير ومن جملتها: "... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .. وإن الله على أبر هذا وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم... الخ"[24]

السادس والعشرون: إن الإسلام ليس من شيمته استغلال الفرص، حتى في الحرب مع المحاربين والمعتدين، بل أوجب إتمام المدة المعلنة بين الطرفين، قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[التوبة:١] ثم استثنى سبحانه بقوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[التوبة:٤] ثم أكد هذا المبدأ بقوله عقيب ذلك تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:٧] وحتى عند ظهور علامات الغدر والخيانة الواضحة البينة من قبل الكفار تجاه ما أبرم بينهم وبين المسلمين فقد نصّ القرآن الكريم على وجوب إعلام الكفار الغادرين بالحرب وعدم مباغتتهم والهجوم عليهم قبل الإعلام كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.[الأنفال:٥٨]

قال محيي السنة أبو محمد البغوي (ت ٥١٨هـ) في تفسيره معالم التنزيل: " ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ أي: تعلمنَّ يا محمدُ، ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ معاهدين، ﴿خِيَانَةً﴾ نقضَ عهدٍ بما يظهر لكم منهم آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرَح إليهم عهدهم، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ يقول: أعْلِمْهُمْ قبلَ حَرْبِكَ إيّاهُم أنَّكَ قد فَسَخْتَ العهدَ بينَكَ وبينهُم حتى تكون أنتَ وهُمْ في العلم بنقض العهد سواءٌ، فلا يتوهَّموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾".[25]

السابع والعشرون: إذا تأملنا في التاريخ العلمي الإسلامي وبحثنا في تراجم علماء المسلمين وطبقاتهم رأينا العجب فيما يتعلق بمساهماتهم العلمية في ميادين العلم والمعرفة في مختلف العلوم النقلية والعقلية والطبيعية، ورأينا أن أغلب مؤسسي العلوم والمعرف ومكتشفيها هم من علماء المسلمين كالرازي وابن الهيثم والغزالي وابن سينا

وابن المستوفي وابن قتيبة وابن خلدون وأبي يوسف القاضي وغيرهم حيث أسسوا قواعد الطب والهندسة والكيمياء والاقتصاد وعلم النفس التربوي والحساب وغير ذلك، فهذا في القديم أما في أيامنا هذه فإن هناك دولا إسلامية تساهم في ازدهار العلوم والتقدم والبناء الحضاري أمثال ماليزيا وأندنوسيا وتركيا، وهذا دليل على المساهمات الحقيقية للمسلمين في مجالات العلم والتقدم، وهذا لم يكن ليحدث لولا التشريعات المحكمة في الدين الإسلامي الحنيف الذي يحث على طلب العلوم والمعارف ونشرها والمساهمة فيها.

الثامن والعشرون: إن الإسلام قد بني على جملة من المقاصد الشرعية التي تسمى بالضرورات الشرعية الخمسة التي جاءت الشرائع السماوية من أجل المحافظة عليها، وكما قال السيف الآمدي في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: هي ''الَّتي لَمْ تَخْلُ من رعايتها ملَّةٌ من الملل ولا شريعةٌ من الشَّرائع، وهِي: حفظُ الدِّينِ، والنَّفْسِ، والعقلِ، والنَّسْلِ، والمال، فإِنَّ حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضَّرُوريَّات وهي أعلى مراتب المُناسباتِ''،[26] ويليها الحاجيات فالتحسينيات، ولو تأملنا في هذه المقاصد الضرورية لرأينا أنها حاوية لجميع المصالح المعتبرة لنيل السعادة في الدارين، ولو أهمل واحد منها لاختل النظام والأمن والأمان دونما شك.

التاسع والعشرون: إن مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام والمساوات في منابع العيش ركن أساسي في إحلال السلم والأمن والأمان بين الناس من جهة ونبذ الطبقية بين فئات المجتمع من جهة أخرى، ومن أجل ذلك جعل الإسلام الناس جميعا شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار'' كما قاله المصطفى ﷺ في بعض ألفاظه[27] وفي بعض رواياته جاء ''المسلمون شركاء''،[28] وهذا لا يعني أن غيرهم لا يشاركون المسلمين في منابع العيش إذ الجميع مشتركون في الإنسانية والله تعالى ربهم وإلههم ورازقهم جميعا، ومن أجل ذلك حرم أكل الربا فقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. البقرة:٢٧٦ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾. البقرة:٢٧٩

ومن أجل ذلك أيضا جعل اله تعالى الظلم محرما بين عباده، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي ذر الغفاري ﷺ مرفوعا: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ''يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّما، فلا تَظَالَمُوا''.[29] وأخرج الدارقطني وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ''لا ضرر ولا ضرار من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه''.[30]

وحرمة الظلم والإضرار بالغير لا تخص المسلمين فيما بينهم بل تعمهم وتعم غيرهم وهذا هو المطلوب حيث المجتمعات الإنسانية تستطيع أن تعيش في أمن وأمان وينتشر الإسلام بروية ولين وطمئنينة في قلوب الناس. وقد أخرج البيهقي في معرفة السنن والآثار فقال: أبو سعيد قال: حدثنا أبو العباس قال: أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي: ''فإن تأوَّل رجلٌ قول النبي ﷺ: 'لا ضرر ولا ضرار' (فقال): 'هذا الكلام مجملٌ لا يحتمل لرجل شيئا إلا احتمل عليه خلافه'. ووجهُهُ الذي يصحُّ به: أن لا ضرر في أن لا يحمل على رجل في ماله ما ليس بواجب عليه، ولا ضرار في أن يمنع رجل من ماله ضررا، ولكل ماله وعليه''. قال البيهقي: قال أحمد: روينا في حديث عمرو بن يثربي الضمري: أنه شهد خطبة النبي ﷺ بمنى، وكان فيما خطب به: ''ولا يحل لأحد من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه''. وروينا في ذلك أيضا، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، وعن أبي حرة الرقاشي، عن عمه، عن النبي ﷺ. وإذا ضم بعضه إلى بعض صار قويا وأصح ما روي فيه: حديث أبي حميد، أن رسول الله ﷺ قال: ''لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لشدة ما حرم الله مال المسلم على المسلم'' وروينا في الحديث الثابت، عن أبي بكرة، وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته بمنى: « ألا إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا''.[31]

الثلاثون: إن مراعاة مبدأ حسن الجوار الذي دعا إليه الإسلام في نصوصه التشريعية يشمل الجار في المسكن أيّا كان دينه ومعتقده، كما ويتناول دول الجوار والمجتمعات المجاورة، من غير تفريق بين دين ودين أو قومية وأخرى أو عرق وآخر أو جنسية وأخرى، حيث أمر الإسلام بمراعاة حسن الجوار على أساس من التعاون والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الخاصة، وغاية ما في الأمر إبداء النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة لا إكراه الآخرين على التنصُّح والانصياع.

وكذلك فقد أمر القرآن الكريم بالإحسان إلى الجار سواء كان قريبا أم بعيدا قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[النساء:٣٦] ''قال الإمام البغوي في تفسيره ''معالم التنزيل'': ''قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: ذي القرابة، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة''.[32] وفي صحيح مسلم عن

أم المؤمنين سيدتنا عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه لَيُوَرِّثَنَّهُ''.[33]

الواحد والثلاثون: إن الشريعة الإسلامية كما حرمت القتل والاقتتال فقد بيّنت أن من ساهم في قتل أحدّ ما فكأنما هو القاتل، وأن من قتل إنسانا بريئا فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياه بوجه ما -كالتبرع بالدّم أو عفوه عن القصاص أو بذل الشفاعة من أجله عند ذوي المقتول أو إطعامه أو إكسائه أو أروائه أو انقاذه من الغرق أو ماشابه ذلك- فكأنما أحيا الناس جميعا، وهذه الأمور عمّت جميع الشرائع السماوية من غير تفريق قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.[المائدة:٣٢] وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾.[النساء:٨٥] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[البقرة:١٧٨]

وبين الرسول الأكرم ﷺ أنه لا يحدث قتل إلا كان للقاتل الأول (قابيل) نصيب من شره لكونه أول من سنَّ جريمة القتل، فعن صحيح البخاري عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: ''لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها''.[34] وفي السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: ''من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله''،[35] وهذه القوانين الربانية مما تساهم بشدة على العيش بسلام وتؤدي حتما إلى الأمن والاستقرار، وبإهمالها تعم الفوضى وتضمحل الأمن والأمان على وجه الأرض.

الثاني والثلاثون: إن سلوكيات رسول الإسلام وفخر الأكوان سيدنا محمد ﷺ الفاضلة وأعماله الشريفة وأقواله المنيفة كلها دلائل حقيقية على مدى إسهامه المباشر ﷺ في إرساء دعائم السلم ومبادئ الأخوة الإسلامية والإنسانية بين الناس جميعا، حيث تتجلى فيها مبادئ السلام المحبة والأمن والوئام، حيث أمر بنصر المظلوم وكف الأذى وحسن الجوار ونشر الفضيلة وإفشاء السلام ونبذ العنف وحرم الضرر والإضرار والتضرر والضرار، وبيَّن بأفعاله الشريفة أن دعوته دعوة سليمة ومسالمة، فلم يلجئ قط إلى العنف مع ما واجهه مع صحبه المستضعفين وما لاقوه وذاقوه من خصومه الكفار

من أنواع العذاب من الاستهزاء والتعذيب والطرد إلى شعاب مكة ثلاثة أعوام، والتهجير والتشريد فالقتل، لم يلجأ إلى الرد بالمثل مع أنه ﷺ كان من حقه ذلك، لكن قام مع صحبه بالهجرة المباركة إلى يثرب وإلى حبشة وترك الديار لخصومه تفاديا للقتال، ثم قام بكتابة دستور المدينة التي فيها المآخاة وإرساء قواعد العيش المشترك بين كافة أتباع الشرائع السماوية، ثم قيامه بإخماد النار المشتعلة والحرب الطويلة بين قبائل الأوس والخزرج فوحدهم وآخاهم مع المهاجرين، ومن ظاهر دعوته الكريمة التسامحية تحريره للسبعين من أسرى بدر مقابل تعليم الأطفال القراءة والكتابة، وكذلك عدم إرسال أحد إلى مكة أو أي بلد آخر من أجل الثأر والانتقام بعكس صنيع أعدائه المتربصين به حيث كانوا يرسلون بين فترة وأخرى من يغتال رسول الله ﷺ ثم يعفو عنه الرسول ﷺ بعد إقراره له ونيته بقتله فيسلم، وكذلك إعلانه ﷺ في آخر المطاف العفو العام عن جميع الكفار والمشركين ممن ظلموه وأخرجوه وقاتلوه وذلك في فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة وقولته الشهيرة لهم: ''إذهبوا فأنتم الطلقاء''، كما أخرج الحافظ البيهقي في السنن الكبرى وفي معرفة السنن والآثار عن الإمام الشافعي عن القاضي أبي يوسف أنه قال: إن رسول الله ﷺ عفا عن مكة وأهلها وقال: 'من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن' ونهى عن القتل إلا نفراً قد سماهم، إلا أن يقاتل أحد فيقاتَلُ، وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد: 'ما ترون أني صانع بكم؟' قالوا: 'خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم' قال: 'اذهبوا فأنتم الطلقاء'.''[36] وكذلك الحال بالنسبة إلى قبيلة ثقيف في الطائف حيث يعمها العفو النبوي الكريم وتدخل في الإسلام، وبهذا الخلق الرفيع أخمد نبي الرحمة ﷺ لهيب الفتنة ودفن غيض الانتقام والثأر وإلى الأبد، وزرع بدل ذلك بذور المودة والمحبة وصلة الرحم فلم يرتد من أهل مكة ولا المدينة ولا الطائف أحدٌ في حركة الردة الفاشلة التي قام بها بعض الأعراب بعيد وفاته ﷺ. أما الأوس والخزرج فقد أصبحا يتنافسان ويتصاولان في عمل الخير بعد أن كانا يتقاتلان على الشر ويتنافسان على هتك الحرمات، وقد صح قصة التنافس في الخير عند أهل السير ومنهم ابن هشام في السيرة النبوية والبيهقي في دلائل النبوة وابن كثير في السيرة النبوية وغيرهم.[37] وكل ذلك بفضل الإسلام وتعاليمه السمحاء.

وأخيرا نسأل: أليس كل هذه التشريعات المحكمة والمبادئ الأصيلة والأخلاق الفاضلة المتجذرة في الإسلام تكفي دليلا على مدى اهتمام الإسلام بالتعايش السلمي ودوره الرائد قديما وحديثا في نبذ الحروب والاقتتال والفتن، ونشر الفضيلة والسلم والسلام وترسيخ دعائم الأخوة الإنسانية في جو من الأمن والأمان؟ فإن العنف لا يولد

إلا العنف، وإن الضغط كما قيل يولّد الانفجار، وقد قال المصطفى ﷺ: ''إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغِّض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى''.[38] وما نراه ونسمعه في العالم الإسلامي من العنف والاقتتال والإرهاب فإن الاسلام بريء من جميع تلك التصرفات المخالفة مع روح الإسلام وتشريعاته السمحة وما هي إلا محاولات يائسة مدعومة من قبل أعداء الإسلام يستعملون من خلالها أيادي ضعفاء العقول والدين من المرتزقة المتأسلمين والمتفيقهين الثرثارين، بعد تخدير عقولهم وغسل أدمغتهم كل ذلك تشويها لسمعة الإسلام وأهله، وتصوير أن الإسلام يدعو إلى الكراهية وأن المسلمين قتلة ودمويون، لكن لا يحيق المكر السيء إلا بأهله. وعلى المسلمون معالجة المشكلة المتفشية بأنفسهم فيبرؤوا ساحتهم عن هؤلاء الذين لا دين لهم حقٌ، ولا أخلاق لهم فاضلةٌ، ولا أعراف لهم سليمة وإنما يمثّلون أنفسهم وأسيادهم، وقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ''إنّ أحبكم إلى وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضَكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساوئكم أخلاقا، الثرثارون المتشدّقون المتفيقهون''.[39] نسأل الله تعالى حسن الخلق وحسن الختام لنا ولسائر المسلمين أجمعين.

خاتمة بأهم النتائج والتوصيات

١- إن الشريعة الإسلامية شريعة سمحاء حيث ترسخت فيها دعائم الأخوة الإنسانية والإسلامية.

٢- إن النصوص التشريعية في الإسلام تدعو وتؤكد وتأسس وتجذر مبادئ الأمن والسلم وتدعو إلى تظافر الجهود من أجل الاستقرار العالمي والتعايش السلمي بين الناس.

٣- إن الإسلام دين السلام ونبيه ﷺ نبي الرحمة ورسالته رسالة السماحة والدعوة إلى الحوار البناء والازدهار والتطور والرقي بالحضارات والتربية والتعليم وفي مختلف ميادين الحياة.

٤- التعاون من أجل البر والتقوى بين الناس مما أمر به الله سبحانه من أجل الرخاء والازدهار والترقي.

٥- الإسلام يحاول دوما إخماد نار الفتن والحروب ويساهم بفعالية في تقريب وجهات الأنظار والأفكار المتباعدة من أجل إسعاد الإنسانية جمعاء.

٦- لا ينبغي نحمل الإسلام ما يجري هنا وهناك من تصرفات غير مسؤولة التي

يقوم بها أيادي مشبوهة لا تمت برسالة الإسلام وأخلاق المصطفى المختار ﷺ بصلة، بل ضررها على الإسلام والمسلمين أكثر وأكبر.

٧- ينبغي على الجيل الناشئ قراءة النصوص التشريعية قراءة متأنية وفق فقه الفقهاء وقواعدهم الفقهية والأصولية كي لا ينخدعوا بفتاوى المتاجرين بالإسلام وأدمغة ضعفاء العقول من الناشئين.

٨- إن الاطلاع على مقاصد الشريعة والمصطلحات القرآنية والنبوية وسيرته الزكية ومعرفة المصطلحات الفقهية والأصولية والكلامية تساهم بفاعلية في دفع الأوهام الباطلة تجاه النصوص التشريعية السمحاء.

٩- ينبغي للدعاة والخطباء والكتاب في محافلهم ومنابرهم بألسنتهم وأقلامهم إبراز الدور الفائق التي تؤديه النصوص التشريعية من أجل إحلال السلم وترسيخ مبادئ العدل والأمن والعيش والمشترك.

١٠- تجدر بالجهات الحكومية وغيرها في كُردستان خصوصا وزارات التعليم العالي والأوقاف والتربية إدراج تلك النصوص التشريعية المبينة في بحثنا هذا وغيرها مما لم نذكرها من أجل الاختصار في المناهج الدراسية ولجميع المراحل حسب الضرورة والاستعداد ليتسنى للطلاب معرفة أن الإسلام هو دين السماحة والمحبة والإصلاح والتآخي والسلام، دينٌ يساعد على إرساء دعائم الأمن الداخلي والعالمي، وينبذ الإكراه والعنف والإقصاء والتسلط والجبروت، وينشر الفضائل والخصال الحميدة بين الخاصة والعامة من الناس.

إلى غير ذلك من النتائج والتوصيات المبيَّنة ضمنا أرجو أن تكون مفيدة تضيف ولو يسيرا إلى مائدة العلم النافع لطلاب نور العلم لا سيما الجيل الناشئ، ويصحّح بعضا من المفاهيم الخاطئة والأفكار الغريبة التي غزت العالم الإسلامي والتي تناقض روح الإسلام وجوهره وتأريخه ورسالته السمحاء، والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث ومراجعه

١. القرآن الكريم.

٢. الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن على بن ابى على محمدين بن سالم الآمدي، تحقيق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٤م.

٣. الأموال للقاسم بن سلام الهروي، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com عن أرشيف المكتبة الشاملة، رقم الإصدار: الثالث.

٤. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة - الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: د. حسين

أحمد صالح الباكري، ط١: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، ١٤١٣-١٩٩٢م.
٥. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، ت٣١٠ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
٦. الجامع الصحيح المختصر، (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: أ. د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧م.
٧. الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه، أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق. ١٩٩٢م.
٨. دلائل النبوة أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ)، تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور عبد المعطى قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
٩. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
١٠. سنن الدارقطني، للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦م.
١١. السيرة النبوية للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير المتوفى٧٤٧ هـ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١م.
١٢. السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.
١٣. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ.
١٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
١٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.
١٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجد الحموي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ١٣٥٦هـ.
١٧. كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٨. كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام لبديع الزمان سعيد النورسي، ط١، دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٩. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى -أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢١. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١ - ١٩٩٠م.
٢٢. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.
٢٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط

عليها، مؤسسة قرطبة – القاهرة - مصر.
٢٤. مسند البزار كاملا مفهرسا، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى ٢٩٢هـ، فهرسه: علي بن نايف الشحود. بلا تاريخ.
٢٥. معالم التنزيل، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦ هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٢٦. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٢٧. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.
٢٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث، http://www.alsunnah.com، عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ الفقه وأصوله المساعد بكلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين، أربيل، كُردستان – العراق.
[2] المسند للإمام أحمد بن حنبل (٤١١/٥) برقم (٢٣٥٣٦).
[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري مع التلخيص للذهبي (٩١/١) برقم (١٠٠).
[4] كليات رسائل النور (٨)، صيقل الإسلام لبديع الزمان النورسي: ص٥٢١.
[5] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) (١١٠٠/٢). والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين (١/ ٤٧٩).
[6] ينظر: كتاب العين للفراهيدي (٣٨٨/٨)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٣) مادة (أمن).
[7] صحيح البخاري: (٤٤١/١) برقم (١٢٥٠).
[8] فيض القدير لزين الدين المناوي في شرح الجامع الصغير للسيوطي (٤ / ١٩٦)برقم(٥٠٠٤)
[9] قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٣١/٣) برقم (٣٨١٥) "رواه البزار والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه".
[10] جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر الطبري، بتحقيق: أحمد محمد شاكر: (٦٤٧/١٨).
[11] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للقاضي الشوكاني: (٦٥٤/٣).
[12] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق الأندلسي(١٥٣/٤).
[13] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين البقاعي (١٥٧/٥).
[14] صحيح البخاري: (١٩/١) برقم (٢٨).
[15] ينظر: مسند البزار (٣٢٤/٢) برقم (٦٩٤٧) شعب الإيمان للبيهقي (٤٣/٦) برقم (٧٤٤٥) ومسند أبي يعلى (٦٦٥) برقم (٣٣١٥).
[16] المعجم الأوسط للطبراني: (٥٨/٦) برقم (٥٧٨٧).
[17] المعجم الكبير للطبراني: (٤٥٣/١٢) برقم (١٣٦٤٦).
[18] صحيح مسلم (٢٠٧٤/٤) برقم (٢٦٩٩).
[19] صحيح البخاري: (٢٢٥٣/٥) برقم (٥٧١٩).
[20] صحيح مسلم: (١٩٨٥/٤) (٢٥٦٣)
[21] صحيح البخاري (باب الهدية للمشركين) (٩٢٤/٢)برقم ٢٤٧٦) و(باب صلة الأخ المشرك) (٢٢٣٠/٥)برقم(٥٦٣٦).
[22] صحيح البخاري (١٣/١)برقم(١٠)
[23] مسند أبي يعلى (١٩٩/٧)برقم(٤١٨٧) ومسند أحمد بن حنبل (١٥٤/٣)برقم(١٢٥٨٣).
[24] سيرة ابن هشام (كتابه ﷺ بين المهاجرين والأنصار ومُوادعة يهود) (ص ٥٠٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٣٢٢/٢).
[25] معالم التنزيل للبغوي: (٣٧٠/٣).
[26] الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ٣١٣).
[27] كما جاء في رواية القاسم بن سلام في كتابه الأموال (١٧٨/٢) برقم (٦٢١)، وفي بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١/ ٥٠٨) برقم (٤٤٩).
[28] مسند أحمد بن حنبل (٣٦٤/٥) برقم (٢٣١٣٢).
[29] صحيح مسلم (١٩٩٤/٤) برقم (٢٥٧٧).
[30] سنن الدار قطني (٧٧/٣) برقم (٢٨٨)
[31] معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٠ / ١٢٠) برقم (٣٧٨٠).

[32] "تفسير معالم التنزيل للبغوي": (٢/٢١١).
[33] صحيح مسلم (٤/٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٤).
[34] صحيح البخاري (٦/٢٥١٨) برقم (٦٤٧٣).
[35] سنن البيهقي الكبرى (٨/ ٢٢) برقم (١٥٦٤٣).
[36] سنن البيهقي الكبرى (٩/١١٨) برقم (١٨٠٥٥) معرفة السنن والآثار للحافظ أبي بكر البيهقي: (١٤/٤١٧) برقم (٥٦٨٢)
[37] ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٣٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٤/٣٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٣/٢٦١).
[38] رواه أحمد في مسنده عن أنس ﷺ (٣/١٩٨) برقم (١٣٠٧٤) والبيهقي في السنن الكبرى عن جابر بن عبد الله ﷺ واللفظ له: (٣/١٨) برقم (٤٥٢٠).
[39] المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم الطبراني: (٢٢/٢٢١) برقم (٥٨٨).

ملف العدد

دور رسائل النور
في استعادة صياغة القرآن للإنسان

–ABSTRACT–

The Role of the Risale-i Nur in Remoulding Humanity in Accordance with the Qur'an

Ihsan Qasim al-Salihi

The Risale-i Nur is the main religious source for the Nur students. In Nursi's time; their access to reading and studying the Risale was very important for them while they were deprived from all other religious sources. The Risale-i Nur is the reason behind their high morals and distinguished behavior. Unfortunately, most people became separated from previous generations of Turks and from all sources of Islam due to the removal of the Arabic script and its conversion to Latin. The original Arabic script had evaded them as a result of the actions of the aggressive secularists in power. Thus, they were separated from the Qur'an and from every book written in Arabic. The Risale-i Nur then became their only source and unique reference to which they would refer in order to understand the truths of faith. It is by the blessing and favor of God Almighty that the Risale with its Qur'anic spirit has succeeded in holding the hands of its students and shifting their faith from being traditional to proven and real. It also elevated them to know God Almighty.

Thanks to this true faith that evolves in the heart of the Risale-i Nur's reader, he is born anew. The reader who reaches this state of belief feels the real meaning of being with God, that God is always present looking at him and caring about him. The reason behind this state of faith is the pure pillars of faith that are transmitted throughout the Risale-i Nur from Nursi to his readers. Those essentials of faith are not merely pure theoretical science, nor are they plain perceptions of mind. On the contrary, Nursi transmits his own Qur'anic entity to his reader through a cosmic and universal rich experience, dissolved in the Qur'ran.Thus, the lessons of the Risale-i Nur are alive and vital contemporary Qur'anic lessons. Between its lines there abides a miraculous secret that reforms the human being and shapes his soul again through its Qur'anic way and via self purification and remembrance of the Hereafter - protecting it from negligence. The Risale-i Nur contemplates and meditates on these

important issues. That is why it was successful in gaining acceptance from its readers. For that reason also, the Risale-i Nur effectively purifies the mind of its reader, moves his heart , illuminates his soul and awakens his conscious – so that he becomes a true servant of the Qur'an and defender of faith throughout all his actions.

Key words: Risale-i Nur, Human Purpose, Qur'anic Lessons, Nur Students, Faith

– ملخص البحث –

إحسان قاسم الصالحي[1]

إن رسائل النور هي المصدر الديني الوحيد لطلاب النور، فقد عكفوا عليها يقرأونها ويتدارسونها بعدما حيل بينهم وبين جميع المصادر الدينية، فهي مكمن السر وراء أخلاقهم العالية وسلوكاتهم الرفيعة. لقد حيل بين الأجيال السابقة من الأتراك وبين مصادر الإسلام كافة وذلك بتغيير الحروف العربية إلى اللاتينية، كما حيل بينهم وبين القرآن الكريم وبين كل ما كتب بالحرف العربي... فغدت رسائل النور لهم المصدر الوحيد والمرجع الفريد لاستلهام حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

وبفضل هذا الإيمان التحقيقي الذي تبعثه الرسائل في نفس قارئها تجعله وكأنه ولد من جديد، فهو دائما يشعر وكأنه بمعية الله وأنه دائما حاضر وناظر إليه لا يلهيه عنه أي شيء، كل هذا بسبب ما ينقله الأستاذ إلى قراء الرسائل من أركان إيمانية محضة التي ليست علوما نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم. فرسائل النور إذن هي دروس قرآنية توافق هذا العصر تتفجر حيوية وتتدفق أفكاراً حارة، بهذا فهي تخبئ في طياتها سرا عجيباً يصوغ الإنسان صياغة جديدة وذلك باتباعها سلوك المنهج القرآني في تزكية النفس ومحاسبتها وتذكيرها دوما بالآخرة وحمايتها من الغفلة، فكانت هذه الأمور التي أشارت إليها رسائل النور هي عوامل نجاحها وتقبلها من سائر القراء، لذلك فهي تفعل فعلها في تطهير ذهن القارئ وتحريك قلبه وتوجيه عقله وتنبيه روحه فيصبح خادماً حقاً للقرآن ومدافعا عن حقائق الإيمان في جميع تصرفاته.

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

عَقِبَ المحاضرة التي ألقيتها عن ترجمة رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغة العربية في قاعة كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب.[2] سألني أحد الطلبة قائلا:

''ما الذي دفعك للقيام بهذا المجهود الضخم بترجمة كليات رسائل النور في تسعة مجلدات من اللغة التركية إلى العربية، فإن جميع المصادر الإسلامية هي باللغة العربية ومنها تُترجم إلى اللغات الأخرى، فما الذي دفعك بالسير المخالف هذا؟.''

وكان جوابي جملة قصيرة:

أخلاق طلاب النور وسلوكهم الإسلامي. وعندنا كل من قرأ رسائل النور هو طالب النور، ولا أزكّي على الله أحداً.

نعم، عند لقائي طلاب النور في سنوات السبعينات لمست الإسلام حياً نابضاً ومعيشاً في حلّهم وترحالهم، بل اكتشفت فيهم صفاء الإيمان ونقاء الوفاء وصدق الإخلاص ودوام العطاء، واستشعرت بالاطمئنان والسكينة تغمران قلوبهم.

لست بدعاً في هذا الإعجاب تجاه هذا الإسلام الحي والإيمان الفتي. فقد لمس هذا الإيمان الحي كثير جداً ممن التقوا طلاب النور، وصرحوا به أو كتبوا عما شاهدوه.

فقد عبّر أخونا الأديب ''أديب إبراهيم الدباغ'' بقلمه السيال عن هذا السلوك الإيماني بعد ما خالطهم لمدة وجيزة فكتب قائلا:

''عندكم -يا أخوتي- وجدنا عظمة أصولنا الإيمانية وهي تشع بالنضارة والرّي... وفي رياضكم وقفنا على منابت جذورنا القرآنية وهي تموج بالخصب وتَسُحّ بالعطاء... ومن بين أيديكم كنا نتناول أبكار المعاني والأفكار في شَدَهٍ وذهول وكأننا لم نكن نعرف الإيمان قبل أن نرتشف معانيَه من كؤوسكم، ولم نكن نعرف القرآن قبل أن نسمعه من بين شفاهكم..فلا والله لا أدري ما أقول: أ أنتم بالإيمان تحيَون؟ أم يحيا الإيمان بكم؟ وهل بالقرآن تتحركون أم يتحرك القرآن بكم؟ فمذ عرفناكم عرفنا كيف يتحول الإيمان في نفس المؤمن إلى يقظة وجدان... وصحوة فكر... وهزة ضمير... ولهفة مشتاق...''[3]

وكتب الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد:

''إنّ من لا يصاحب طلبة النور ولا يخالط أجيالهم الشابة في إيمانهم العميق وهدوئهم البرئ، وأخلاقهم العالية ونظافتهم البديعة، ودروسهم الإيمانية المطهرة، لا يعلم مدى عمق أثر الإمام النُّوْرْسي في تربية الجيل الجديد على حب الله ورسوله، ثم حب العلم والفكر والعرفان والتغيير''.[4]

والأمثلة في هذا كثيرة وكثيرة جداً أكتفيت بهذين المثالين.

وساءلت نفسي: كيف نالوا هذا القدر الوافر من السلوك القويم والإيمان العميق الذي ينعكس نوره حتى على ملامحهم ناهيك عن أعمالهم وحركاتهم، على الرغم من حرمانهم من اللغة العربية بل حتى من الحروف العربية، بعد ما فعلت بهم فؤوس الحقد ومعاول الهدم والتخريب ما فعلت؟

لا شك أن السر يكمن في رسائل النور التي يقرأونها ويتدارسونها، ولا شيء غيرها... فلقد حيل بينهم وبين مصادر الإسلام كافة بتغيير الحروف إلى اللاتينية، بل حيل بينهم وبين القرآن الكريم... وغدت لهم هذه الرسائل المصدر والمرجع لاستلهام حقائق الإيمان. وبفضل الله سبحانه وتعالى استطاعت هذه الرسائل بروحها القرآنية أن تأخذ بأيدي طلابها من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي والعروج بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة مَن يصدُق عليه حديث جبريل عليه السلام الذي سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام، ثم قال: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).[5]

هذا الإيمان ''التحقيقي الشهودي'' هو الذي جعل طالب النور وكأنه في معية الله جلّ وعلا ''فيفكر دائماً في حضور الخالق الرحيم سبحانه ورؤيته له، أي أنّه حاضر وناظر إليه دائماً. فلا يلتفت عندئذٍ إلى غيره، ولا يستمد من سواه. حيث النظر والالتفات إلى ما سواه يخل بأدب الحضور وسكينة القلب''.[6]

هذا الإيمان ''التحقيقي الشهودي'' هو الذي جعل إيمانه بالملائكة إيماناً عميقاً حتى يستشعر وجودهم معه، فيأنس بهم كل حين..حيث أثبتت له رسائل النور وجود الملائكة والعالم الروحاني كثبوت وجود الإنسان والكائنات الأخرى من حوله.

هذا الإيمان ''التحقيقي الشهودي'' هو الذي جعل محبته للرسول الكريم ﷺ وسنته الشريفة مهيمنة على قلبه لا تغادره ليل نهار حتى في أبسط آدابها، لما تعلم من الرسائل أن ''شعاع السنة المطهرة هو الإكسير النافذ، فهي كافية ووافية لمن يبتغي النور، فلا داعي للبحث عن نور في خارجها''.[7]

هذا الإيمان ''التحقيقي الشهودي'' هو الذي جعل الحياة الآخرة عنده كحياة مشهودة شهادة عين وبصيرة، لكثرة ما استلهم من الرسائل من دلائل وجودها ويرى في آفاق الكون والحياة من نظائرها.

هذا الإيمان ''التحقيقي الشهودي'' هو الذي جعل طالب النور المدقق لا يجد في نفسه ضرورة إلى البحث عن مرشد طريقة ليحصل على الحضور القلبي الدائم والمعرفة الإلهية الدائمة. حيث إن رسائل النور قد بيّنت له أساسا مستفادا من قول الأستاذ:

''إن التوحيد الحقيقي -أسمى بكثير من معرفة تصورية مجردة- فهو حكمٌ وتصديقٌ وإذعانٌ وقبولٌ، بحيث يمكّن المرء من أن يهتدي إلى ربه من خلال كل شيء. ويرى في كل شيء السبيل المنورة التي توصله إلى خالقه الكريم، فلا يمنعه شيء قط عن سكينة قلبه واطمئنانه، واستحضاره لمراقبة ربّه''.[8]

أي أن في كل شيء ابتداء من الذرات وانتهاء إلى المجرات، نافذةً تطل على التوحيد، وفي كل منها دلائل وإشارات تدل مباشرة على الواحد الأحد بصفاته الجليلة.

لذا لا يجد طالب النور المدقق ضرورة إلى قول: ''لا موجود إلا هو'' ليحصل على الحضور القلبي الدائم وتذكر المعرفة الإلهية دائما. كما انه لا يحتاج أيضا إلى قول: ''لا مشهود إلاّ هو'' كما هو الحال لدى قسم من أهل الحقيقة، لينعم بالحضور القلبي الدائم... بل تكفيه إطلالة من نافذة الحقيقة السامية:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والأستاذ النُّوْرْسي لا ينقل إلى قراء الرسائل هذه الأركان الإيمانية علوماً نظرية مجردة، أو تصورات ذهنية باردة، وإنما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جداً، ذائبة في القرآن الكريم، قال رحمه الله:

''ما كتبتُ إلاّ ما شاهدت، بحيث لم يبق لنقيضه عندي إمكانٌ وهمي...''[9]

وقال أيضا:

''لا تحسبن أن ما أكتبه شيء مضغته الأفكار والعقول. كلا! بل فيض أفيض على روحٍ مجروح وقلب مقروح، بالاستمداد من القرآن الكريم، ولا تظنه أيضاً شيئاً سيالاً تذوقه القلوب وهو يزول. كلا! بل أنوارٌ من حقائق ثابتة انعكست على عقلٍ عليلٍ وقلبٍ مريضٍ ونفسٍ عمي''.[10]

ونراه مخاطبا القارئ:

''لا تخف من تمرد النفس؛ لأن نفسي الأمارة المتمردة المتجبرة انقادتْ وذلّلت تحت سطوة ما في هذه الرسالة من الحقائق! بل شيطاني الرجيم أُفحم وانخنس.

كُن مَن شئت، فلا نفسُك أطغى وأعصى من نفسي، ولا شيطانُك أغوى وأشقى من شيطاني''.[11]

فالرسائل إذن دروس قرآنية توافق هذا العصر تتفجر حيوية وتتدفق أفكاراً حارة. وحيث إن أساتذة فضلاء وعلماء أجلاء قد أثبتوا هذا بدلائل قوية تستحق كل تقدير في بحوثهم العلمية التي قدموها في المؤتمرات العالمية والندوات العلمية العديدة،[12] أحيل إليها وليس لي عليها من مزيد، سوى هذا الذي أقتبسه من كلام الأستاذ الدكتور عشراتي سليمان حيث قال:

''لم يترك القرآن بصمته الذهبية على روح النُّوْرْسي فحسب، بل لقد حمل تراثه برمته تلك البصمة، إذ جاءت آثار القرآن وخصائصه البنائية والمنهجية والأدائية ملموسة في النص النوري: تكرار تثبيتي، استدعاء توجيهي، استرسال تكميلي، تمثيل توضيحي، تخشيع، تذكير، تبصير، إدهاش، تحسيس بالطبيعة والكون، تركيز على التوحيد، جعْلُ الإنسان محور الوجود وغاية المخاطبات''.[13]

سر فعالية رسائل النور

ربما يرد بالبال سؤال:

صحيح أن رسائل النور تفسير متميز للقرآن الكريم يلائم مفاهيم هذا العصر، ولكن أليس هناك تفاسير قيّمة أخرى لأئمة أعلام؟ فأين إذن سر فعالية رسائل النور حتى استطاعت بفضل الله أن تبني في طول البلاد وعرضها مدرسة إيمانية روحية فكرية متكاملة وارفة الظلال مستقيمة المسالك آتت أكلها بإذن الله في كل مكان...؟

فالجواب: إن سر الفعالية يكمن فيما يستشعره كلُّ مَن يستمر على قراءة الرسائل، من التغير والتحوّل في قرارة ذاته؛ تحوّلٌ في نفسه، في فكره، بل في كيانه كله، حتى ينعكس على حياته.

وقد مررتُ بهذا التحول بنفسي، كما أفصح لي الكثيرون عما حدث لهم من التحول. وتحريت عن مكمن هذا السر العجيب كثيرا، وسألت عنه الكثيرين ومازلت أبحث وأتحرى. وكما لا يخفى ليس سهلا ذكر ما جرى ويجري من حالات التغير الروحي والتحول الفكري والإنقلاب النفسي، إذ لها خصوصيتها لكل فرد، ولكن الميزة المشتركة لدى الجميع:

أن في رسائل النور سراً عجيباً كأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة بفضل ارتباطها العميق بالقرآن الكريم، مضمونا ومنهجا ومقاصدا.

نعم، إن كل قارئ لرسائل النور بإمعان يشعر ويحس في كيانه بهذه الصياغة الجديدة، بل يكاد يلمسها لمس اليد في نفسه وفي روحه وفي قلبه، حتى إنه يرى بعد مدة من المداومة على القراءة كأنه إنسان جديد؛ عالمُه قد تبدل واتسع، نظرتُه إلى الوجود وإلى الأحداث وإلى كل ما حوله قد تجددت، عالمُه الداخلي قد غمره من الإطمئنان والسكينة والانشراح ما يذكّر بسعادة الآخرة قبل بلوغها، وعندئذ لا يتمالك نفسه من البوح بهذه المشاعر والجدة في كيانه إلى كل قريب وصديق. وهذا أمر واقع لا شك فيه. ولكن ربما يجد فيه من لم يقرأ رسائل النور مبالغة وغلواً ومدحاً وثناءً للرسائل أكثر مما تستحق. إلاّ أن الشاهد على أحقية هذا الكلام ألوف بل مئات الألوف ممن قرأوا ودرسوا رسائل النور، وليس فقط التركية منها بل حتى ترجماتها العربية والإنكليزية وغيرها من الترجمات. علماً أن شاهدين عدلين كافيان لإثبات صدق قضية من القضايا. ولما كنت عاجزاً عن بسط هذا الأمر ''صياغة رسائل النور للإنسان'' أكثر من هذا، سوف لا أذكر إلاّ بضعة عوامل من هذه الصياغة... أذكرها باختصار شديد.

عوامل فاعلية الرسائل في صياغة الإنسان:

إن عوامل هذه الفاعلية كثيرة جداً نذكر منها ستة بإيجاز:

سلوك منهج قرآني في تزكية النفس:

وهو طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر، طريق قصير سليم وسبيل سوي يمكن أن يعايشه القارئ في حياته اليومية معايشة واقعية، مقتصر على أربع خطوات:

الخطوة الأولى:

كما تشير إليها الآية الكريمة ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾[النجم:٣٢] وهي: عدم تزكية النفس. ذلك لأن الإنسان حسب جبلّته، وبمقتضى فطرته، محبٌ لنفسه بالذات، بل لا يحب إلا ذاته في المقدمة. ويضحي بكل شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحاً لا يليق إلا بالمعبود وحده، وينزّه شخصه ويبرئ ساحة نفسه، بل لا يقبل التقصير لنفسه أصلاً ويدافع عنها دفاعاً قوياً بما يشبه العبادة، حتى كأنه يصرف ما أودعه الله فيه من أجهزة لحمده سبحانه وتقديسه إلى نفسه، فيصيبه وصف الآية الكريمة: ﴿مَن اتّخذ إلهَه هَواه﴾[الفرقان:٤٣] فيعجب بنفسه ويعتد بها... فلابد إذن من تزكيتها فتزكيتُها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تزكيتها.

الخطوة الثانية:

تلقّن الآية الكريمة الإنسان من درس: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[الحشر:١٩] وذلك: أن الإنسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فإذا ما فكر في الموت صرفه إلى غيره، وإذا ما رأى الفناء والزوال دفعه إلى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، إذ مقتضى النفس الأمارة أنها تذكر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي: العمل بعكس هذه الحالة، أي عدم النسيان في عين النسيان، أي نسيان النفس في الحظوظ والأجرة، والتفكر فيها عند الخدمات والموت.

والخطوة الثالثة:

ترشد إلى الخطوة الثالثة الآية الكريمة: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[النساء:٧٩] وذلك: إن ما تقتضيه النفس دائماً أنها تنسب الخير إلى ذاتها، مما يسوقها هذا إلى الفخر والعجب. فعلى المرء في هذه الخطوة أن لا يرى من نفسه إلاّ القصور والنقص والعجز والفقر، وأنْ يرى كلّ محاسنه وكمالاته إحساناً من فاطره الجليل، ويتقبلها نعماً منه سبحانه، فيشكر عندئذ بدل الفخر ويحمد بدل المدح والمباهاة. فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سر هذه الآية الكريمة: ﴿قَد أفلَحَ مَنْ زَكّاها﴾.[الشمس:٩]

وهي أن تعلم بأن كمالها في عدم كمالها، وقدرتَها في عجزها، وغناها في فقرها، (أي كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقدرتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه).

الخطوة الرابعة:

نتعلم الخطوة الرابعة من الآية الكريمة: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالكٌ إلاّ وجْهَه﴾.[القصص:٨٨] ذلك لأن النفس تتوهم نفسها حرة مستقلة بذاتها، لذا تدّعى نوعاً من الربوبية، وتضمر عصيانا حيال معبودها الحق. فبادراك الحقيقة الآتية ينجو الإنسان من ذلك وهي: كل شيء بحد ذاته، وبمعناه الاسمي: زائلٌ، مفقود، حادث، معدوم، إلا أنه في معناه الحرفي، وبجهة قيامه بدور المرآة العاكسة لأسماء الصانع الجليل، وباعتبار مهامه ووظائفه: شاهد، مشهود، واجد، موجود.

فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة: أن عدمها في وجودها ووجودها في عدمها،

أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً، فإنها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها. يعني إذا غفلت عن موجدها الحقيقي وهو الله، مغترة بوجودها الشخصي فإنها تجد نفسها وحيدة غريقة في ظلمات الفراق والعدم غير المتناهية، كأنها اليراعة في ضيائها الفردي الباهت في ظلمات الليل البهيم. ولكن عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقاً أنها لا شيء بالذات، وإنما هي مرآة تعكس تجليات موجدها الحقيقي. فتظفر بوجود غير متناه وتربح وجود جميع المخلوقات.

نعم، من يجد الله فقد وجد كل شيء، فما الموجودات جميعها إلاّ تجليات أسمائه الحسنى جل جلاله...''[14]

٢- إزالة ركام الشبهات أمام الفطرة:

لاشك أن المخاطب في الوقت الحاضر غيره بالأمس، إذ شنّت عليه الضلالة هجوما شرساً لتجتث من قلبه جذور الإيمان، وكدّست في عقله ركام الشبهات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ووضعت بينه وبين فهم الآيات القرآنية الكريمة والآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، حواجز قاتمة وموانع كثيفة من ظلمات الفكر المادي وتفويض الأمور إلى تأثير الأسباب المادية باسم العلم والثقافة والتقدم، وغرزتها في فكره وذهنه سواء من خلال مناهج دراسية أو عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية. حتى أصبح المخاطب عاجزاً عن اختراق تلك الحواجز وتجاوزها والتخلص منها ليتمكن من التدبر في الآيات الكريمة ويستمد باستفاضة غذاءه الروحي والعقلي.

ولكن بمداومة قراءة الرسائل، والاستزادة الدائمة منهاوتزكية النفس بها، يزول ما علق بفطرته من الركامات، وتُزال من أمامها تلك الحواجز والموانع التي وضعتها وسائل الضلالة، حتى تسلَم فطرتُه وتُعافى، وتُفتح بصيرتُه وتنفُذ إلى إدراك الحقائق بإذن الله.

٣- النظرة الحرفية للكائنات والأحداث:

قال الأستاذ النورسي:

''اعلم! أنى أحمد الله على أن فتح لي أعاظم مسائل هذه الكائنات بمسألة من النحو، هي الفرق بين ''المعنى الحرفي والإسمى!..'' أي هذه الموجودات كلماتٌ دالات على معانٍ في غيرها، أي مكتوباتٌ ربانية تاليات للأسماء الحسنى، لا إسمية حتى تدل على معنى في نفسها لذاتها''.[15]

ويمكن أن نوضح النظرة الحرفية والنظرة الإسمية وهما ''زاوية نظر'' المؤمن بالمثال الآتي:

''إنك إذا نظرت إلى المرآة من حيث إنها زجاجة، ترى مادتها الزجاجية، وتكون الصورة المتمثلة فيها شيء ثانوي، بينما إن كان القصد من النظر إلى المرآة رؤية الصورة المتمثلة فيها، فالصورة تتوضح أمامك حتى تدفعك إلى القول ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون:١٤ بينما تبقى زجاجة المرآة أمراً ثانوياً.

النظرة الأولى تمثل ''المعنى الاسمي'' أي: زجاجة المرآة معنى مقصود، وصورة الشخص المتمثلة فيها ''معنى حرفي'' غير مقصود.

أما النظرة الثانية فصورة الشخص هي المقصودة، فهي إذن معنى ''إسمي'' أما الزجاج فمعنى ''حرفي''.

وهكذا ورد في كتب النحو تعريف الاسم أنه: ما دلّ على معنى في نفسه. أما الحرف فهو: ما دلّ على معنى في غيره.

فالنظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفاً، أي أنها تعبّر عن معنى في غيرها، بمعنى أنها تعبّر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجليلة للخالق العظيم المتجلية على الموجودات.

أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات، فتزل قدمُها إلى مستنقع الطبيعة''.[16]

''نعم! إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبَجَها على أوراق الأزمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى الموجودات -التي كل منها حرف ذو مغزى- بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسنَ خلقه! ما أجملَ خلقه! ما أعظم دلالته على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمالَ الحقيقي للكائنات.

لذا فإن رسائل النور أيضاً تسوق الأمثلة من الموجودات التي يعايشها القارئ للدلالة على الله سبحانه وتعالى، فتجعل لديه ''زاوية نظر'' ينظر منها إلى الكائنات والأحداث، وهي زاوية ''نظر حرفي'' أي من حيث دلالتها على الله سبحانه وتعالى.

٤- تمزيق أستار الألفة والعادة:

قال الأستاذ النورسي:

''لما عجز الإنسان بنظره السطحي أن يتذوق ما في جفان الكائنات وصحونها من غذاء روحي مغطى بغطاء الألفة، سئم من لعق الجفان ولَحْس الغطاء. ولم يفده سوى عدم القناعة، والتلهف إلى خوارق العادات والرغبة في الخيالات، مما ولّد لديه الرغبة في المبالغة للتجدد أو الترويج...''[17]

إلاّ أن الألفة -التي هي أخت الجهل المركب وأمّ النظر السطحي- هي التي عصبت عيون المبالغين. ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلاّ أمر القرآن الكريم بالتدبر والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين.

نعم! إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة. إذ تمزق الآيات البينات بيدها البيضاء حجاب الألفة والنظر السطحي...''[18]

فـ ''القرآن الكريم، ببيناته القوية النافذة، إنما يمزّق غطاء الإلفة وستار العادة الملقى على موجودات الكون قاطبة، والتي لا تُذكر إلاّ أنها عادية مألوفة مع أنها خوارق قدرةٍ بديعة ومعجزاتها العظيمة. فيكشف القرآن بتمزيقه ذلك الغطاء حقائق عجيبة لذوي الشعور، ويُلفت أنظارهم إلى ما فيها من دروس بليغة للاعتبار والعظة، فاتحاً كنزاً لا يفنى للعلوم أمام العقول''.[19]

ورسائل النور تقتفي أثر القرآن العظيم في تمزيقه لغطاء العادة والمألوف، إذ ما أن يطالع المرء رسائل النور ويداوم على قراءتها حتى يشاهد أن الأستار المانعة من رؤية الحقائق وحُجُبَها الملقاة على الموجودات والأحداث تتمزق أمامه وتتلاشى، فيرى معجزات القدرة الإلهية وخوارق العادات في عين العاديات من الأمور والأشياء التي أصبحت شفافة تشف عما تحتها ووراءها، فيرى من خلال حجب الأسباب الظاهرية للأحداث والوقائع، الأسبابَ الحقيقية للقدر الإلهي والحكمة الربانية. فلا يضطرب تجاه الحوادث ولا يقلق أمام المصائب والنوائب.

وهكذا بتحرره من النظر السطحي العابر، وبزوال ركام الشبهات والحواجز، وتزكية نفسه ينفتح أمامه باب واسع جداً، نستشفه في الفكرة الموالية.

٥- التعامل مع معاني الأسماء الحسنى:

وذلك بعدما بدأ ينظر إلى الموجودات بالمعنى الحرفي حيث تفتقر إلى معنى في ذاتها ويحتاج لمعرفة ماهيتها إلى إسم من الأسماء الحسنى؛ حتى تصبح هذه النظرة لديه مَلَكة. إذ يشعر أنه يزاول تعاملاً ذوقياً وقلبياً وروحياً وفكرياً مع معاني الأسماء

الحسنى، لا تعاملا نظريا، بل استكشافياً، فيشاهد أنوار تجليات تلك الأسماء فيما حوله من موجودات، وفي الحوادث اليومية، لكثرة ما تضع الرسائل بين يديه من ضرب الأمثال الحياتية الواقعية، فيحيا بتلك المعاني الجميلة بعقله وقلبه وروحه بل بجميع لطائفه وأحاسيسه ومشاعره.

وبهذا تصبح الموجودات والحوادث لقارئ الرسائل مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى ومكاتيب ربانية مفتوحة يفهم منها معانيها الحقيقية، حتى لا يبقى مجال للغفلة عن المولى الكريم، بل يكسب بالتأمل فيها مرتبة من الاطمئنان واسعة سعة الكون، وتفتح أمامه عبودية دائمة وواسعة سعة الكون... وعندها تتحول أنواع العلوم التي يقرؤها من خلال مناهج دراسية وأشكال الثقافة التي يتلقاها عبر قنوات ثقافية وإعلامية المسموعة منها والمرئية إلى أدوات لمعرفة الله ونوافذ تطل على التوحيد. وكلما عاود القراءة، ظهرت له من معاني الأسماء الحسنى أكثر، وأتته حقائقها تترى في تجاربه اليومية وفي معاملاته الحياتية. وكلما انسكبت أنوار من تلك المعرفة الإلهية إلى روح طالب النور ونفذت إلى قلبه انعكست في سلوكياته وتصرفاته، حتى تطفح على محياه.

علاوة على ذلك تنعش الرسائل روحَ القارئ وتغرز في قلبه وترسخ في عقله أصولاً إيمانية وموازين قرآنية، مما يعينه على اجتياز العقبات التي تجابهه وحل المشكلات التي تقابله.

وربما تحدث هذه العوامل؛ من تمزق أستار العادة أمام نظر القارئ وزوال ركام الشبهات عن فطرته واكتسابه موازين قرآنية وتعامله مع معاني الأسماء الحسنى، لدى دراسته رسالة واحدة من رسائل النور... وربما تحدث باطلاعه على عدد من الرسائل إن أراد المزيد، فيغنم فراسة صادقة وبصيرة نافذة وأنواعاً من السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة.. في معرفة الله... في محبة الله.

فهذا النظر إلى الكائنات والأحداث هو نظر قرآني محض حيث لا يقضي على الكائنات بالعدم كما هو لدى بعض الطرق الصوفية ولا يسجنها في سجن النسيان المطلق كما هو لدى البعض الآخر من الطرق، بل ينقذ الكائنات من الإهمال والعبثية ويجعلها مسخرة في سبيل الله سبحانه، جاعلاً من كل شيء مرآة تعكس أنوار المعرفة الإلهية، فاتحاً في كل شيء نافذة تطل إلى المعرفة الربانية.

٦- الحضور الأخروي:

قال الأستاذ النورسي:

''إن هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثّر عليه من متطلبات الحياة وضيّق عليه مواردَها، وحوّل حاجاته غير الضرورية إلى ضرورية بما ابتلاه من تقليد الناس بعضهم بعضاً ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. هذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له...''[20]

ولما كانت رسائل النور تستقي من فيض القرآن وتستمد من بحره وترجع إليه، وأن رُبع القرآن الكريم آيات حول الآخرة، فما يفتح القارئ رسالة إلاّ ويجد فيها ما يذكّره بالآخرة تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، بأمثلة واقعية من حياته اليومية، فيغدو ''الكون بسر التوحيد، بمثابة مزرعة تهيئ محاصيل وفيرة جداً لعالم الآخرة ومنازلها... وبمثابة مصنع عظيم يهيئ لوازم لطبقات دار السعادة من أعمال بشرية غنية بمحاصيلها... وبمثابة جهاز تصوير سينمائي دائب عظيم يضم مئات الألوف من أجهزة الالتقاط لالتقاط صور من الدنيا وعرضها مناظر سرمدية لأهل عالم البقاء ولأهل الشهود في الجنة''.[21]

فضلا عن أنه تعلّم من الرسائل أن الآخرة ليست منتهى الدنيا، بل هي موجودة الآن فتُرسل إليها أعماله وأقواله في كل آن، وصدق الله العظيم: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾...فاطر:١٠ وبهذا يتكامل حسّه الأخروي، فتكون الآخرة قريبة إليه كأنه يشاهدها مشاهدة عين وبصيرة ويعايشها معايشة حياتية.

ولقد وفق الله سبحانه الأستاذ الجليل أبوالحسن على الحسني الندوي رحمه الله، في بيان الفرق المميّز بين منهج الأنبياء في الدعوة إلى الآخرة وبين منهج الإصلاحيين في الدعوة إليها، فقال:

''ولم تكن دعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة، والإشادة بها كضرورة خلقية، أو كحاجة إصلاحية، لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة، فضلا عن المجتمع الإسلامي، وهذا وإن كان يستحق التقدير والإعجاب، ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء وسيرتهم، ومنهج خلفائهم اختلافاً واضحاً، والفرق بينهما أن الأول -منهج الأنبياء- إيمانٌ ووجدانٌ، وشعورٌ وعاطفةٌ، وعقيدةٌ تملك على الإنسان مشاعرَه وتفكيَره وتصرفاته، والثاني اعترافٌ وتقريرٌ، وقانونٌ مرسومٌ، وأن الأولين يتكلمون (عن الآخرة) باندفاع والتذاذ، ويدعون إليها بحماسة وقوة، وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية، والحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي، وشتان ما بين الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية''.[22]

وصدق أخونا الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في وصفه طلاب النور: ''إن طلاب النور يشعرونك أنك أمام عمّال الآخرة. إن أنداء الجنة تفوح من قلوبهم وهم يمارسون مهامهم''.[23]

٧- الشعور بالعناية الربانية:

إن كل مؤمن صادق يشعر بلا شك أنّه تحت رعاية الله وعنايته الربانية، ولكن شعور قارئ رسائل النور شعور حيّ ملازم له حيث يرى آثار هذه العناية باستمرار وكأنها لا تفارقه، إذ يستشعرها دائماً بأحاسيسه المتيقظة ولطائفه المتنبهة، حتى لكأن العناية الربانية تأخذ بيده وتهديه إلى سواء السبيل... هكذا تمضي حياة قارئ رسائل النور في يقظة شعورية مع اطمئنان قلبي وراحة نفسية. حتى إذا ما غفل وفتر عن العمل القرآني لسبب من الأسباب بمقتضى بشريته وأخطأ فالعناية الربانية توقظه بـ ''لطمة رحمة ورأفة'' كما يعبّر عنها الأستاذ النورسي الذي قال: ''إن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والإهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف، وينتبهون من غفلتهم، ويسرعون بجد للخدمة مرة أخرى...''[24]

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى إنّه بهذه العوامل التي ذكرناها وهي قليل من كثير من عوامل النجاح المتمازجة، والتي ليست متسلسلة، تفعل الرسائل فعلها في تطهير ذهن القارئ وتحريك قلبه وتوجيه عقله وتنبيه روحه فيصبح خادماً حقاً للقرآن ومن ثمّ حقائق الإيمان، في أخلاقه، في سلوكه، في كلامه، في عمله، في تفكيره، في جميع تصرفاته.

* * *

الهوامش:

[1] مركز بحوث رسائل النور – إسطنبول.

[2] وذلك في فبراير سنة ١٩٩٨.

[3] أديب إبراهيم الدباغ، سعيد النورسي رجل الإيمان في محنة الكفر والطغيان. دار الأنوار إسطنبول.

[4] مقدمة المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي ''نحو فهم عصري للقرآن الكريم: رسائل النور أنموذجاً''. سنة ١٩٩٨.

[5] حديث متفق عليه.

[6] النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات ص٢٤٧، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

[7] اللمعات ص٩٠.

[8] النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات ص ١٩٧، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣.

[9] النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري ص١٠٤، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٤.

[10] المثنوي العربي النوري ص٣١٨.
[11] المثنوي العربي النوري ١٤-١٥.
[12] انظرالمؤتمر العالمي الثالث والرابع لبديع الزمان سعيد النورسي بإسطنبول أيلول سنة ١٩٩٥و١٩٩٨، والندوة الدولية ''جهود بديع الزمان سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي'' ١٨ مارس ١٩٩٩ جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط - المغرب.
[13] بديع الزمان النورسي: سيمياء الشكل والصميم- المقدمة، مطبعة نسل، استانبول ٢٠٠٠.
[14] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات ص ٥٦٠، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.
[15] المثنوي العربي النوري ص ٣٥٢.
[16] اللمعات ص ١٧٢- الملاحق -ملحق بارلا ص ٩٠.
[17] النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام محاكمات عقلية ص ٦٤، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٥.
[18] صيقل الإسلام - محاكمات عقلية ص ٦٣.
[19] الكلمات ص ١٥٠.
[20] الملاحق ص ١٤٥.
[21] الشعاعات ص ١٥.
[22] أبو الحسن علي الحسني الندوي، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص٥٢، مكتبة وهبة، ط٢ ١٩٦٥ القاهرة.
[23] جريدة التجديد المغربية العدد ١٢١.
[24] اللمعات ص٦٧.

الإنسان في رسائل النور
وجودا، ومهمة، وغاية

–ABSTRACT–

The Human Being in the Risale-i Nur in Respect of His Existence, Significance, and Purpose

Prof. Dr. Faruq Hammada

God created man and subjected to him the vast universe at his disposal in order to wander in it the way he wills and fulfil his needs. Moreover, God provided man with all means and gave him a superior rank over all creation. Thus, it became clear that man is the purpose of creation and that he is the ultimate result and precious fruit. Hence, man has gained the honour to be the vicegerent on earth. The wisdom behind the creation of man is to worship Almighty God. Therefore, man has to recognize the features which God has honoured him with. Then, he has to truly know his Creator, because it is the most important issue in his life. However, many people have forgetfully denied this issue. They spread mischief on earth through their arrogance. That is why Nursi, dedicated himself and his entire life to enlighten those who are lost and guide them to the truth. Nursi devoted himself to guide their steps and ease the way for them. For that reason, Nursi established proofs and evidence from the Holy book of Qur'an and from the book of creation so that they are confirmed and accepted in hearts and minds beyond any doubt for anyone who has a heart or gives ear while he is heedful.

Keywords: Risale-i Nur, Purpose of Life, Viceregency, Proofs of the Quran, Book of Creation

– ملخص البحث –

أ.د. فاروق حمادة[1]

خلق الله الإنسان وجعل له الكون بفساحته تحت تصرفه، يسرح فيه كيف يشاء حسب حاجاته الفطرية، ومدّه بشتى الوسائل وجعله ثمرة خلقه، فأصبحت له أهمية

عظمى وقيمة عالية مقارنة بسائر المخلوقات، فظهر بذلك أنه هو المقصود من حكمة خلق الكائنات، وأنه هو النتيجة العظمى، وثمرتها النفيسة، فنال شرف خليفة الله في أرضه.

إن حكمة الله من خلق هذا الإنسان هي عبادة الله عز وجل، فعليه بعد معرفة هذه الميزات التي شرفه بها أن يعرف خالقه حق المعرفة، لأنها أهم قضية في حياته. غير أن كثيرا من الخلق ترك هذه القضية وتناساها وطغى في الأرض وتكبر، لذلك نذر الأستاذ النورسي رحمه الله نفسه وكرس حياته كلها لتبصير هؤلاء الضالين بهذه الحقيقة العالية، وتنوير طريقهم وسلك السبل أمام فهمهم لإيضاحها، فأقام لذلك الحجج والبراهين والبينات من القرآنين المنظور والمسطور لبيان قطعيتها وترسيخها في العقول والقلوب بما لا يدع مجالا للشك عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

حمداً لك يا من أنرت هذا الوجود بكتابك وهديك، الذي يحمله الركّع السجود من عبادك، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله نبيّك وعبدك، وعلى آله الأخيار، وصحابته الأبرار، أما بعد:

فإنّ من المعالم الفكرية الإسلامية البارزة في القرن الرابع عشر الهجري، رسائل النور، التي شقّت طريقا في الدعوة الإسلاميّة جديدا، وقاومت دياجير الظلمات والمدلهمات بنور القرآن وحيدا فريدا، وقدّمت لمن حولها وللآتين بعدها مهيعا قرآنيا رشيدا سديدا، فجزى الله مصنفها الأستاذ النورسي عن الإسلام والمسلمين، وبوّأه في الملأ الأعلى مكانا رفيعا حميدا.

وإنّ الحديث عن هذا الإمام الفذ ذو الشجون والآفاق، حري بأهل الدعوة والفكر وحملة القرآن والرسالة، ودعاة السنة، ومحاربي الجهالة والضلالة أن يقفوا أمام رسائل النور طويلا، ويرجعوا البصر في أفكاره المشعة ونظراته للكون والحياة والإنسان تكرارا ومرارا، ليمتحوا منها في عالم لم يتغير كثيرا عما عاشه مؤلفها، وعالج قضاياه بكل حكمة واتّزان واهتمام، بل إنّ كثيرا مما عالجه قد تعمق جرحه واستفحل خطره، وما أحوج البشرية إلى البلسم القرآني، والدواء الرباني لتضميد جراح الروح والنفس والجسد والمجتمع، فقد كان هذا الإمام يقدم المراهم والبلاسم من صيدلية القرآن جاهزة للاستعمال، سهلة قريبة المنال.

وسأتناول -بعون الله- في هذه الحلقة موقع الإنسان في تفكير هذا الإمام في

وجوده، ومهمته، وغايته، وهو حديث طويل يمكن النظر إليه من جوانب شتى، أتناول اليوم بعضها على الإختصار، مكثرا من أقواله، لأنها تحمل أفكاره صافية نقية...

١- لقد أعلن الإمام النُوْرْسي في كثير من كتاباته، أن عمله لا يعدو أن يكون عمل دلال في حانوت مجوهرات القرآن، يدل الناس على هذه المجوهرات المتاحة المباحة للآخذين، ليقبسوا منها، وينتفعوا بها، ويصلوا إلى الغاية المرجوة منها.

وبذلك بيّن أن ميدان عمله هو الإنسان أينما كان، وبأي لون، ودين وزمان. يقول رحمه الله في ذلك: شخصية مؤقتة خالصة لخدمة القرآن وحده، بكوني دلالا لخزينة القرآن الحكيم السامية.[2]

ويقول: وكما يقوم شخص مفلس لا يملك شيئا بدور الدلال لدكان مجوهرات غالية جدا، فأنا كذلك دلال أمام دكان مقدس هو القرآن الكريم.[3]

ويقول: فنحن مع أننا مفلسون ليس لنا شيء، إلا أننا أصبحنا خداما ودلالين في معرض أغلى المجوهرات.[4]

ويقول: فأنا لست المالك للبضاعة -بضاعة النور- بل لست إلا دلالا ضعيفا بسيطا في حانوت مجوهرات القرآن.[5]

لقد كان يعتز بهذه المهمة أيما اعتزاز، ويجعلها له أعظم انتماء، وأغلى شرف.

أما سوق القرآن، ودكان مجوهراته، فهو هذا الكون الفسيح الرحيب بكل أنواع مكنوناته، وكل مصنوعاته وأشيائه، من وهاد وبحار، وجبال وأشجار، وأرض وسماء، ونجوم متدلية في جميع الأرجاء، وأزهار وأثمار...

ويربط هذه الجواهر التي تحمل طابع القدرة الإلهية، والحكمة الربانية، وبدائع الصنعة الصمدانية، يربطها بآي القرآن الكريم المسطور المقروء، ويوائم بإحكام بين المسطور والمنظور ليؤكد لكل ذي لب، أن الذي أنزل هذا المسطور، هو الذي أبدع وأوجد المنظور، وكلاهما جواهر تدل على بارئها. فياله من حكيم عليم؟!!

يقول رحمه الله: إن الأرض التي هي بمثابة قلب الكون، قد أصبحت مشهدا لعجائب مصنوعات الله البديعة، ومحشرا لغرائب مخلوقاته الجميلة، ومقرا لقافلة موجوداته الوفيرة، ومسجدا لعباده المتراصين عليها صفوفا، ومكانا لأداء عباداتهم.

هذه الأرض تظهر من شعاع التوحيد ما يملأ الكون نورا وضياء.[6]

٢- لقد نظر الإمام النُوْرْسي في عوالم الكون التي يقول: إنها تبلغ نحوا من

ثلاثمائة ألف أو أربعمائة ألف عالم، وتأملها جيدا في دورانها وتبدلاتها، في موتها وحياتها وحدد موقع الإنسان المخاطب منها، وبين ما فيه من ضعف وقوة، وإقدام وتأخر ومواهب وطاقات... فوجد أن هذا الإنسان ضعيف ومصائبه كثيرة، فقير ولكنه في حاجة إلى الازدياد، عاجز إلا أن تكاليف عيشه مرهقة...[7]

وهذا الإنسان ضعيف بالفطرة، ومع ذلك فما أكثر المنغصات التي تورث الحزن والألم، هو عاجز جدا، مع أن أعداءه ومصائبه كثيرة جدا، وهو فقير جدا مع أن حاجاته كثيرة وشديدة، وهو كسول وبلا اقتدار، مع أن تكاليف الحياة ثقيلة عليه... يده قصيرة، وعمره قصير، وقدرته محدودة وصبره محدود...[8]

ولكن هذا المخلوق الضعيف العاجز القاصر قد زوده الله بأجهزة، ومواهب فاق بها سائر المخلوقات، وارتقى في القرب من ربه إن أطاعه أعلى الدرجات، فكان ألطف ثمرة العالم، والمعجزة الجامعة للخالق الحكيم لأنه نموذج مصغر للكون كله

يقول رحمه الله: إن الإنسان هو الثمرة النهائية لشجرة الخلقة، ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة وأجمعها وألطفها، لذا فالإنسان ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الإلهية، وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا...[9]

بل إن الإنسان -كما يراه الأستاذ النُوْرْسي- هو فهرس للكون العظيم، ونسخة جامعة لما في الوجود من خواص حتى يشعره الحق سبحانه وتعالى جميع أسمائه الحسنى المتجلية بما أودع في نفس الإنسان من مزايا جامعة...[10]

وأما عن أجهزته التي أكرمته بها الرحمة الإلهية، وقد فاق بها سائر المخلوقات، وتميز بها عن سائر الموجودات، وغدا سيد الكائنات، فيقول رحمه الله: الإنسان الذي وهبت له هذه الأجهزة المعنوية واللطائف الإنسانية، التي إذا ما قيست كل واحدة منها بما في الحيوان لظهرت أنها أكثر انبساطا، وأبعد مدى بمائة مرة، فمثلا؛ أين عين الإنسان التي تميز جميع مراتب الحسن والجمال؟

وأين حاسته الذوقية التي تميز بين مختلف المطعومات بلذائذها؟

وأين عقله الذي ينفذ إلى قراره الحقائق، وأدق تفصيلها؟

وأين قلبه المشتاق إلى جميع أنواع الكمال؟

أين هذه الأجهزة وأمثالها مما في الآلات الحيوانية البسيطة التي قد لا تنكشف إلا لحد مرتين أو ثلاث؟! فما عدا الأعمال الخاصة المناطة بجهاز خاص في حيوان

معين!! والذي يؤدي عمله بشكل قد يفضل ما عند الإنسان الذي ليس من مهمته مثل هذه الأعمال والوظائف.... وبسبب فطرته البديعة المهيأة لشتى أنواع العبادة، فقد منح استعدادا جامعا لبذور الكمال...[11]

هذا الإنسان الممنوح الموهوب المفضل يراه الأستاذ النُوْرْسي، وفي يده مفتاح يفتح به طلسم الكائنات، ويدخل أبواب الكنوز المخفية لخالق الكون، وهي له دون غيره، فهي مرتبة لا يدانيها أحد حتى الملائكة المقربون، الذين لا يتخطون مهما تهم ولا يتعدون مأموراتهم...

يقول رحمه الله: إعلم أن مفتاح العالم بيد الإنسان، وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب ظاهرا، إلا أنها منغلقة حقيقة، فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح كل أبواب العالم، وطلسما، يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون...[12]

وهذا الكون قد سخره الله تعالى بكل أرجائه لهذا الإنسان يسبح فيه عابدا، خاشعا، سيدا مع ضعفه، مشرفا مكرما، مع قصوره، وحقارة ماديته. وفي هذا يقول الأستاذ النُوْرْسي: نعم أيها الإنسان، إنك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير، وجزئي حقير، ومخلوق فقير، وحيوان ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة، إلا أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان، المتضمن لضياء المحبة الإلهية، سلطان في هذه العبدية... وإنك كلي في جزئيتك، عالم واسع في صغرك... لك المقام السامي مع حقارتك، فأنت المشرف ذو البصيرة النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة حتى يمكنك القول: إن ربي الرحيم قد جعل لي الدنيا مأوى ومسكنا، وجعل لي الشمس والقمر سراجا ونورا، وجعل لي الربيع باقة ورد زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادما ذليلا وأخيرا جعل لي النبات زينة وأثاثا، وبهجة لداري ومسكني.[13]

بل إن هذا الكون عند الأستاذ النُوْرْسي سفرة عظيمة تتلذذ بها أنواع المعدات الإنسانية المادية والمعنوية، وله بإنسانيته السيطرة على جهات شتى من الأرض وما حولها لأنه ثمرة الخلق، ومعرض الصنائع البديعة للخلاق الحكيم، مما جعل هذا الإنسان مثار إعجاب لأهل السماوات، يقول رحمه الله: وما دام ابن آدم يحكم في شتى جهات هذه الأرض، ويتصرف في أغلب مخلوقاتها، مسخرا أكثر الأحياء له، جاعلا أكثر المصنوعات تحوم حوله، وفق مقاييسه وهواه وحسب حاجاته الفطرية،

ينظمها ويعرضها ويزينها، وينسق الأنواع العجيبة منها في كل مكان، بحيث لا يلفت نظر الإنس والجن وحدهم، بل يلفت أيضا نظر أهل السماوات والأرض قاطبة، بل حتى نظر مالك الكون، فنال الإعجاب والتقدير والاستحسان، وأصبحت له من هذه الجهة أهمية عظمى، وقيمة عالية، فأظهر بما أوتي من علم ومهارة أنه هو المقصود من حكمة خلق الكائنات، وأنه هو النتيجة العظمى، وثمرتها النفيسة، ولا غرو فهو خليفة الله...[14]

هذا الإنسان يراه الأستاذ النُوْرْسي أروع معجزات القدرة الإلهية، بمثابة كون مصغر، وكأن الحياة وسيلة لانطواء الكائنات في ذلك الكائن الحي الصغير بما تظهر فيه ما يشبه فهرس الكون العظيم، كما تجعله في رباط وثيق مع معظم الموجودات.[15]

ولقد بين الأستاذ النُوْرْسي في تفسير دقيق يعد من مبتكراته، وعميق نظراته، أن الأرض كانت في القرآن الكريم تقرن دائما بالسماوات، فالأرض واحدة توازي السماوات السبع جميعا، فلماذا يا ترى؟

يقول رحمه الله: ومن هنا فإن مهد هذا الإنسان ومسكنه وهو الأرض كفء للسماوات معنى وصفة، ومع صغر الأرض وحقارتها بالنسبة إلى السماء فهي قلب الكون ومركزه، ومشهد جميع معجزات الصنعة الربانية ومظهر جميع تجليات الأسماء الحسنى وبؤرتها...

وهي مزرعة ضيقة مؤقتة لاستنبات بذور البساتين الدائمة الخالدة، أي الإنسان ومن هذه العظمة المعنوية للأرض وأهميتها من حيث الصنعة جعلها القرآن كفؤا للسماوات وعدلا لها مع أنها بالنسبة للسماوات كالثمرة الصغيرة بشجرتها الضخمة... فيكرر الآية الكريمة: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.[16]

ويقول: كأنها قلب صغير لجسد ضخم.[17]

أليس هذا هو الإنسان، وهذا هو موقعه من الكون حقا كما صوره ببلاغة وبراعة هذا الإمام؟!! ولا يزيد تقدم العلم والمعرفة، واكتشاف مجاهيل الأرض وأقطار السماء، وتقارب البعيد، وتيسير العسير، لما قاله هذا الإمام إلا تأكيدا وتعضيدا، وما ذلك إلا لأنه اغترفه من معين جواهر القرآن.

٣- هذا الإنسان الذي خلق في أحسن تقويم، وبلغ من التشريف والاحترام المبلغ العظيم أليست له مهمة وغاية في رحلته وسياحته الدنيوية هذه؟ أم أنه وجد عبثا، وسيذهب سدى؟! ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾. المؤمنون:١١٥

يفصل الأستاذ النُوْرْسي رحمه الله مهمة هذا الإنسان فيقول: إن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضيفا وموظفا، ووهبت له مواهب واستعدادات مهمة جدا، وعلى هذا أسندت إليه وظائف جليلة...

ولكي يقوم الإنسان بأعماله، وليكد ويسعى لتلك الغايات والوظائف العظيمة فقد رغب ورهب لإنجاز عمله.[18]

لقد خلق الإنسان لعبودية الله، بعد معرفته، ومعرفة الله أهم قضية في حياة الإنسان، ولذلك نذر الإمام النُوْرْسي نفسه لتبصير الغواة الضالين بهذه الحقيقة، ودفعهم في طريقها، وأقام الحجج والبينات من الوجود المادي على قطعيتها، بما لا يدع مجالا للشك عند العقلاء، يقول رحمه الله: إن أعظم إحسان أعده في هذا الزمان، وأجل وظيفة هو إنقاذ الإيمان والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة.[19]

إن خدمة رسائل النور هي إنقاذ الإيمان، وأما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية، وإن إنقاذ إيمان شخص واحد من الضلال أهم بكثير، وأجزل ثوابا من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية.[20]

إن رسائل النور لا تعمر تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتا صغيرا مهدما، بل تعمر أيضا تخريبات كلية... نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.[21]

وإن ما أقامه الأستاذ النُوْرْسي على قضية الإيمان ومعرفة الله من أدلة وبراهين ساطعة يصعب حصره، ولكنه كان ينبه الغافلين إلى هذا الكون ليصل بذلك إلى معرفة من كونه، وقد كانوا في تلك الفترة -وما زالوا- ينكرون الغيب، ولا يؤمنون إلا بالمادي المحسوس، فانظر على سبيل المثال النافذة العشرين من الكلمة الثالثة والثلاثين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾،يس:٨٣ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾الحجر:٢١-٢٢ حيث يقول: ... وانظر الآن إلى الرياح تر أنها تجري لإنجاز وظائف وخدمات جليلة...

وانظر الآن إلى الينابيع والجداول والأنهار، وتأمل في تفجّرها من الأرض والجبال، تجد أنها لا مصادفة فيها ولا عبث قط...

أنظر إلى الأزهار والأثمار تجد أن بشر وجوهها، وحلاوة مطعوماتها، وجمالها الأخاذ ونقوشها البديعة، وشذى عطرها الطيب، بمثابة دعاة وأدلاء إلى ضيافة الرب الكريم والمنعم الرحيم.

وانظر إلى الطيور...

وانظر إلى السحب الثقال...

وانظر الآن إلى السماء وتمعن في القمر وحده من بين أجرام لا حصر لها...

وهكذا يفتح كل ما ذكرنا من العناصر الكلية، ابتداء بالضوء، وانتهاء بالقمر، نافذة واسعة تبين وجود الله سبحانه، وتظهر وحدانيته، وتعلن عن كمال قدرته وعظمة سلطنته بمقياس أعظم وأكبر، وبألوان شتى، وأنواع مختلفة...[22]

ويقول رحمه الله: أيها الغافل، تأمل في وجه الكائنات تجد أن صحيفة الموجودات ما هي إلا بمثابة رسائل متداخلة، بعضها إلى البعض الآخر، مبعوثة من قبل الأحد الصمد، وأن كل رسالة منها قد ختمت بما لا يعد من أختام التوحيد، ترى من يجرؤ على تكذيب هذه الأختام غير المتناهية..[23]

وإن الأمر الباهر المدهش عند الأستاذ النُوْرْسي في سوقه الأدلة المادية الملموسة هو أنه يربطها بحكمة وجودها، وآثار هذا الوجود، وبموضعها الدقيق المحكم من الكون، وهي في خدمة الإنسان وتيسير الحياة، إذ لو تخلفت لاختلّ النظام، وانعدم الأنام، وكلهم غير قادرين على التصرف فيها أو تغييرها، فما عليهم إلا الإذعان والاستسلام.

ويبن رحمه الله تعالى أن هبوط آدم إلى الأرض، وحلول هذا المكرم ضيفا فيها له حكم جليلة، ومرام بانية سامية، يقول رحمه الله:

حكمته التوظيف، فقد بعث إلى الأرض موظفا موكولا إليه مهمة جليلة، بحيث إن نتائج تلك الوظيفة هي جميع أنواع الرقي المعنوي البشري، وانكشاف جميع استعدادات البشر ونمائها، وصيرورة الماهية الإنسانية فيه مرآة جامعة للأسماء الحسنى...[24]

هذه الوظيفة الإنسانية التي أوكلت يفصلها في موضع آخر ويجعلها ثلاثا أساسية أنيطت بهذا الإنسان:

الأولى: تنظيم جميع أنواع النعم المبثوثة في الكائنات، وربطها بأواصر المنافع التي تخص الإنسان، فيربط رؤس خيوط النعم بمصالح الإنسان ومنافعه، ويغدو الإنسان عندئذ أشبه ما يكون بفهرس لأنواع ما في خزائن الرحمة الإلهية، ونموذجا لمحتوياتها، ويكون بذلك: المحور، والمظهر، أي محور هذه النعم، ومحل ظهورها.

والثانية: بأهليته وخصائصه يصبح قابلا لتلقي الخطاب الإلهي، ومعرفته ببدائع الصنعة التي تدور حوله، ويمسك خيوطها، وبذلك يتوجب عليه تقديم آلاء الشكر والثناء، والحمد الشعوري التام على ذلك، يقول رحمه الله: إن الصبغة الربانية التي هي فطرة الإنسان قد فتحت زهرة الخطاب الإلهي...[25]

والثالثة: بأهليته المحدودة، وقدراته الدقيقة، يقوم بمهمة عاكسة في هذه الحياة لتجليات الأسماء الحسنى، وخاصة (الحي القيوم)، فيدرك القدرة المطلقة من خلال عجزه، والرحمة الواسعة من ضعفه وفقره، وهو بهذا مرآة قياس للصفات الإلهية ويدرك من خلال محدود علمه، وإرادته وقدرته، الصفات الإلهية التي تتجلى في الخلق والعظمة والحكمة، وبما أودع فيه من حب البقاء، وغرز في فطرته من النفور من القبح والفناء. فإنه بذلك يعكس صفات (الحي الباقي الجميل)...[26]

فتتفتح في قلب الإنسان المحبة والتعلق بالحي الباقي القيوم، ذي الجلال والكمال، وتكون هذه المحبة سائقا وشائقا للعبودية الحق، وإسلام القياد لمالك الأرض والسماوات، وإن الشكر والمحبة والحمد، هي ثمرة الحياة، وغاية الكائنات.

٤- وإذا كان القرآن الكريم قد بين مهمة الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾. الزاريات:٥٦

فإن الأستاذ النُوْرْسي قد أفاض في بيان هذه العبودية، ومظهرها، وأنواعها ووسائلها، وآثارها، وغاياتها...

يقول رحمه الله: المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه مظاهر الربوبية، وإن الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات...[27]

وهذه العبودية يرى الأستاذ النُوْرْسي أن لها ناحيتين:

الأولى: عبودية تفكر بصورة غيابية.

والثانية: عبودية مناجاة بصورة مخاطبة حاضرة.

أما الأولى فهي: التصديق بالطاعة لسلطان الربوبية الظاهر في الكون، والنظر إلى كماله ومحاسنه بإعجاب وتعظيم، ثم استنباط العبرة والدروس من بدائع نقوش أسمائه الحسنى المقدسة، وإعلانها ونشرها وإشاعتها...

والثانية: هي مقام الحضور والخطاب الذي ينفذ من الأثر إلى المؤثر، فيرى أن صانعا جليلا يريد تعريف نفسه إليه بمعجزات صنعته، فيقابله هو بالإيمان والمعرفة...

ثم يرى أن له ربا رحيما يريد أن يحبب نفسه إليه بالآثار الحلوة اللذيذة لرحمته، فيقابله هو بجعل نفسه محبوبا عنده بالمحبة الخالصة، والتعبد الخالص لوجهه...[28]

وكان رحمه الله يقول هذا الكلام وينثر هذه الأفكار إبان فورة العلم المادي، والتسارع بتطوره واكتشافاته، فأراد أن ينبه جميع المهتمين إلى أن هذه المكتشفات بكل أنواعها وتخصصاتها، إنما هي دالة على الله الحكيم، شاهدة على وحدانيته وقدرته، فمن استفاد من ذلك واهتدى إلى الصفات الإلهية العليا بهذه العلوم فقد دخل في العبودية الأولى، ومن سلم بالطاعة والانقياد والمحبة والاتباع فقد دخل العبودية في نوعها الثاني، وكملت بذلك عبوديته الفكرية والحسية، وأثرت فيه المعرفة والعلم، وأصبح عبدا كاملا لله، ظاهرا، وباطنا.

وقد وضح رحمه الله ضابطا دقيقا للتفكير الإنساني في غاية الأهمية مأخوذا من القرآن الكريم والسنة النبوية في قوله: التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة، فإذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل، وتغلغل وفصله تفصيلا بمقتضى الاسم (الباطن)، وإذا تفكرت في الآفاق فأجمل وأسرع، ولا تغص إلا لحاجة إيضاح القاعدة كما هو مقتضى الاسم (الظاهر)، إذ شعشعة الصنعة أجلى، وأبهر، وأجمل...[29]

إنه يؤكد في جنبات كتاباته، وثنايا أفكاره أن الإنسان بالمعرفة الإيمانية التي توصله إلى العبادة الحق، يمنح قوة عظمى لا تقهر، يستطيع بها أن يجابه الكائنات كلها، ومن ذلك قوله: كما أن الإيمان نور، هو قوة أيضا، فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث، مستندا إلى قوة إيمانه فيبحر متفرجا على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام...[30]

وإن عبودية الإنسان التي توصله إلى التسليم والعبادة تثمر في حياته أحسن الأثمار، وتتفتح عن أطيب الأزهار في كل وقت وحين، بل في أوقات يكون في أمس الحاجة إليها، يقول رحمه الله: إن العبادات والأذكار والتسبيحات التي تقوم بها الأعضاء عندما تعمل ضمن مرضاته سبحانه تتحول إلى ثمار طيبة لذيذة من ثمار الجنة، وتقدم إليك في وقت أنت في أمس الحاجة إليها..[31]

وإن هذه العبودية ومقتضياتها هي مستحقة على الإنسان دون أن ينال عليها ثوابا أو أجرا، بل بما بسط له من نعم، وما يتقلب فيه من خيرات وجوده ووجود ما حوله،

يقول رحمه الله: إن وظائف العبودية وتكاليفها ليست مقدمة لثواب لاحق، بل هي نتيجة لنعمة سابقة.

نعم نحن قد أخذنا أجرتنا من قبل، وأصبحنا بحسب تلك الأجرة المقدمة لنا مكلفين بالخدمة والعبودية، لأن الخالق جل وعلا الذي ألبسك الوجود، وهو الخير المحض، قد أعطاك باسمه الرزاق معدة تتذوقين، وتتلذين بجميع ما فرشه أمامك...

وبما وهب لك من الإسلام والإيمان الذي هو الإنسانية الكبرى، والذي يطلب نعما لا نهاية لها ويتغذى على ثمار الرحمة الإلهية التي لا تنفد...

فيا نفس لقد قبضت مقدما كل هذه الأجور والأثمان، ثم كلفت بالعبودية، وهي خدمة لذيذة، وطاعة طيبة بل مريحة خفيفة، أ فبعد هذا تتكاسلين عن أداء هذه الخدمة العظيمة المشرفة؟!..[32]

إنه يدقق فكرة في غاية الأهمية عند أهل السنة والجماعة ويبسطها وهي قولهم: (لو عذب الله الخلائق كان منه عدلا، ولو أدخلهم الجنة كان منه فضلا)، فقد شرحها بأحسن شرح وأحسن الأدلة.

٥- أما وسيلة تحقيق هذه العبودية كاملة بعد الاستسلام، فهي عند الأستاذ النُوْرْسي الدعاء، الذي طلبه الحق سبحانه وتعالى في كتابه من عبيده في آيات كثيرة، ليقوموا به، ويتوجهوا إليه، بل هو مخ العبادة كما جاء في الحديث الشريف، ولهذا كان الدعاء مظهر العبودية ووسيلتها، وقد أعطى الأستاذ النُوْرْسي هذا المظهر والوسيلة ما يستحقان من بيان وتفصيل في دلالتهما وآثارهما، وكشف عن ذلك في عديد من كتاباته ورسائله ومنها قوله: إن الإنسان متعرض لما لا يحصى من أنواع البلاء والمصائب، ومهاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة، مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له، لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس، الدعاء بعد الإيمان، وهو أساس العبادة ومخها...[33]

ويقول رحمه الله: إن الإيمان يقتضي الدعاء، ويتخذه وسيلة قاطعة بين المؤمن وربه، وكما أن الفطرة الإنسانية تتلهف إليه بشدة وشوق فإن الله سبحانه وتعالى يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾،[الفرقان:٧٧] وبقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾... [المؤمنون:٦٠] 34

فما على الإنسان إلا أن يعلن أمام عتبة الألوهية العجز والضعف، ويفصح عن فقره وحاجته بلسان التضرع والدعاء وأنه عبد لله.

ويرى رحمه الله أن الدعاء هو نتيجة الإيمان الخالص، لأن الداعي يظهر بدعائه أن الذي يهيمن على العالم كله ويطلع على أخص أموره، يحيط بكل شيء علما، هو القادر على إغاثته، وإسعاف مقاصده.[35]

وقد كشف بأفكار في غاية الأهمية أن الموجودات كلها داعيات مسبحات بلسان الاستعداد، والقابلية المودعة فيها، فالحبوب، والنوى، تسأل بارئها أن يهيء لها النمو والاستمرار لتتمكن من إبراز بدائع أسمائه الحسنى وقدرته لتعرضها أمام أنظار المؤمنين، والجاحدين.

وهذه الموجودات لها نوع آخر من الدعاء تسأل الله بلسان حال الفطرة بما تحتاج إليه من النماء والبقاء، وهو خارج عن طوقها وقدرتها، فيمدها الرحمن الرحيم، ويجعلها بذلك حجة على الجاحدين، وشاهدا قاطعا للموحدين.

وأما دعاء البشر خاصة فقد جعله نوعين، فعلي، وهو الأخذ بالأسباب الميسرة للحياة، وقولي؛ وهو التوجه باللسان والكيان إلى الله تعالى.

وقد فصل القول في آثار الدعاء على الداعي، وجعل أعظمها أثرا أن الداعي يزداد يقينا ويرتفع درجة بعلمه أن هناك من يسمعه ويترحم عليه ويسعفه بدوائه وقدرته التي تصل إلى كل شيء، فيدخل الأنس إلى قلب الداعي، ويشعر بحضوره الدائم في حضرة الله تعالى، فيفرح وينشرح، ويزداد ثناء وإيمانا ودعاء ويرتقي في مدراج الزلفى والقربى.

يقول رحمه الله: تأمل في سعة التوحيد الخالص الذي يهبه الدعاء للمرء، وانظر مدى ما يظهره الدعاء من حلاوة خالصة لنور الإيمان وصفائه، وآفهم من حكمة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾... الفرقان:٧٧ [36]

وقد بين رحمه الله شروط قبول الدعاء، وأسباب رفعه إلى السماء في عدد من كتاباته،[37] كما بينه سالكو الطريق من قبل، ولكن بيانه يتميز بالواقعية وسرعة النفاذ إلى القلب والعقل.

٦- وإذا كانت العبودية غاية وهدفا، والوصول إلى الله تعالى مقصدا في حياة الإنسان، فإن الإمام النُوْرْسي قد خط طريقا جديدا في وصول العبد إلى ربه، اقتبسه من نور القرآن الكريم على خلاف ما هو معهود عند الطرق الصوفية، والمذاهب الفكرية، مستندا إلى (أستاذه) القرآن الكريم، ومن خلال تجربته وفهمه أكد أنه طريق قصير، مضمون العواقب والنتائج.

يقول رحمه الله: مورد جميع الطرق الحق، ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم، إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم، وقد استفدت من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر طريقا قصيرا، وسبيلا سويا، هو:

طريق العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر.

ويقارن بين هذه الطريق، وطريق أهل السلوك، ويؤكد أن اختياره هذا حقيقة شرعية، أكثر مما هو طريقة صوفية.

ويقول: ولا يذهبن بك سوء الفهم إلى الخطأ، فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير، إنما هو إظهار ذلك أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام الناس، وأما أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره فتنحصر في اتباع السنة والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلوات باعتدال الأركان، والعمل بالأذكار عقبها، وترك الكبائر..[38]

ثم يبين أن كل خطوة من هذه الخطوات الأربع في طريق الوصول إلى مرضاة الحق سبحانه ترتكز إلى آية كريمة بل آيات، فالعجز: منبعه قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾،النجم:٣٢ والفقر منبعه قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾،الحشر:١٩ والشفقة منبعها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾،النساء:٧٩ والتفكر منبعه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾.القصص:٨٨

وكأنه أدرك رحمه الله ولاحظ أن الإنسان المسلم وقد طلب إليه القيام بالمهام العظمى، قد غرق في سجن التفكير العقيم، مما أوصل بعضهم إلى وحدة الوجود، التي توهم أصحابها أن الكائنات عدما، فأصبح الإنسان المسلم مشلولا، عديم الفاعلية، كسولا عاجزا عن ترقية ما وهب من قابلية، فأراد انتشاله من حالة أصبحت مرضا مزمنا، ورشه بماء القرآن ليعود نديا مورقا دون أن ينزع هذا الجزء الأصيل في الإنسان، بل وضعه على الفكر الصحيح، بتنبيه وجيز، وتجربة عميقة ومستند لا ينازع، وقال عنه في صدر حديثه: هذا الذيل قصير جدا، له أهمية عظيمة، ومنافع للجميع.

فهو أشبه ما يكون بلطمة تأديب، وصفعة إيقاظ -كما يعبر هو رحمه الله-.

وختمه بقوله: إن هذا الطريق لا ينظر إلى الموجودات بالمعنى الأسمى أي أنه لا ينظر إليها أنها مسخرة لذاتها ونفسها، بل يعزلها من هذا، ويقلدها وظيفة أنها مسخرة لله.[39]

وهذه الطريق بهذا المعنى حاجة إنسانية عامة، وبها يكون الداعي متضرعا، داعيا بلسان حاله ومقاله على الدوام، ويرتقي بذلك إلى أعلى شرف، ويخاطب أهل الإيمان

بقوله: فيا معشر أهل الإيمان إن درعكم المنيع لصد أولئك الأعداء هو التقوى المصنوعة في دوحة القرآن الكريم، وإن خنادقكم الحصينة هي سنة نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأما سلاحكم فهو الاستعاذة والاستغفار والالتجاء إلى الحرز الإلهي...[40]

٧- إن الإمام النُوْرْسي قد تحدث عن الإنسان في حالتيه الدنيوية والأخروية وربطهما ربطا محكما لا ينفصم، بأدلة كثيرة من العقل والواقع، والشعور والإحساس الإنساني، فإذا ما أراد الإنسان أن يكون سعيدا في حالتيه منعما في مرحلتيه فيجب عليه أن يسخر طاقاته وقدراته، وتفكيره ومشاعره، إلى الباقي، إلى الخلود، الذي هو فطرة مغروزة فيه، ويرى أدلتها كل يوم من حوله، يقول رحمه الله: في فطرة الإنسان عشق شديد للبقاء... إن جميع الآهات والحسرات الناشئة من أنواع الفراق، إنما هي تعابير حزينة تنطلق من عشقه البقاء، ولولا توهم البقاء لما أحب الإنسان شيئا، بل يصح القول: إن سببا من أسباب وجود عالم البقاء، والجنة الخالدة، هو الرغبة الملحة للبقاء المغروز في فطرة الإنسان، والدعاء العام الشامل الذي يسأله بشدة للخلود.[41]

ويؤكد أن هذه الأشياء الموجودة المبثوثة، لم تخلق للفناء، بل للبقاء وإن فناءها الظاهري ليس إلا تسريحا لها من خدمة ومهمة قد أدتها، والشيء قد يفني من جهة، ويبقى من جهات عديدة.

يقول رحمه الله: تأمل هذه الزهرة وهي كلمة من كلمات القدرة الإلهية إنها تنظر إلينا مبتسمة لفترة قصيرة ثم تختفي وراء ستار الفناء، فهي كالكلمة التي نتفوه بها تودع آلافا من مثيلاتها في الآذان، وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها، وتمضي بعد أن أدت وظيفتها، وهي إفادة المعنى، فالزهرة التي ترحل بعد أن تودع في ذاكرة كل من شاهد صورتها الجميلة الظاهرة، وبعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية فكأن كل ذاكرة وكل بذرة بمثابة صورة فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها ومحل إدامة بقائها...

وستفهم أن الإنسان لم يترك حبله على غاربه، ولم يترك حرا طليقا ليرتع أينما يريد، بل تسجل جميع أعماله وتلتقط صورها وتدون جميع أفعاله ليحاسب عليها.

وستفهم أن الموت والاندثار الذي يصيب في الخريف مخلوقات الربيع والصيف الجميلة ليس فناء نهائيا أو إعداما أبديا، وإنما هو إعفاء من وظائفها بعد إكمالها وإيفائها، وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنستهم الغفلة مهامهم ومنعهم السكر من الشكر...

وستفهم أن الصانع الدائم لهذا العالم الفاني له عالم غير هذا، وهو عالم باق خالد يشوق عباده إليه، ويسوقهم إليه.[42]

وبهذا المعنى الدقيق وأثره الواسع يتوجه الأستاذ النُوْرْسي بالخطاب إلى الإنسان ليستفيد من لحظات عمره القصيرة بتحويلها إلى عمر مديد طويل لا ينقطع بناء على استعداده في حياته القلبية والروحية اللتين تحييان بالمعرفة الإلهية والمحبة الربانية، وبلبوس العبودية الحق، فيصير هذا العمر القصير الفاني عمرا أبديا في دار الخلود والبقاء...[43]

وتكون كل لحظة يقطعها الإنسان في سبيل الله تعالى، ومعرفته ومحبته، وابتغاء مرضاته، قدرا لا يحد من البقاء الذي لا يعتريه الفناء، بينما هذا العمر المحدود بعيدا عن الله، وفي غفلة عنه كله لا يساوي لحظة عابرة أو ثانية عابرة.

فما على الإنسان إلا أن يولي وجهه شطر الملة الإبراهيمية، ويقول على غرار إبراهيم عليه السلام: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[الأنعام:٧٦] ويتوجه إلى المحبوب الباقي...[44]

فسعادة الإنسان ووظيفته الأساس إنما هي التوجه إلى الباقي بكامل جهوده وجوارحه، وبجميع استعداداته الفطرية سائرا قدما في سبيل مرضاته، متمسكا بأسمائه الحسنى، مرددا بجميع لطائفه من قلب وروح وعقل، ما يردده لسانه: يا باقي أنت الباقي.[45]

وينصح تلامذته وإخوانه والسائرين في هذا السبيل بأن الوسيلة لتحصيل هذه المنافع والمغانم في نعيم البقاء هي: اعملوا لله، التقوا لوجه الله، اسعوا لأجل الله، ولتكن حركاتكم كلها لمرضاة الله -لله، لوجه الله، لأجل الله- وعندها تتحول دقائق العمر القصير إلى سنين طويلة.[46]

إن الأستاذ النُوْرْسي حين تحدث إلى الإنسان رابطا عالميه الدنيوي والأخروي معا، قد كشف له عن معاني آيات القرآن السمعية من القيامة وحشرها، والميزان ومعناه، والجنة ولذائذها، والنار وأهوالها وما تخفيه للمعاندين الجاحدين، كل ذلك بلسان القرآن والسنة الشريفة، وبتقريب من عالم الواقع الإنساني في نفسه وفكره وحافظته وما يحيط به حتى إنه يؤكد بعد ذكر الأدلة على قطيعتها وأنها ترقى إلى درجة الشهود، ويؤكد أن طريق البقاء والخلود في النعيم هو العبودية الحق، واتباع القرآن الكريم والسنة الشريفة، والتوجه من خلالهما إلى الحي الباقي.

يقول رحمه الله مخاطبا النفس الإنسانية: يا نفس إن كنت تريدين أن تنالي عملا أخرويا خالدا في عمر قصير، وإن كنت حقا تريدين أن تري فائدة كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل، وإن كنت حقا تريدين أن تحولي العادة إلى العبادة وتبدلي غفلتك إلى طمأنينة وسكينة، فاتبعي السنة الشريفة، لأن تطبيق السنة والشرع في معاملة ما يورث الطمأنينة والسكينة، يصبح نوعا من العبادة بما يثمر من ثمرات أخروية كثيرة.[47]

٨- وفي الختام فإن الأستاذ النُوْرْسي جعل كتاباته كلها للإنسان لهدايته وتثبيت الإيمان في قلبه وفتح بصيرته على حقائق الكون من حوله، وقرب له عالم الغيب بعالم الشهادة، وأقام الدلائل والبينات والحجج والعلامات ليكون هذا الإنسان ربانيا عابدا لله يعرف موقعه الصحيح من هذا الكون شاكرا لأنعم ربه، عاملا بهديه، محققا لمراده، خالدا بجواره في جنانه ورضوانه.

يقول رحمه الله: وكما أنه -أي ذو الجلال- قد أنشأ هذا العالم الأكبر ملكا له، كذلك خلق الإنسان مملوكا له، ومنحه من الأجهزة والجوارح والحواس والمشاعر... ويكون سيدا على ذلك المملوك سوى ذلك المالك للملك الذي جعل الموجودات كلها بدءا من عالم الذرات ذلك العالم الواسع جدا إلى جناح الذباب ملكا ومزارع، وجعل الإنسان الصغير ناظرا على ذلك الملك الواسع العظيم ومفتشا فيه، ومزارعا وتاجرا ودلالا وعابدا ومملوكا، واتخذه ضيفا عزيزا عليه، ومخاطبا ومحبوبا.[48]

لقد كان الأستاذ النُوْرْسي في تفكيره ورسائله يغترف من معين القرآن، ويطابقه مع حياة وواقع الإنسان بكل تقلباته وأحواله.

وكان حديثه عن الإنسان حديث الناطق بالقرآن، الداعي إلى هداية الرحمن، المنادي في سوق الحياة وعطاءاتها العلمية وتقدمها المادي إلى سعادة الإنسان الأبدية في لحظاته القصيرة الدنيوية الفانية، وفي دار الخلود والدوام.

ومما يلاحظ أنه لم يكن يكثر الاستشهاد بالقرآن ولا يكثر من ذكر الآيات التي تتعلق بموضوعه، واعتقادي أن ذلك كان عن قصد لأنه يريد دفع الملحدين الجاحدين، والغافلين الجاهلين بالحجج المادية الملموسة وهم لا يؤمنون بالقرآن، فيجابههم بمفاهيمهم وبما يؤمنون به.

إن هناك قضايا إنسانية كثيرة قد عالجها هذا الإمام تستحق العناية والدراية كالغرائز الذميمة في الإنسان، وآثارها وكيفية التخلي عنها، وصفة أهل الإيمان، وأهل العناد

والطغيان كما يراها الإمام النُوْرْسي والشبهات التي تجر الإنسان وتهبط به... وغير ذلك كثير مما يستحق الوقوف أمامه بتفصيل.

إن أفكار هذا الإمام منيرة أخاذة حية ناضرة ما أحوج الإنسانية اليوم إليها لتنقذ الإيمان من التفسيخ والاجتثاث، والأخلاق من الانهيار الذي أناخ بكلكله على البشرية.

إنه بأفكاره رحمه الله حاضر بيننا يداوي علل المسلمين وغيرهم، فيقدم علاجات قرآنية جاهزة فعالة، فما أحرى الباحثين والمفكرين والدعاة أن يستفيدوا من هديه وفكره وسلوكه، ويقتبسوا من مكتوباته ورسائله؟!!

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط.
[2] انظر المكتوبات ص ٤١١.
[3] انظر المكتوبات ص ٤٥٦.
[4] انظر المرشد لأهل القرآن ص ٧٩.
[5] انظر المرشد لأهل القرآن ص ٤٠.
[6] انظر الكلمات ص ٨١٢.
[7] انظر الكلمات ص ٢٤.
[8] انظر الكلمات ص ٤١-٣٥٥.
[9] انظر الكلمات ص ٢٠٤.
[10] انظر الكلمات ص ٨٢٨.
[11] الكلمات ص ٣٦٦-٣٧٦.
[12] الكلمات ص ٣٦٦-٣٧٦.
[13] انظر الكلمات ص ٣٧١.
[14] انظر الكلمات ص ١١١.
[15] انظر الاسم الأعظم ص ٧٧.
[16] انظر الكلمات ص ٢٠٤.
[17] انظر الكلمات ص ١١١-٤٠٢.
[18] انظر الكلمات ص ٣٧١.
[19] انظر مرشد أهل القرآن ص ٤٤.
[20] انظر مرشد أهل القرآن ص ٧٣.
[21] انظر مرشد أهل القرآن ص ٨٧.
[22] انظر الكلمات ص ٨٠٦.
[23] انظر الكلمات ص ٨٢٣.

[24] انظر المكتوبات ص ٥٠.
[25] انظر المكتوبات ص ٣٠٣.
[26] انظر اللمعات ص ٥٩٥.
[27] انظر مرشد أهل القرآن ص ٥٩.
[28] انظر الكلمات ص ٢٧.
[29] انظر مرشد القرآن ص ١٩.
[30] انظر الكلمات ص ٣٥٢.
[31] انظر الكلمات ص ٣٥٢.
[32] انظر الكلمات ص ٤١٣، والسنة منهاج ومرقاة ص ٤٠.
[33] انظر الكلمات ص ٣٥٥.
[34] انظر الكلمات ص ٣٥٦.
[35] انظر المكتوبات ص ٣٩٠.
[36] انظر المكتوبات ص ٣٨٦، والسنة مرقاة ومنهاج ص ٥٢.
[37] انظر منها: المكتوبات ص ٣٦٠.
[38] انظر المكتوبات ص ٥٩٤.
[39] انظر المكتوبات ص ٥٩٥.
[40] انظر اللمعات ص ١١١.
[41] انظر السنة النبوية منهاج ومرقاة ص ٧٢، وانظر تفصيلا كبيرا في الكلمات ص ٢٢٣.
[42] انظر الكلمات ص ٨٠.
[43] انظر مرشد أهل القرآن ص ٧٦ والسنة النبوية ٧٢،٧٧.
[44] انظر الكلمات ص ٤١٨.
[45] انظر اللمعات ص ٢٦.
[46] انظر مرشد أهل القرآن ص ٧٦.
[47] انظر الكلمات ص ٤١٦.
[48] انظر المكتوبات ص ٣٠٢.

مؤلّفات بديع الزمان أنموذجاً لتقديم الإسلام إلى الغرب

–ABSTRACT–

Bediuzzaman's Works as a Model For Presenting Islam to the West

Şükran Vahide

Translated from Turkish to Arabic by: Orhan Mohammed Ali

The Risale-i Nur educates its reader and trains him to contemplate on the universe in the light of the Qur'an, the final divine revelation. At the same time it demonstrates the impossibility of the conceptual foundations of materialist philosophy, such as accident, compulsive nature and self- sufficiency. Moreover, it proves the superficiality of this vision. It refutes the materialistic interpretation of the universe, science and life. Nursi has been able through his letters to open a bright window towards the knowledge of God. This way, his writings are distinguished from other works. Moreover, it presents the most complicated philosophical aspects in an easy and understandable manner. The Risale-i Nur teaches western and contemporary people the truths of Islam and its deep understanding of the universe, life, man and science. It covers the methodological knowledge that emanates from revelation through its dimensions and various fields (faith, worship, and purification). The Risale-i Nur presents to man knowledge and insights in order for him to recover from the cycle of accelerated life which drifts him away from his humanity. The Risale-i Nur is characterized by its soft and convincing style, especially when it provides education of the facts of Islam to the West. We can say that the approach of the Risale-i Nur has presented the best model to introduce and explain Islam to the West. Thus, the Risale-i Nur offered Islam and Qur'an by unmatched services. It was able to achieve that aim through its interpretation of the Qur'an in which it proves that Islam is the religion of reason and the source of real civilization. Said Nursi has proved that all humanitarian perfections, advancements and happiness are to be found in belief in God, and in admittance to God's Unity and in Islam - which represents the absolute slavery to God and the most exalted religion.

Key Words: Risale-i Nur, Materialism, Modernity, Civilization, Reason.

– ملخص البحث –

شكران واحدة ''ماري ويلد''[1]

ترجمة: أورخان محمد على (رحمه الله)

تربي رسائل النور قارئها وتدرّبه على تأمّل الكون في ضوء القرآن الكريم الوحي الرباني الخاتم، وتبرهن في الوقت نفسه على استحالة مفاهيم أسس الفلسفة الماديّة، كالصدفة والطبيعة والحتمية والأسباب الذاتية، وتدلّل على سطحيّة هذه الرؤية وتفاهتها، وتدحض بذلك التفسير المادي للكون للعلم والحياة، لقد استطاع بديع الزمان من خلال رسائله أن فتح نافذة مشرقة نحو معرفة الله، وبهذا تميّزت رسائله عن سائر المصنفات، فضلا عن كونها قدمت أعقد حقائق علم الكلام بشكل سهل يفهم دون ضرر. فتعلّم رسائل النور الإنسان الغربي والإنسان المعاصر حقائق الإسلام ورؤيته العميقة للكون والحياة والإنسان والعلم، فغطّت المعارف المنهجية المنبثقة عن الوحي بأبعادها ومجالاتها المتنوعة (إيمان، وعبادة، وتزكية)، قدّمت له هذه المعارف والرؤي لتسترد الإنسان نفسه من دوّامة الحياة المتسارعة التي شطّت به عن إنسانيته.

تمتاز رسائل النور بأسلوبها الناعم السهل والمقنع، وخاصة عند تقديم وتعليم حقائق الإسلام للغرب، حيث أننا نستطيع أن نقول بأنّ منهج رسائل النور أعطى أفضل أنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب وشرحه لهم، وقدّم بذلك للإسلام وللقرآن خدمة لا نظير لها، ذلك أنّه بتفسيره رسالة القرآن لإنسان هذا العصر أثبت أنّ الإسلام هو دين العقل وهو منبع المدنيّة الحقيقيّة ورقيّ الإنسانيّة وتقدّمها. لقد قام بديع الزمان بإثبات أنّ جميع الكمالات الإنسانيّة ورقيّها وسعادتها كامنة وموجودة في الإيمان بالله، وفي التصديق بوحدانيّته، وكامنة في الإسلام الذي يمثل العبوديّة المطلقة والدين الأسمى.

لقد قدّم بديع الزمان برسائل النور أفضل أنموذج للتعريف بالإسلام في الغرب، فقدم بذلك أفضل خدمة للقرآن وللإسلام. وبتفسيره رسالة القرآن لإنسان هذا العصر أثبت أنّ الدين الإسلامي هو دين العقل ومنبع الرقي والمدنيّة الحقيقيّة للإنسانية.

عندما نقوم بالتدقيق في رسائل النور التي ألّفها بديع الزمان كأنموذج لتقديم الإسلام في العصر الحديث ولا سيما في بلاد الغرب، فإنّ أوّل ما يتعيّن أن يقال في هذا الصدد هو الإشارة إلى أنّه قد أخبر –ومنذ بداية هذا القرن– بأنّ الإنسانيّة ستتقبّل الإسلام وستتحوّل إليه، وأنّ الإسلام سيحكم المستقبل بالقرآن. وبتعبير بديع الزمان ''لقد تيقّظ الانسان في عصرنا هذا، بفضل العلوم والفنون ونُذُر الحروب والاحداث

المذهلة، وشعر بقيمة جوهر الانسانية واستعدادها الجامع، وادرك ان الانسان باستعداده الاجتماعي العجيب لم يُخلق لقضاء هذه الحياة المتقلّبة القصيرة، بل خُلق للأبد والخلود، بدليل آماله الممتدة الى الابد. وان كل انسان بدأ يشعر -حسب استعداده- أن هذه الدنيا الفانية الضيقة لاتسع لتلك الآمال والرغبات غير المحدودة".[2] ومنه نستنتج أنّ الإنسانيّة ستتقبّل الدين الإسلامي لكونه دين البرهان والعقل، وبذلك سيحكم الإسلام المستقبل.

قال بديع الزمان: "فان المستقبل الذي لا حكمَ فيه الاّ للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه الى العقل والمنطق والبرهان."[3]

أعلن بديع الزمان هذه الإرهاصات يوم كان العالم الإسلامي في وضع سيّء جداً، فإضافة إلى كونه تابعاً للغرب من الناحية السياسيّة والاقتصاديّة، كان واقعاً أيضاً تحت تهديد المدنيّة الغربيّة، وكان الإسلام نفسه معرّضاً للهجومات، التي كانت تواجهه في أكثر الأحيان باسم العلم والتقدّم الذي كان الغرب بطله. لذلك فإنّ بديع الزمان عندما قال للشيخ "بخيت"[4] أنّ الدولة العثمانيّة حاملة بدولة أوروبية وستلدها في يوم من الأيّام وأنّ أوروبا حاملة بالإسلام فإنّ الاحتمال الأوّل كان يبدو -مع الأسف- ممكناً، إلاّ أنّ الاحتمال الثاني كان يبدو بعيداً عن مجرد التصور فكيف بالإمكان.

وكجميع إرهاصات بديع الزمان في المواضيع الأخرى، فقد بدأت تخميناته هذه بالتحقّق بشكل لم يكن في عهده من يرى أيّ احتمال لوقوعها، ولنوضّح مثالاً على هذا:

نشرت جريدة "الزمان" في نسختها ليوم ١٢/نيسان/١٩٢٢ خبراً عن نشر تقرير في فرنسا بـ "٤٢" صفحة صادر عن مجلس الفاتيكان، حوى ملاحظات المجلس وقلق الكنيسة الجدّي من زيادة انتشار الإسلام في أوروبا، ولكي تقوم الكنيسة بعكس هذا التيار فقد أجرت أبحاث واسعة، ضُمِّنَ التقرير نتائجها. بيّنت هذه الأبحاث -التي جرت في "٦" بلدان أوروبية- دخول ٥٨١٣٥ فرداً إلى الإسلام، وتخمين أنّ ١٣٠٠٠٠ شخص يدخلون إلى الإسلام في أوروبا كلّ عام، وبجانب التحليلات الدقيقة المنشورة في التقرير حول الأرقام فقد ورد في التقرير التعريف بهم قبل دخولهم الإسلام وكيف ولماذا أسلموا. ما يهمنا في هذا التقرير هو الأرقام، ثمّ الحقيقة الآتية:

بيّن التقرير أنّ ٧٤ % من هؤلاء أسلموا "وعددهم ٥٨١٣٥ فرداً" لأنّ الإسلام أنقذهم من المادية ووهب لهم الطمأنينة والسعادة وكان ٣٢ % منهم قد ذكروا بأنّ رسائل النور كانت السبب في إسلامهم.

ويوافق هذا التقرير إرهاصات بديع الزمان بشكل كبير ويدل في الوقت نفسه على أنّ المسيحيّة بشكلها الحالي عاجزة عن إشباع حاجات الإنسان الغربيّ. وكلّما تمّ التغلّب على الصور النمطية والمفاهيم والقناعات الخاطئة والشائعة في الغرب حول الإسلام والأحكام المسبقة عنه، فإنّ أناساً بأعداد متزايدة على الدوام سيقتنعون بأنّ القرآن وحده هو القادر على الاستجابة لهذه الحاجات. وكما أشار التقرير فإنّ رسائل النور تمثّل أنموذجاً مؤثّراً للإسلام المقدّم للغرب، وعلينا أن نبحث عن أسباب هذا هنا.

لا يمكن القول بأنّ بديع الزمان يخاطب الغرب أو غير المسلمين بشكل مباشر، إلّا أنّ رسائل النور -التي هي تفسير للقرآن- تقوم بإبلاغ الرسالة العالميّة للقرآن، لذا فهي تخاطب الإنسانيّة بأجمعها. وكما نفهم من بعض كلمات بديع الزمان، فإنّه كان يأمل في خلاص كلّ الناس مهما كان منشأهم، أي أنه مع كونه ضد جوانب عديدة من المدنيّة الغربيّة، إلّا أنّه كان يتوقّع ويأمل في دخول الشعوب الغربيّة إلى الإسلام وإتّباعهم للقرآن وخلاصهم عن هذا الطريق. ويكرّر في العديد من كتبه حول ظهور المسيحيّة الحقّة في المستقبل وإتّباعها للقرآن، وتوحيد جهودها مع الإسلام في النضال ضد الإلحاد.[5] وبهذا الصدد نسجّل فكرة جوهرية مفادها تمييز الاتّجاهات النابعة من الفلسفة في المدنيّة الغربيّة -والتي أصبحت مصادر للإلحاد- عن الاتجاهات النابعة من المسيحيّة، ذلك أنّ العلاقات بين الإسلام والغرب كانت طوال التاريخ علاقات منافسة وخصام، وفي بداية هذا العصر بلغت سيطرة الغرب على العالم الإسلامي الذروة، لذا فإنّ مؤلفات بديع الزمان توجّهت وبمقياس كبير لنقض أسس التفكير الغربي، والمدنيّة الغربيّة، وصد مهاجمة الغرب القرآن والإسلام والدفاع عنهما، وهو في الوقت نفسه خطاباً للمسلمين المعاصرين الواقعين تحت تأثير الغرب والفلسفة الغربيّة، وكلّ ذلك جعل لرسائل النور موقعاً ممتازاً، يؤمّن فهم الغربيّين لحقائق الإسلام بيسر وسهولة في الوقت نفسه.

وبصعود الغرب وتدهور العالم الإسلامي وتأخّره، فقد عدّ الغرب سيادته وسيطرته دليلاً على تفوق مدنيّته على المدنية الإسلاميّة، وتمكينا لهيمنته هاجم القرآن منبع ومصدر المدنية الإسلاميّة، وفعل هذا باسم العلم والرقي الذي أعلن أنّه أثر من آثار التفكير والمدنية الغربية.

نذر بديع الزمان حياته للدفاع عن القرآن بصدّ الهجومات التي يتعرّض إليها، ولأجل تحقيق هذه المهمّة يتعيّن عليه البرهنة على أنّ المدنيّة والسعادة الحقيقيّة والرقيّ الحقيقي للإنسانيّة لا توجد إلّا في الإسلام.

ولأجل تحقيق هذه المهمّة درس العلوم الحديثة والفلسفة، وهذا ما لم يفعله أيّ عالم ديني آنذاك، وبهذا كان يستطيع أن يناضل ضدّ أعدائه بنفس أسلحتهم. وعندما تأسّست الجمهوريّة ''التركية'' واتخذت الفلسفة الماديّة الغربيّة أساساً للدولة ولأيدولوجيّة المجتمع، وقامت بتدابير عميقة لقلع الإسلام من جذوره، لم يكن هناك من يستطيع النضال بفعاليّة ضدّ هذه المحاولات المشؤومة سوى بديع الزمان، ولمواجهتها درس وبحث المسألة من أساسها، وبدأ بتأليف رسائل النور لإثبات معقوليّة وحقيقة حقائق القرآن والإيمان، وعدم منطقيّة الفلسفة الماديّة المتداولة في الغرب القائمة على أساس مفاهيم مثل ''الصدف'' و''الطبيعة'' وتناقضها فيما بينها، وهو جهد متزامن مع صد الهجومات التي تعرّض لها القرآن، وإثبات تفوّق القرآن المطلق الذي لا يقبل أيّ قياس. وعندما كانت رسائل النور تقترب من الحقائق التي يقدمها القرآن ويعلّمها، كانت تعقد في كثير من الأحيان مقارنات بينها وبين الفلسفة، وتشرح ماهية ومصدر ونتائج كلّ منهما، ممّا كان يسهّل على كل من اصطبغت نظرته للحياة وللوجود بصبغة التفكير المادي الغربيّ معرفة فكرته وسلوكه بسهولة من هذه المقارنة، ومكمن الخطأ الذي وقع فيه ويصل إلى الحقيقة. يسّرت هذه الطريقة الواضحة والسهلة التي سلكها بديع الزمان اكتشاف أساس علمي تحليليّ لفحص أفكاره ومعرفة الحقيقة وكيفيات الوصول إليها.

الدين والفلسفة في رأي بديع الزمان

قبل أن نلقي نظرة على الجوانب الأخرى من رسائل النور، نلقي نظرة على آراء بديع الزمان حول الدين والفلسفة، ذلك لأنّ هذه الآراء تشكل أساس الأفكار التي صوّرها بديع الزمان وأظهرها في رسائله:

قسّم بديع الزمان تاريخ الإنسانيّة إلى تيّارين، أحدهما تيّار النبوة والآخر تيّار الفلسفة والعلوم، وربطهما بذات الإنسان، وبناء عليها صوّر نتائجهما.

فالنبوة -التي تمثل الوحي الإلهي- تخاطب قلب الإنسان، أمّا الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الإثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين والنبوة وخدمتهما، وكلّما تمّ هذا ذاقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم، وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة -كما حدث في الغرب- في جانب الفلسفة. والحقيقة أنّ بديع الزمان يتكلم عن ''أوروبيتين''. الأولى: هي أوروبا التي قدّمت العدل والحقيقة ''المستمدّة من المسيحيّة الحقيقيّة'' والأمور المفيدة إلى الإنسانية. والثانية: هي أوروبا المتّبعة لفلسفة

الطبيعة والتي رجّحت جانب الشر في المدنيّة على جانب الخير فيها، وهي المسيطرة حالياً على أوروبا الأولى.

فإذا نزلنا في هذا إلى الإنسان الفرد، أي إلى ''الأنا'' فإنّ هذا هو نفس موقف الشخص الفرد الذي ينكر الوحي ويثق بعبقريّته. فلكونه يعد نفسه مالكاً لنفسه فهو يظنّ الشيء نفسه بالنسبة للآخرين، وهذا هو أساس الفلسفة الماديّة، فبدءًا من المجرّات الهائلة وانتهاءً بأصغر الذرات، فإنّ جميع الأسباب بدلاً من إضافتها بشكل مباشر إلى خالقها، يتوهّم بأنّها هي صاحبة القدرة، إذ يفترضون بأنّ للأسباب تأثيراً حقيقياً، وأنّ لها قدرة الخلق من العدم. ومثل هذا الشخص يضيف إلى مفاهيم زائفة مثل الطبيعة أو قوانينها قدرة الخلق، ويفسّر كلّ ما يراه في الدنيا تفسيراً قائماً على الصراع والنزاع.

وتنعكس رؤيته هذه على مبادئ حياته الاجتماعية، مما شجّع ادّعاء القدرة المطلقة والتملّك وأدّى إلى ظهور الأصنام والطغاة. وهذه الضلالة مصدر كل الآلام، بينما جميع أنواع السعادة الحقيقيّة تنشأ من الإيمان المرتبط بسلسلة النبوّة. وقد أظهرت رسائل النور هذه الحقيقة بإيراد قياسات عديدة، اكتفيت بذكر نماذج منها.

أمّا الشخص الذي يقبل الأسس التي تقدّمها سلسلة النبوّة والدين، فإنّه يعرف أنّه مخلوق، ولا يمثّل نفسه بل يمثّل معنى غيره، أي يقبل أنّه ليس إلّا عبداً لله. مثل هذا الشخص سيتعلّم من الكتب السماويّة الماهية الحقيقيّة لنفسه ولجميع الموجودات في الكون، ويعرف واجباته الحقيقيّة.

وكما يضيف نفسه إلى صانعه ومالكه الحقيقي، فإنّه يفعل الشيء نفسه بالنسبة لجميع الموجودات وللكون بأجمعه، فقد تحوّل وجهه عن الوجه الظاهري للأسباب إلى المعنى الحقيقيّ الكامن وراءه، وسيرى الموجودات ضمن نظام للتعاون المتقابل، ضمن تسليم كامل، وتقوم القوانين السماوية الموازية لهذه النظرة بتنظيم حياته الاجتماعيّة.

وإضافة إلى هذا الأنموذج الديني والفلسفي، فإنّ هناك سبباً آخر يعطي لرسائل النور مقبولية وميزة عند تقديم الإسلام إلى الغرب، وهو كونها تخاطب العقل، فليست هناك عبارة واحدة ولا ادّعاءً واحداً لا يستند إلى دليل، فجميع المسائل التي تتناولها وجميع الحقائق الإيمانية التي تبحث فيها، تقدّم بشكل منطقي وفي صورة آراء مبرهن عليها. ولكن لكون معظم هذه المسائل -بسبب طبيعتها وماهيتها- مسائل عميقة ومن الصعب فهمها، فإنّ بديع الزمان يستعين على ذلك -مقتبسا منهجه من القرآن- بإيراد القياسات وضرب الأمثال، وبذلك فإنّه يقرّب المعاني إلى الأذهان كما يفعل

التلسكوب، ويسهّل فهمها. ووضّح جميع الحقائق الإيمانيّة وأثبتها بهذا الشكل، وقدّمها بصورة سهّلت فهم معانيها والنفوذ إلى أعماقها، ذلك أنّ العقل -كما أوضح بديع الزمان- كان مسيطرا على الغرب الذي كان منبعاً للفلسفة، أمّا في الشرق حيث ظهر الأنبياء فإنّ القلب هو المسيطر. أمّا الآن فإنّ البشريّة التي أفاقت ونهضت بدأت تبحث عن الدين الحق، وهي تريد الاقتناع قبل كل شيء، وبأجوبة منطقيّة عن الأسئلة الآتية: ''من أين جئت؟ وما سبب مجيئي إلى هذه الدنيا؟ وإلى أين أنا ذاهب بعدها؟'' والحقيقة أنّها تريد الإيضاحات المنطقيّة لحقائق الإيمان.

العلم والدين

وهكذا نكون قد وصلنا إلى النقطة الثالثة: إذ تقوم رسائل النور بالبيان الواضح أنّ القرآن لا يرى أيّ تناقض أو تضادّ بين العلم والدين، وقد أبان بديع الزمان هذا الخصوص منذ شبابه حيث قال بأنّ العلم لا يعادي الدين، ليس هذا فحسب، بل يجب أن يدرّسا معاً، ففي سنة ١٩١٠ عندما تناول بديع الزمان موضوع تطوير المدارس الدينيّة قال:

''ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الاولى والحيل والشبهات في الثانية.''[6]

حاول أعداء القرآن إثبات أنّ القرآن لا يمكن أن يكون مصدراً للرقيّ، كما حاولوا من جانب آخر نشر المقولة التالية ''إنّ بعض آيات القرآن تتناقض مع العلم'' وذلك لكي يهزّوا ثقة وإيمان الشعب به، وقام بديع الزمان في كلّ مراحل حياته بردّ هذه الشبهات والانتقادات والخلوص إلى وضع الدين والعلم معاً وجنباً إلى جنب.

ويعد هذا الموضوع بالنسبة للغربيّين مهمّ جداً، ذلك لأنّ العديد من الأوروبيين يعتقدون -استناداً إلى تاريخ المسيحيّة وتطوّرها- بأنّ العلم يناقض الدن ويعاديه، بينما يصف بديع الزمان الإسلام بأنّه ''سيّد العلوم ومرشد العلوم الحقيقيّة ورئيسها وأبها''. بدلاً من ردّ الفعل ورفضه، أو عزل الدين عن الحياة الدنيويّة وجعل الأفراد يعيشون في دائرة ضيّقة من حياة معنويّة ضيّقة خاصّة بهم، فإنّ القرآن يكسبنا معرفة الله ويأمرنا في الوقت نفسه باستعمال عقولنا في عباداتنا وفي جميع صفحات ومراحل الحياة، وبذلك يفتح الطريق أمامنا لكي يندرج العلم نفسه في عبادة. إنّ العلم الذي يكشف لنا الغاية الإلهيّة من خلق الكون والهدف النهائي له، هو نفسه مهمّة الإنسان ووظيفته وعبادته كذلك. والقرآن يوجّه الأنظار والعقول إلى هذه الغايات ويحث الإنسان للوصول إلى

هذه الحقائق عن طريق العلم والتقدم. وتوضيحا لهذه النقاط نسرد نماذج من الطرق التي استعملتها رسائل النور -باعتبارها تفسيراً للقرآن- مركزين على بيان السبيل الجديد الذي اختطّته.

النقطة الأولى التي يجب بيانها في هذا الخصوص هي أنّ رسائل النور توجّه الأنظار إلى الموجودات التي حوالينا وإلى الكون، وتقترب من حقائق الإيمان بوساطة الكون والتأمّل فيه. وهذه الناحية من رسائل النور هي تفسير لوجه القرآن المطلّ على عصرنا، فالعديد من آيات القرآن تحثنا على تأمّل الكون والمخلوقات الموجودة فيه وطرق سيرها وعملها، كوسيلة لمعرفة الله والحقائق الإيمانيّة الأخرى كوجود الله ووحدانيّته والحشر. وأكثر الآيات التي تؤكّد عليها رسائل النور هي هذه الآيات، لكي تبرهن على حقائق الإيمان وتصدّ الهجومات على القرآن.

لذلك فإنّ طراز اقتراب رسائل النور من الحقيقة ليس غريباً من حيث الأساس عن طريقة اقتراب الإنسان من الحقيقة، بل يشبهها وينسجم معها، ذلك أنّ عصرنا هذا هو عصر العلم. وما العلم إن لم يكن استخراج أسرار الكون؟ والغربيّ المعاصر ليس غريباً عن الكون وعن طريقة عمله، لأنّه متعوّد على مراقبة الكون وتأمّله، ونظره مركّز عليه.

ثم إنّ رسائل النور تنظر إلى الكون بمنظار العلم، وهي تقوم في الأغلب بالتدقيق في معرفة الكون في ضوء العلوم كالجيولوجيا والبيولوجيا.

ومع ذلك فإنّ رسائل النور -مستلهمة من القرآن الكريم- تدقّق في معرفة الكون بالشكل الذي أراده القرآن، أي ككائن "لا يعبّر عن نفسه بل عن معنى غيره" أي أنّ الكون -من زاوية هذه النظرة- "كتاب كبير" ووظيفته هي الإخبار عن كاتبه. وهذا الكتاب يقرأ لكي تفهم معانيه وخالقه منه.

النوافذ المفتوحة على التوحيد

تدرّب رسائل النور على تأمّل الكون في ضوء الوحي القرآنيّ، وبه تبرهن من جانب على وجود الله وعلى وحدانيّته وعلى الحقائق الإيمانيّة الأخرى، وتبرهن من جانب آخر على استحالة أسس الفلسفة الماديّة، من نحو مفاهيم الصدف والطبيعة والأسباب، وتؤكّد سطحيّتها وتفاهتها، وتدحض بذلك التفسير المادي للعلم. ولهذا شرحت رسائل النور ماهية الكون والنظام والانتظام السائد في كلّ شيء فيه، والتوازن والمقاييس الحسّاسة فيه، والحكمة البادية في كلّ شيء، وفوائده وعلاقة وارتباط صيدلية الكون بعضها ببعض، وكونها تشكّل بأجزائها وحدة واحدة، وتبرهن ببراهين

عديدة بأنّ جميع ادّعاءات الفلسفة المادية مستبعدة وخارج كلّ احتمال علمي موضوعي، وهذا بحاجة إلى شرح ببعض الأمثلة القصيرة:

أوّل مثال يتبادر إلى الذهن في هذا الموضوع هو ما جاء في ''الموقف الأوّل'' من ''الكلمة الثانية والثلاثين''، ففي هذا المثال يقال أنّ وكيل أهل الضلالة يدّعي بأنّه - باسم الأسباب والطبيعة والفلسفة- صاحب هذا الوجود بدءًا من الذرّات وانتهاء بالنجوم. فإذا بدأنا بالذرّة ثم بكريّة حمراء في أحد شرايين الجسم الإنساني، ثم انتقلنا إلى إحدى الخلايا، ثم إلى الجسم الإنساني ثم إلى المخلوقات الأخرى، فإنّنا سنرى أنّها تردّ بلسان الحكمة جميع ادّعاءات وكيل أهل الضلالة، وتبيّن أنّ النظام الموجود فيها وفي الموجودات ككلّ نظام بالغ الكمال إلى درجة أنّه لا يسمح في أيّ موضع بأيّ شكل من أشكال الشرك أو التدخّل. ودليل الوحدانية هذا يعطي مثالاً واضحاً لما قامت به رسائل النور بقراءة وتأمّل الكون في ضوء العلوم المادية من أجل إثبات الحقائق الإيمانية وردّ الفلسفة المادية.

أي أنّ من يكشف نظام الكون في هذا المثال ويعرّفه لنا هو العلم الحديث نفسه.

أمّا الهامش الطويل في ''الموقف الأوّل'' الذي يصوّر ويشرح نظام التنفّس ونظام الدورة الدمويّة في جسم الإنسان فهو مثال آخر في هذا الموضوع.

هناك أمثلة عديدة في رسائل النور في هذا الموضوع، ورد أحدها تحت اسم ''نكتة توحيديّة ظريفة''.[7] ومثال آخر ورد في ''الكلمة الخامسة والعشرين'' الذي شرح فيه تفسير الآية الكريمة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾[النبأ:٦] فعندما يقوم ببيان صفة الشمول الموجودة في ألفاظ القرآن، ويشير إلى أنّ الجميع، بطبقاتهم المختلفة -سواءً أكانوا منتسبين إلى الأدب أم إلى العلم- يأخذ كلّ واحد منهم حصّته ونصيبه من هذه الآية، نراه ملمّاً بعلوم الجغرافيا والجيولوجيا.

وإذا أتينا إلى ''الطبيعة'' وإلى الأسباب، نرى أنّ رسائل النور تحتوي على أدلة عديدة حول كون هذه المفاهيم بأجمعها مفاهيم متهافتة، ودون أيّ سند او أيّ أساس. ويتجلى هذا على الخصوص في رسالته ''الطبيعة''، فقد هدمها تماماً بوساطة تسعة من المحالات والمستحيلات، ويبيّن ''أنّ ما يسمونه الطبيعة ليس إلّا شيئاً وهميّاً لا حقيقة له، إذ ليست الطبيعة في الحقيقة سوى القوانين المعنويّة لنظام الكون المخلوق من قبل سلطان الأزل. فهذه القوانين لا تملك إلّا وجوداً علميّاً ولا تملك أيّة قدرة على الخلق''.

وقال بديع الزمان أنّه لو تمّ افتراض النظام الموجود في الكون ناظماً، والصنعة صانعاً، والقوانين الجارية فيه مصدراً للقدرة كما يفترض الماديّون، عند ذلك يجب اعتبار كلّ سبب بل حتى كلّ ذرّة صاحبة علم وقدرة لخلق الموجودات كلّها، أي يجب إضفاء كلّ صفات واجب الوجود على كلّ ذرّة من هذه الذرات وكلّ سبب من هذه الأسباب، وبعبارة أخرى يتحتّم على من لا يؤمن بإله واحد أن يؤمن بآلهة لا تُعدّ ولا تحصى. وعلاوة على هذا فإنّ هذه الآلهة التي لها القدرة لخلق كلّ شيء ما عداها هي، يجب أن تتّفق مع الآلهة الأخرى المنافسة لها، وذلك لكي يسود ويستمرّ النظام في الكون. بينما لا يوجد أيّ مكان مهما كان صغيراً، ولا أيّة إمكانيّة أو احتمال لوجود أيّ شريك يتدخّل في هذا الكون، بدءًا من جناح الذبابة صعوداً إلى نظام المجموعة الشمسيّة. ولو كان هناك أيّ تدخّل من قبل أيّ شيء غير الخالق الواحد الأحد، لأدّى ذلك إلى اضطراب الكون ولما بقي أيّ نظام فيه.

ويشرح بديع الزمان كيف أنّ الأسباب لا تملك قدرة الخلق، وأنّ الخلق أمر خاص بالله بالشكل التالي:

''مادامت طبيعة كلّ شيء مخلوقة كالشيء نفسه، لأنّ تكوّنها محدثٌ -غير قديم- وعليها علامة الصنعة والإتقان، وأنّ سبب وجود هذا الشيء الظاهري هو أيضاً مصنوع حادثٌ. ولما كان وجود أيّ شيء مفتقراً إلى وسائل وآلات وأجهزة كثيرة فلابدّ من قدير مطلق القدرة ليخلق تلك الطبيعة في الشيء، ويوجد ذلك السبب له، ولابد أن يكون -هذا القدير المطلق القدرة- مستغنياً غناءً مطلقاً، فلا يشرك الوسائط العاجزة في إيجاده للشيء وفي هيمنة ربوبيّته عليه.

فحاش لله أن يكون سواه القدير المستغني المتعال، بل هو سبحانه وتعالى يخلق المسبّب والسبب معاً من علوّه خلقاً مباشراً، ويوجد بينهما سببيّة ظاهرية وصوريّة، ويقرن بينهما من خلال ترتيب وتنظيم، جاعلاً من الأسباب والطبيعة ستاراً ليد قدرته الجليلة، وحجاباً لعظمته وكبريائه، ولتبقى عزته منزّهةً مقدّسة في عليائها، ويجعل تلك الأسباب موضع الشكوى لما يتراءى من نقائص، ولما يتصوّر من ظلم ظاهري في الأشياء''.[8]

وحكى في كتاب ''الآية الكبرى'' سياحة كونيّة خياليّة لأحد السيّاح، سأل فيها كل طائفة من المخلوقات عن خالقها، ويتعلّم من كلّ منها بلسان فطرتها وبطور خلقها شهاداتها. وبينما يقوم بديع الزمان ''ضمن هذا الترقي العام في مدارج معرفة الله'' بتعريفنا بالطريق المؤدي إلى معرفة الله بوساطة الحقائق المشاهدة في الكون وبوساطة

أسمائه الحسنى وصفاته، فإنّه يقوم في الوقت نفسه بالبرهنة على وجود الله وعلى وحدانيّته وعلى جماله وكماله، وفي ذلك قال:

"فيكون وجوده سبحانه للبصيرة أظهر من الشمس للبصر وأسطع منها، فتدركه حتّى كأنّها تراه؛ ذلك أنّ الكتاب الجميل ذا المعنى اللطيف، والبناء المنتظم المتقن، يستدعيان بداهة فعلي الكتابة والبناء، وفعلي الكتابة الجميلة والبناء المنتظم يستدعيان أيضاً بداهة اسمي الكاتب والبنّاء، واسمي الكاتب والبنّاء يستدعيان أيضاً بداهة صنعة الكتابة والبناء وصفتيهما، وهذه الصنعة والصفات تستلزمان بداهة ذاتاً تكون موصوفة وصانعة، ومسمّىً، وفاعلة، إذ كما لا يمكن أن يكون هناك فعل دون فاعل، ولا اسم دون مسمّى، كذلك لا يمكن أن تكون صفة دون موصوف، ولا صنعة دون صانع.

وهكذا يتقرّر بناء على هذه الحقيقة والقاعدة أنّ هذا الكون -بموجوداته كافّة- قد كتب بقلم القدر، وبُني بمطرقة القدرة؛ فكُتب فيه ما لا يحدّ ممّا هو بحكم الكتب والرسائل ذات المعاني اللطيفة. وبني فيه ما لا ينتهي ممّا هو بمثابة بنايات وقصور. فتشير كلّ واحدة منها إشارات لاحدّ لها بآلاف الأوجه، وتشهد معاً بوجوه غير محدودة شهادات لا نهاية لها على وجوب وجود ووحدانيّة ذات جليلة أزليّة أبديّة، هي موصوف تلك الصفات السبعة المحيطة القدسيّة ومعدنها؛ بالأفعال الربانيّة والرحمانيّة غير المتناهية، وبجلوات غير محدودة لألف اسم واسم من الأسماء الحسنى التي هي منشأ تلك الأفعال، وبالتجلّيات غير المتناهية للصفات السبعة السبحانيّة التي هي منبع تلك الأسماء الحسنى... وكذا فإنّ ما في تلك الموجودات كلّها من جميع أوجه الحسن والجمال وأنماط النفاسة والكمال، ومن جمال قدسيّ يليق بتلك الأفعال الربّانية والأسماء الإلهيّة والصفات الصمدانية والشؤون السبحانيّة ويوافقها، كلّ منه -بحد ذاته- يشهد وبمجموعه يشهد بداهة على الجمال المقدّس والكمال المقدّس لذاته سبحانه وتعالى".[9]

وصوّر بديع الزمان نظرة رسائل النور إلى الكون بالحكمة الآتية:

"وفي كل شيء له آية تدل على أنّه واحد". وهكذا فإنّ رسائل النور تفتح -وفق منهج القرآن- نافذة من كل شيء نحو معرفة الله، وهو ما يميّزها عن كثير من الكتب، ككتب علم الكلام، إذ استطاعت الرسائل استحصال علم يحتاج إلى عشر سنوات في سنة واحدة فقط، فإنّها استطاعت أن تقدّم أعقد الحقائق بشكل سهل فهمه ودون ضرر يذكر. وشبّه بديع الزمان رسائل النور بعصا موسى، فأين ما ضربها تفجّر من ذلك الموضع الإيمان بالله ومعرفته، فحتّى من الذرة الصغيرة يستطيع البرهنة على وجود الله

وعلى وحدانيته وعلى علمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته الأخرى بشكل يسهل على الجميع فهمه. ولاشكّ في فوائد طريق رسائل النور، التي تعلّم حقائق الإسلام للإنسان الغربي وللإنسان المعاصر الذي أخذته دوّامة الحياة المتسارعة، ولم تتيسر له فرصة الحصول على العلوم الدينيّة ولا اكتساب الثقافة الدينيّة فوائد عديدة.

وفعلاً فإنّ من أهمّ مميّزات رسائل النور قدرتها على إيصال أعمق المسائل الإيمانيّة إلى كلّ إنسان بما فيها العامي بشكل سهل ودون تعقيد أو صعوبة أو ضرر. فاشتهر بديع الزمان بمكنة وبراعة إظهار مثل أدلّة حاسمة حول الحشر وحول الآخرة، بمسالك الظاهر أنّه لم يسبق إليها، إذ يبيّنها في بضع صفحات وبأسلوب واضح وبرّاق موضوع القدر والإرادة الجزئيّة ويبرهن على وجود الملائكة وبقاء الروح... هذه أمثلة فقط في هذا الموضوع.

وعلاوة على هذا يتناول بديع الزمان العديد من المواضيع العويصة في الدين وعالم الوجود، وشرحها بطريقة منطقيّة، منها ذات الإنسان أو ''الأنا''، ومسائل الحياة والموت، وتحوّلات الذرّات، والفعاليّات الموجودة في الكون والمستمرّة دون كلل، والموجودات من أين جاءت وإلى أين تذهب؟...

وكلّما تفحّصنا رسائل النور يصبح الكون -لمن يستطيع مطالعته- كتاباً يفشي جميع أسرار عالم الوجود.

من الشرور إلى الخير، ومن الشقاء إلى السعادة

ما يمكن ذكره في هذا الخصوص هو أنّ الشرور والكوارث الموجودة في الدنيا تعدّ مشكلة في نظر الغربيّين، وهو أمر لا يمكن تفسيره، أو هو ظلم لاعدالة فيه، إلى درجة أنّه يؤدي إلى الشك في وجود الله -حاشاه- وأفضل الأجوبة التي أعطيت حول هذه المسائل، وأكثرها إقناعاً هي الأجوبة التي أعطتها رسائل النور.

فمثلاً بيّن بديع الزمان أنّ الخير والجمال والكمال غاية أصيلة ومطلقة في الكون وفي تنظيم الكون. وكلّ علم من العلوم يشرح النظام والكمال الموجودين في ساحته وفي مجال اختصاصه، ويبرهن على هذه الحقيقة؛ أمّا الشر والقبح والقصور والعبثيّة فقليلة، وتأتي بالدرجة الثانية وهي في مرتبة التابع للآخر، فهي لم تدخل الكون بذاتها بل دخلت كوحدة قياس لكي توضح الجمال الواحد في مراتب مختلفة وبشكل منفصل ومستقلّ.

ثمّ قد يقبل شر صغير من أجل الحصول على خير كبير، فلو تُرك وسحب فهو

وسيلة لخير عميم، ومعنى هذا أنّه تم اقتراف شرّ كبير. وهذا هو سبب خلق الشرور والكوارث والشياطين وما شابه، ذلك أنّ نتائج مهمّة جدّاً تظهر في الكون بخلق هذه الأمور.

ويوضح بديع الزمان فذكر أنّ الشرور -حتى خلق الشيطان وتسليطه على الإنسان- تكون سبباً لرقيّ دائم وغير محدود للإنسان، فالإنسان ينال هذا الرقي والتطور إلى الافضل عن طريق النضال والسباق، فهذه الدنيا ميدان امتحان، فبالنضال والسباق تتميّز الأرواح الشبيهة بالفحم عن الأرواح الشبيهة بالألماس، وإلّا بقي الاثنان معاً وصعب التمييز بينهما. لذا ومن هذا المنطلق فإنّ وجود الشر وخلق الشيطان لا يكون شرّاً، لأنّ وجودهما وخلقهما يؤديان إلى نتائج مهمة.

"وعلى غرار وعلى غرار هذا فان الصانع الجليل قد ألبسك جسماً بديعاً مزيناً بالعين والاذن والانف وغيرها من الاعضاء والحواس. ولأجل اظهار آثار اسمائه الحسنى المتنوعة يبتليك بانواع من البلايا فيمرضك حيناً ويمتعك بالصحة احياناً اخرى، ويجيعك مرة ويشبعك تارة ويظمئك اخرى. وهكذا يقلبك في امثال هذه الاطوار والاحوال لتتقوى ماهية الحياة وتظهر جلوات اسمائه الحسنى."[10]

وفي الواقع فإنّ السعادة الحقيقيّة التي يسعى إليها الإنسان هي الإيمان بوحدانيّة الله، وما يتبع هذا الإيمان من توكّل. ويرى بديع الزمان أنّ أحد أسباب نجاح رسائل النور وانتشارها في جميع الأرجاء يكمن في قيامها بإثبات هذه الحقيقة، فبينما ترينا رسائل النور -بعد إيراد قياسات عديدة ومختلفة- الآلام الناتجة عن الذنوب وعن العصيان، تقول بأنّ الالحاد والضلالة تحوّل هذه الحياة الدنيا إلى ما يشبه الجحيم، كما تصوّر اللذائذ الموجودة في الأخلاق الحميدة وفي أفعال الخير، لتبرهن على أنّ الإيمان يحوّل هذه الحياة الدنيويّة إلى ما يشبه الجنّة. ومثل هذه التحليلات أكثر نفعا وأجدى منهجا وفعالية، ذلك أنّه يكون بمقدور كلّ شخص تشخيص ومعرفة وضعه. ثم إنّ هذه المقايسات ترينا ماهية الضلالة والنتائج المتولّدة عن التطلع إلى الدنيا بمنظار الفلسفة، فمن ينظر بهذا المنظار سيحسّ -نتيجة حال الدنيا- بالألم لحال الناس ويحس بالألم لحاله، وكلّ ذلك ناتج من عدم معرفة رب الكون أو معرفته بشكل ناقص وقاصر، ولو تمّ النظر إلى الدنيا في ضوء القرآن لزالت كل هذه الآلام واندملت كل هذه الجروح، ورسائل النور لا تمارى ولا تتردد في إثبات هذه الحقيقة.

الاسلوب الهين والمقنع

لا نستطيع هنا أن نمر على هذا الموضوع دون ذكر ميزة أخرى لرسائل النور، وهي

الأسلوب الناعم والسهل والمقنع لها عند إيرادها لهذه الأمثلة. والحقيقة أنّ هذه الميزة تعدّ ميزة رئيسيّة عند تقديم وتعليم حقائق الإسلام للغرب. ونقدّم هنا فقرة من تفسير الآية الرابعة من سورة البقرة كمثال على ما نقول، فهذه الفقرة تبين طريقته التي دافع عنها في دعوة المسيحيّين إلى الإسلام.

يحثّ القرآن الكريم أهل الكتاب على الإيمان، ويستعمل معهم أسلوباً هيّناً ليّناً حيث:

''لايشقنّ عليكم الدخول في هذا السلك، اذ لاتخرجون عن قشركم بالمرة بل انما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ماهو مؤسس لديكم'' اذ القرآن معدِّل ومكمِّل في الاصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة واصول الشرائع السالفة. إلا انه مؤسِّس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان؛ فكما تتحول الادوية والالبسة في الفصول الاربعة، وطرز التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص؛ كذلك تقتضي الحكمة والمصلحة تبدل الاحكام الفرعية في مراتب عمر نوع البشر. فكم من حكم فرعي كان مصلحة في زمان، ودواء في وقت طفولية النوع، لايبقى مصلحة في آخر، ودواء عند شبابية النوع. ولهذا السر نَسخَ القرآن بعض الفروع. اي بيّن انقضاء اوقات تلك الفروع ودخول وقت آخر.''[11]

الخاتمة:

وفي النتيجة نستطيع أن نقول ما يأتي: إنّ بديع الزمان برسائل النور أعطى أفضل أنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب وشرحه لهم، وقدّم بذلك للإسلام وللقرآن خدمة لا نظير لها، ذلك أنّه بتفسيره رسالة القرآن لإنسان هذا العصر، أثبت أنّ الإسلام هو دين العقل وهو منبع المدنيّة الحقيقيّة ورقيّ الإنسانيّة وتقدّمها. وفي زمن يقدّم فيه الإسلام على أنّه دين المتعصّبين والرجعيّين، أو كإيدولوجيّة سياسية أو أنّه يمثّل بوساطة بعض الطغاة والمجرمين، قام بديع الزمان بإثبات أنّ جميع الكمالات الإنسانيّة ورقيّها وسعادتها كامنة وموجودة في الإيمان بالله، وفي التصديق بوحدانيّته، وكامنة في الإسلام الذي يمثل العبوديّة المطلقة والدين الأسمى.

ويرى بديع الزمان أنّ السيف الماسي القاطع لبراهين الإسلام يكفي لنشر رسالة الإسلام ودفع الدعوة الإسلاميّة إلى أعلى. فكما كتب في بداية العصر قائلا: ''إن الظهور على المدنيين المثقفين انما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار''.[12]

ووفّق الله ورأينا تباشير إرهاصات بديع الزمان تتحقق وأنّ القرآن سيحكم في المستقبل وأنّ الغرب سيدخل إلى الإسلام على شكل دول، فإنّ البلاغة ستكون أمضى

سلاح في المستقبل ''أو في آخر الزمان''، أي قابليّة إقناع الآخرين بالأفكار، وهذا المستقبل آتٍ لاريب فيه. وبما أنّنا وُهبنا طريقاً قيّماً جدّاً في نشر رسالة القرآن، فنحن نأمل أن يتحقق الشق الأوّل من توقّع بديع الزمان ''وهو أنّ القرآن سيحكم في المستقبل'' إن شاء الله تعالى.

* * *

الهوامش:

[1] شكران واحدة ''ماري ويلد'' باحثة وكاتبة: ولدت عام ١٩٤٨ في مدينة لانكشاير في إنكلترة. تخرجت سنة ١٩٨٠ من قسم الأدب التركي والفارسي في كلية الاستشراق/ جامعة دورهام. اشتغلت تحت إشراف المستشرق الألماني البروفسور الدكتور باول لونت في رسالة دكتوراه عن مؤلفات ''حسين واعظ الكاشفي الهيراتي'' وهو من أدباء القرن الخامس عشر. أسلمت سنة ١٩٨١ بعد أن قرأت رسائل النور واتخذت اسم ''شكران واحدة'' وتقيم حالياً في تركيا حيث تُعدّ بحوثاً حول رسائل النور، قامت بترجمة كليات رسائل النور إلى الإنكليزية. وطبعت في إسطنبول والقاهرة ودلهي والفلبيين.

[2] بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الاسلام ''الخطبة الشامية'' ص: ٤٩٤.

[3] المصدر السابق. ص: ٤٩٥.

[4] وهو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة (المطيعة) التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر، وتعلم في الأزهر واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة (١٢٩٧هـ) واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم عين مفتياً للديار المصرية سنة ١٣٣٣ هـ، وله كتب قيمة، وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ انظر''الأعلام للزركلي'' (٢٧٤/٦).

[5] الملاحق، ملحق اميرداغ ص.٣٤٨

[6] صيقل الإسلام، المناظرات ص: ٤٢٨.

[7] الكلمات، نكتة توحيدية في لفظ ''هو''، ص: ١٨٠.

[8] بديع الزمان سعيد النورسي: ''اللمعات'' ص: ٢٨٣.

[9] بديع الزمان سعيد النورسي: ''الشعاعات'' ص: ١٨٧-١٨٨.

[10] بديع الزمان سعيد النورسي: ''المكتوبات'' ص: ٥٤

[11] بديع الزمان سعيد النورسي: اشارات الاعجاز، ص: ٥٩.

[12] صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص: ٤٤٦.

نظام التربية في رسائل النور

–ABSTRACT–

Education Systems in the Light of the Risale-i Nur

Prof. Dr. Adam Tatli

Nursi's Risale- i Nur represents a unique system in education which acknowledges the human being, his abilities, longings, feelings and perceptions. In addition to taking care of man's physical and psychological needs as well as his personal and collective aspects - this system links man to his past, present and future. The advantages of this system entitle man to validity of education, proliferation and personal flourishing in the present and for a bright future and a better Hereafter. If the Risale-i Nur's approach in thinking and contemplating were implemented in educational and disciplinary institutions; many shortages in applied systems in our societies would be overcome, and many benefits would be attained.

Key Words: Risale-i Nur, Education, Human Needs, Society, Education Systems

– ملخص البحث –

أ.د. آدم طاطلي[1]

تمثّل رسائل النور للأستاذ النورسي نظاما تربويّا خاصّا، يستوعب الإنسان في جملة ملكاته وأشواقه وأحاسيسه ومشاعره... وكلّ جوانبه الماديّة والمعنوية، ومجمل أبعاده الشخصيّة والجماعيّة، نظام يربطه بالماضي والحاضر والمستقبل، وتخوّل له ميزاته صلاحيّة التعليم والانتشار والتفعيل في الحاضر لأجل غد سعيد وآخرة أسعد، فلو فعّلنا رسائل النور ومنهجها في النظر والتدبير والتطبيق في مؤسّساتنا التعليميّة والتكوينيّة لاستدركنا على نقائص الأنظمة التربويّة المعمول بها في مجتمعاتنا، واستجلبنا بها خيرا عميما.

الدراسة:

أهدى بديع الزمان إلى الانسانية الحائرة والضجرة من النظم التعليمية المختلفة أنموذجاً جديداً لنظام التربية يقوم على أساس اصلاح المدارس الدينية حسب المفهوم المعاصر وتأسيس علاقة سليمة موضوعية بينها وبين العلوم الوضعية وتقديمهما معاً وضمن إطار واحد.

لاشك أن الغاية الأساسية من فعاليات المجتمعات الانسانية وجهودها هي تأمين رفاه الفرد وأمنه، وبالتالي رفاه المجتمع وأمنه. يتوقف تأمين هذه الغاية على معرفة رغبات الفرد وميوله معرفة جيدة، وكذلك معرفة نوعية الروابط التي تربط الأفراد بعضهم ببعض. وتحقيق ذلك يتم ضرورة بطريق التربية، إذ التربية هي التي تحقق هذه الوظيفة وتؤمنها. ذلك أنّ التربية التي لا تتناول الإنسان من نواحيه المادية والمعنوية على حدّ سواء تربية ناقصة وغير كافية ولا تناسب بنيته البيولوجية والمعنوية، وهي بعيدة عن تحقيق السعادة والمحبة والرحمة والحنان للفرد والأسرة والمجتمع.

أولا: الإنسان في النظرة المادية:

بيّن وفق المتداول الفكري الراهن أنّ النظرة المادية ''ولاسيما نظرة أنصار التطور'' لها نظرة خاصة لموضوع خلق الإنسان وظهوره(قصّة الخلق)، بناء عليه تقوّم الإنسان، فتحاول أن تربيه على أساس مادي صرف دون أن تأخذ بعين الاعتبار رغباته وتطلعاته وميوله ومشاعره المتلائمة والمنسجمة مع الغاية من خلقه، وأفضل شاهد على ذلك والوضع الحالي للعالم ونتيجته المتجلية في نظام التربية الغربية.

ترى هذا الفلسفة التطورية الغربية أنّ الإنسان ليس إلاّ حيواناً ناطقاً، ترقى من مستويات أدنى من الأحياء ''بوساطة التغيرات الحاصلة صدفةً ضمن شريط زمني'' إلى مستوى القرد، وأخيراً تخلى عن فروته وخرج من المغارة.

وهو من الناحية البيولوجية -حسب نظرتهم- ليس إلاّ حيواناً متكوناً من مجموعة معلومة من الخلايا ولا يكسو جسده الشعر.

وغاية مثل هذا الإنسان تأمين احتياجاته الشخصية ومحاولة العيش بأفضل صورة في حياته المحدودة في هذه الدنيا. وغاية التربية المقدمة له هي مساعدته في تأمين غايته تلك.

في ظل هذا الفكر المادي المتداول صاغت رسائل النور رؤيتها لموضوع الخلق وقصته، وتتجلى العناية بالموضوع من جملة من المداخل النظرية، سنعرض جملة منها في هذا البحث

ثانيا: الإنسان في رسائل النور

الإنسان موصول بالماضي وبالمستقبل.

تسترعي رسائل النور الانظار -استلهاماً من القرآن الكريم- إلى أنّ الإنسان هو أشرف المخلوقات وأنه خُلق أحسن صورتها وأكملها بإرادة هادفة، وزُين وزود بأحاسيس مادية ومعنوية عديدة، فقد وهبت له استعدادات واسعة وقابليات عامة، إذ أُخِذ بعين الاعتبار امتلاكه لرغبات كثيرة جدا. وأهم من كل هذا هو أنه في منزلة يستحق فيها أن يكون مخاطباً من قبل الله، لذا فرسائل النور تأخذه ككلّ وتنظر في تقويمه من كافة نواحيه المادية والمعنوية، لذا فهي تقترب من هذا الموضوع، وفق مسلك محدد بيّن واضح تستهله بتأكيد على ''أن الإنسان ضعيف بينما مصائبه كثيرة، وهو فقير ولكن حاجته في ازدياد، وعاجز إلاّ أن تكاليف عيشه مرهقة، فإن لم يتوكل هذا الإنسان على العلي القدير ولم يستند إليه، وان لم يسلّم الأمر إليه ولم يطمئن به، فسيظل يقاسي في وجدانه آلاماً دائمة، وتخنقه حسراته وكدحه العقيم، فإما يحوله إلى مجرم قذر أو سكير عابث.''[2]

رغبات الإنسان غير المحدودة في رسائل النور.

يستشف من رسائل النور الإشارة القوية إلى رغبات الإنسان غير المحدودة، منها قول الأستاذ: ''إنّ الإنسان محتاج إلى أكثر أنواع الكائنات وهو ذو علاقة صميمية معها. فلقد انتشرت حاجاته في كل طرف من العالم، وامتدت رغباته وآماله إلى حيث الأبد، فمثلما يطلب أقحوانة، يطلب أيضاً ربيعاً زاهياً فسيحاً، ومثلما يرغب في مُرج مبهج يرغب أيضاً في الجنة الأبدية''.[3]

والإنسان الذي هذا شأنه وبمثل هذه البنية الروحية سيكون مهتماً بالماضي وبالمستقبل، وله علاقة صميمة بهما، يشرح بديع الزمان هذا الأمر بقوله: ''فهو (الإنسان) يتلذذ دون ألم، ويتذوق الأشياء صافية دون تكدر وتعكر، فلا تعذبه آلام الماضي ولا ترهبه مخاوف المستقبل، فيعيش مرتاحاً ويغفو هانئاً شاكراً خالقه، حامداً له''،[4] في كنف الإيمان، ويتطلّب تحقيق هذا القصد توفّر شرط ضروري، غلا تكون الدنيا أكبر همّه ولا مبلغ علمه.

أ- التحرر من الدنيا قلبا

تؤكّد رسائل النور أنه يجب على الإنسان الذي يرغب في أن يكون سويا أن لا تكون الدنيا كل همّه ومنتهى غايته، توضح رسائل النور هذه المعاني فتقرر بأنّ مثل هذا الإنسان المجهز بكل هذه الأحاسيس الرقيقة والمزين بكل هذه الأفكار والمخلوق

في أجمل الصور المادية والمعنوية، إنْ جعل حياته الدنيوية هدفه النهائي غايته القصوى فإنّه يفقد أساس أهلية التلقي، ويتدحرج إلى ما دون الإنسان، ''إذن فالإنسان الذي خلق في ''أحسن تقويم'' إذا حصر فكره في الحياة الدنيا وحدها فسيهبط ويتّضع ويصبح أقل شأناً بمائة درجة من حيوان كالعصفور وإن كان أسمى وأتمّ من الحيوان من حيث رأسماله بمائة درجة''.[5]

والعاقل يتساءل، ما الذي يعلى مقام الإنسان ويسمو به إلى الموقع اللائق به، ويسعفه في استرداد أهل المهمّة الوجودية؟ يجب أنْ نبحث عن جواب هذا السؤال في نظرة الإنسان إلى الدنيا، والتأكيد على أنّه إذا أدراك أنّ هذا العالم زائل ومؤقت، سيغيّر نظرته لنفسه ووظيفته والعالم. ويعبر بديع الزمان عن هذا المعنى موجّها خطابه للإنسان، بقوله:

''وأما أنت هنا الآن؛ فمسافرٌ ثم مسافرٌ ثم مسافرٌ، والمسافرُ لا يعلّقُ قلبه بما لا يتعلق به ويفارقه بسرعة. فكما ترتحل من هذا المنزل في هذا المسجد البتة، كذلك تفارق هذه البلدة قطعاً، إما إلى بطنها أو إلى خارجها... فكما ستفارقها بالضرورة، كذلك تذهب بل تُخرَج وتُطردُ -شئتَ أم أبيتَ- من هذه الدنيا الفانية؛ فاخرجْ وأنت عزيز قبل أن تُطرد وأنت ذليل''.[6]

ب- قيمة الإنسان تسمو بمقدار توجهه لله

إنّ الإنسان حسب الفلسفة الغربية حيوان ترقى من القرد نتيجة تغيرات عشوائية، فماذا تستطيع مثل هذه الفلسفة أن تقدم لروح الإنسان المشتاق للبقاء، وما الكمالات التي تستطيع هذه الفلسفة إهداءها لروح الإنسان، وما الذي تستطيع أنْ تزيّن به الإنسان؟ وماذا أعطت وماذا قدمت لأنصارها حتى الآن غير الضجر والألم والسفاهة والروح المتوحش، وماذا يمكن أن ننتظر منها غير هذا بعد الآن؟

العرض الموضوعي لحال الإنسان يستفز كل عاقل مشغول بالوضع المزري للإنسان في العالم كلّه، وهو الأفق الذي شغل الأستاذ النورسي، فكان جوابه ''الذي أخذ دروسه من القرآن يشرح طريق القرآن برسائل النور'' يهتف: ''نعم أيها الإنسان! إنّك من جهة جسمك النباتي ونفسك الحيوانية جزء صغير وجزئي حقير ومخلوق فقير وحيوان ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودات المتزاحمة المدهشة. إلاّ أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الالهية سلطانٌ في هذه العبدية... وإنّك كليٌ في جزئيتك... وإنّك عالمٌ واسع في صغرك... ولك المقام السامي مع حقارتك فأنت المشرف ذو البصيرة النيرة على هذه الدائرة الفسيحة المنظورة، حتى يمكنك القول: إنّ ربي الرحيم قد جعل لي

الدنيا مأوىً ومسكناً، وجعل لي الشمس والقمر سراجاً ونوراً، وجعل لي الربيع باقة وردٍ زاهية، وجعل لي الصيف مائدة نعمة، وجعل لي الحيوان خادماً ذليلاً، وأخيراً جعل لي النبات زينة وأثاثاً وبهجة لداري ومسكني.

وخلاصة القول: إنّك إذا ألقيت السمع إلى النفس والشيطان فستسقط إلى أسفل سافلين وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى عليين وكنت ''أحسن تقويم'' في هذا الكون''.[7]

ويضيف بديع الزمان: ''اعلم! أنه لا يليق بك إن كان لك عقلٌ سليم أن تهتم وتغتم وتغضب وتصخب لما يأتيك أو يفوتُك من أمور الدنيا، لان الدنيا تزول لاسيما دنياك، ولاسيما أنت؛ إذ لست بأبدي هنا، ولستَ من حديدٍ ولا شجر حتى يطول بقاؤك، بل من لحم متجدّد ودم متردد وروابط في غاية رقة تتأثر بأدنى شيء. وقد تنقطع تلك، وينجمد هذا، ويتفسخ ذلك باختلال ذرتين، ولاسيما تَنفس فيك صبحُ المشيب وكَفنَ نصف رأسك.. ولاسيما تضيّفَت بل توطنت فيك العللُ التي هي طليعة الموت، والأمراض التي هي مخالبُ هادم اللذات، مع أن أمامك عمراً أبدياً ألقيته خلفك ظهرياً، إنما ترتّبت راحته على سعيك هناك، مع انك في حرصك وشَرهَك كمن هو خالد وخَلُدَت له الدنيا خاصة.. فانتبه قبل أن تُنبّهك سكراتُ الموت...''[8]

والفرد الذي أخذ هذا الدرس ونظم حياته وأهدافه ومثله حسب هذه المقاييس، حقيق بأنْ يكون سيد الإنسانية ورئيس العالم وأجمل ثمرة للكون وأرشق وألطف وأجمل عبد لله سبحانه وتعالى؟ ما أكثر حاجة الإنسانية إلى أفراد لهم مثل هذا الخلق.

١. طبيعة النظام التربوي المتوازن في رسائل النور

نظم التربية المقدمة للإنسان التي تروم تحقيق إنسان متوازن يجب أن تأخذ باعتبارها جميع رغباته وميوله، ويتعيّن أن تملك القدرة على توجيه رغباته وجهة إيجابية، وهذا لا يمكن تنفيذه إلاّ إذا استطاعت مخاطبة عقل الإنسان وقلبه وروحه وأحاسيسه. فلا يمكن إهمال رغبات وميول القلب والروح ولا سيما الشباب في المرحلة الدراسية الإعدادية (المتوسطة) والثانوية والجامعية. فنحن لم نهتم حتى الآن الاهتمام الكافي. فمن الحوادث المتكررة لدى طلاب المدارس الإعدادية والثانوية قيامهم بحرق كتبهم في الحديقة بعد إكمالهم الدراسة ثم الرقص حولها.

وفي كثير من مؤسسات التعليم العالي نجد أنّ الطلبة الذين يفتقدون الخوف من الرسوب أو أن يكونوا غير مسكونين من مخاوف مستقبل المعيشة سيفتقدون ضرورة دافع الانكباب على دروسهم، لأنّ الخوف على المستقبل يمنحهم شوق التحصيل ويثير فيهم الهمة للدراسة الجادة. والأمثلة البارزة على هذا الأمر هو أنّ أكثر الطلاب

يحاولون اجتياز الامتحانات بتكثيف جهودهم لبضعة أيام فقط، وعندما يتخرجون يهملون كتبهم حتى يعلوها التراب في مكتباتهم.

أما الطلاب المتخرجين من الكليات بمعلومات مادية فقط، فحالتهم الروحية والنفسية تدعو للرثاء وللعبرة وتستدعي دراسة عميقة. وبشكل عام فإنّ حالة غيرهم من مكونات المجتمع ليست ببعيدة عنهم، فإنْ استمعت إلى أصحاب المهن فستسمع من كثير منهم تطلعهم نحو مستوى رفيع من الرفاه، ولأجل ذلك يخططون للوصول إلى الثراء السريع مهما كان الثمن وبأية طريقة كان هذا الوصول.

ولا ينتظر من مجتمع هؤلاء أفراده أية مشاعر سامية مثل التضحية أو الفداء والحمية. ولا يحق لنا أصلاً مطالبتهم بذلك. ذلك لأنّنا لم نلقنّهم هذه المعاني في نظامنا التربوي. بل اجتهدنا لتعليمهم كيف يكسبون فقط، وأهملنا رغبات أرواحهم وقلوبهم.

بل الأعجب أن نبذل عكس هذا الاتجاه في عالم الإنسان، وبذل في عالم الأشياء ما يحفظها بشكل صحيح، ذلك أنّنا نحاول الآن أنْ نحافظ على المنشآت الصناعية وأماكن العمل والمستخدمين من المهندسين ومن أرباب المهن الأخرى، ويسّرنا لهم تكوينا عاليا، فيتخرجون من كليات تضمن تكوينا عاليا جيّدا، وأصبحت العناية بهم أسبق من العناية بحفظ الأنفس والإنسان، هذا وضعنا رضينا أم لم نرض، فهؤلاء ثمرة تنشئتنا.

في إطار التحليل السابق نتفهّم أهمية طبيعة التربية التي تدعو إليها رسائل النور، انظر من الزاوية نفسها إلى الذين استفادوا من رسائل النور وأخذوا فيض المعاني منها، واستمعوا لها وأنصتوا لنصائحها وروت قلوبهم وأرواحهم من نبعها.

أ- تربية باعثة على الهمّة العالية:

أوّل نتائج هذا المسلك تكوين جيش المتطوعين من حملة همّ التعليم، فكانت الثلاثينيات من القرن الماضي سنوات عجافا تم فيها منع قراءة وكتابة ونشر جميع الكتب الدينية، بل منع حتى امتلاكها، حيث صدرت قرارات خطيرة في تلك الفترة ملخّصها استئصال الدين - ''قتل الدين''. في هذه السنوات كان هناك شيخ اسمه بديع الزمان قد نفي من شرقي البلاد وبدأ بإظهار حقائق القرآن، وهو القائل: ''لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد بل ألف سعيد قرباناً ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ عشرون مليونا فقط بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي البالغ مئات الملايين. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض فلا أرغب حتى

في الجنة إذ ستكون هي أيضاً سجناً لي، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام فإنني أرضى أن أُحرق في لهيب جهنم إذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور."[9]

وفي "بارلا" أملى رسالة بما يقرب من ثلاثين صفحة حول الآخرة وحول الإيمان، وحيث هُربت إلى قرية "صاو" بشكل سري. وهنا شمّر كل من يعرف القراءة والكتابة من الرجال والنساء والأطفال عن ساعد الجد لمساعدة هذا العالم المجاهد والإسراع إلى معاونته، فبدأ ألف قلم في كتابة هذه الرسالة على ضوء الشموع وفي أماكن مخفية في البيت ومسدلة عليها الستائر، ذلك لأن رجال الجندرمة ورجال الأمن إنْ اطلعوا على ذلك فالمصير المعلوم هو السجن.

وبينما نعجز نحن عن دفع الطلاب للقراءة رغم التشويق بالمكافأة او التخويف بالدرجات، ورغم قيامنا بتأمين تيسيرات مادية عديدة. إذن فما هو الحافز الذي دفع هؤلاء القرويين بدءًا من أطفالهم حتى شيوخهم إلى القراءة والكتابة؟ هذا بالرغم من وجود الضغط الحكومي والتهديد بالسجن.

لاشك أنّ علماء الاجتماع وعلماء التربية في العالم سيتناولون في المستقبل القريب عن تلك الظاهرة الحَرِيّة بالدراسة الجادة. ونحن إذْ نحيل هذا الموضوع إليهم نرجع إلى أيامنا الحالية.

ب- تربية عمومية أو جامعة الشعب:

قام بديع الزمان بتأليف رسائل بأسلوب سهل ميسّر يستطيع كل الناس -مهما كانت أعمارهم ومستويات تعليمهم- الجلوس جنباً إلى جنب لدراستها والاستفادة منها. ولا تتطلّب قراءة هذه الرسائل والاستفادة منها أية كلف أو إمكانيات مادية، بل قد تستغني حتى عن مكان اأو زمان معينين. ففي كل زمن وفي كل مكان يمكن الاستفادة منها. لذا فإن رسائل النور أضاءت كل مكان دخلت إليه، وحوّلت السجون إلى مدارس يوسفية، وانتقلت بالمدارس إلى مراكز تفكير وحوّلت المصانع إلى أماكن عبرة والبيوت إلى قصور سعادة. ويوضح هذه المعاني الأستاذ بديع الزمان بأنّ التربية التي توفرها رسائل النور في ما بين "٥-١٠" أسابيع ما كانت المدارس الدينية القديمة توفرها إلاّ في "٥-١٠" سنوات.

ففي كل مساء وفي كل مدينة يجتمع مئات -وفي المدن الكبرى آلاف- من الناس من مختلف الأعمار من مستويات تعليمية متباينة بشكل مجموعات تتألف كل مجموعة من ثلاثة إلى خمسة أشخاص يجلسون معاً ويقرأون رسائل النور بينهم. فكأن رسائل النور جامعة شعبية مفتوحة لكل طبقات الشعب. جامعة ينتسب إليها

الجميع بكل حب وشوق اعتباراً من الطفل بعمر سبع سنوات إلى الشيخ بعمر سبعين سنة.

ج- مميّزات الجامعة الشعبية:

يعود تحوّل رسائل النور إلى ما يشبه الجامعة الشعبية إلى جملة من الخصائص المنبثقة عنها والثاوية في مضامينها، لعلّ أهمّها:

١- يتلخّص هدفها الأسمى في توجيه الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى وتقريبه منه.

٢- تتناول الإنسان من جميع جوانبه المادية والمعنوية، وتذكّر بالمقاييس التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة.

٣- تنفث على الدوام في النفوس الشوق إلى العمل، فتستأصل اليأس والقنوط من النفوس.

٤- لفت الأنظار إلى أنّ جميع الموجودات التي تحيط بالإنسان وكلّ موجودات الكون مخلوقة لغاية ولهدف، كلفتها النظر إلى الحكم البديعة للخلق والمصاغة بموازين حساسة ومقاييس دقيقة وذلك لكي يتمزق ستار الألفة من أمام الأنظار.

٥- تقريب حتى أعقد الحقائق الإسلامية إلى العقول وذلك عن طريق ضرب الأمثال وجعلها سهلة لا ترهق الأذهان.

٦- عند تبليغ الحق والحقيقة لا توجه الخطاب رسائل النور إلى غير المتمتّع بقراءتها أصالة بل توجهه إلى نفس القارئ، أي التأسيس لأسلوب يتسم بالصدق وبالنزاهة، فيكون المستمع مستفيدا بالتبع.

٧- كون هذه الرسائل مرآة صادقة لحقائق القرآن.

عندما تتحدث إلى الأشخاص الذين يقرأون رسائل النور ستجد أنّ كلّ فرد منهم قد استفاد منها بحسب قابلياته وسعته النفسية فازداد إيمانه وتعمق، وتوسع حبه وشفقته على الأفراد والمجتمع، وقويت روابطه مع بلده ومع أمته، وتقدمت أحاسيس الفداء والتضحية عنده إلى المقام الأول. ويكمن سر هذا في نظام التربية برسائل النور. ذلك أنّ هذه الرسائل تتجاوز مجرد مخاطبة العقل، بل تأخذ الأحاسيس والمشاعر الأخرى أيضاً في نظر الاعتبار. وبهذا الخصوص يعطي بديع الزمان التقييم الآتي:

"عندما كنت أصحح ما استنسخه الصبيان والشيوخ وأنا أعاني من ضيق الوقت ورد على خاطري أنه لا داعي للضجر والضيق. فإن قراءة ما استنسخه هؤلاء ترغم المسرعين في القراءة إلى التأنّي والتروّي حتى يتمكن كل من العقل والقلب والروح والنفس والشعور من تناول حقائق رسائل النور التي هي في حكم الغذاء والطعام.

وبخلافه فإن القراءة السريعة تجعل العقل وحده آخذاً حظه، بينما تظل الأخريات دون غذاء.''[10]

وقال في موضع آخر:

''قبل حوالي ثلاثة أيام استمعت إلى الكلمة الثانية والعشرين أثناء تصحيحها. ورأيت أن فيها: ذكراً كلياً، وفكراً واسعاً، وتهليلاً كثيراً، ودرساً إيمانياً قوياً، وحضوراً بلا غفلة، وحكمة سامية، وعبادة فكرية رفيعة وأمثالها من الأنوار وأدركت الحكمة في قيام قسم من الطلاب بكتابة الرسائل أو قراءتها أو الاستماع إليها بنية العبادة. فباركت عملهم وصدّقتهم''.

''لقد رأيت فيها 'يقصد رسائل النور' ذكراً كلياً وفكراً واسعاً، وتحليلاً غزيراً ودروساً إيمانية قوية، واطمئناناً دون غفلة، وحكمة قدسية وعبادة تأملية''.[11]

١- التربية على التضحية وموضوعية مقياسها.

تلخص رسائل النور مقياس التضحيات الممكن تقديمها للبلد وللأمة بـ ''إن قيمة الشخص بهمّته، فمن كانت همتُه أمتُه فهو بحد ذاته أمة صغيرة قائمة.''[12]

وتعد الخاصية المشار إليها الميزة الفارقة للتربية التي تؤسس لها رسائل النور، فبها تمتاز عن التربية التي تعطيها المدرسة الحديثة، فهي لا تعد المرء الذي يفكر في نفسه لائقاً بصفة الإنسان، وتجليات هذه التضحيات الجسام في مختلف مسارات الحياة الاجتماعية، منها تحويل السجون إلى إصلاحيات، وبهذا الصدد يقوم بديع الزمان بتحليل الحوادث التاريخية كعالم اجتماع، ويستخرج منها دروساً مهمة من الناحية التربوية، منها قوله: ''إنك قد أطلقت على السجن اسم المدرسة اليوسفية، وقد وهب لك سجن دنيزلى من النتائج والفوائد أضعاف أضعاف ما أذاقكم من الضيق والشدة، ومنحكم فرحاً شديداً وسروراً عظيماً وغنائم معنوية كثيرة، واستفادة المساجين معكم من رسائل النور، وقراءة رسائل النور في الأوساط الرسمية العليا وغيرها من الفوائد، حتى جعلتكم في شكر دائم مستمر بدل التشكي والضجر محوّلة كل ساعة من ساعات السجن والضيق إلى عشر ساعات من العبادة، فخلّدت تلك الساعات الفانية، فهذه المدرسة اليوسفية الثالثة كذلك ستعطي -بإذن الله- من الحرارة الكافية ما يدفئ هذا البرد الشديد، وستمنح من الفرح والبهجة ما يرفع هذا الضيق الثقيل، باستفادة أهل المصائب والبلاء معكم من رسائل النور ووجدانهم السلوان فيها. أما الذين غضبت واحتديت عليهم، فإن كانوا من المغرّر بهم ومن المخدوعين فلا يستحقون الغضب والحدّة، إذ أنهم يظلمونك دون قصد ولا علم ولا شعور.''[13]

يجب ألا ننس أنّ حاجة المسجونين الحاليين إلى رسائل النور أكثر من أي عهد آخر.

ثالثا: آثار التربية المنبثقة من رسائل النور:

١- أثر إهمال التربية الدينية على النظام العام

نبّه بديع الزمان مسؤولي ذلك العهد على الدوام وبشكل متكرر إلى أنّ إهمال التربية الدينية للشباب سيؤدي إلى أضرار لا يمكن تلافيها في المستقبل، وأن الفوضويين سيتسلطون على رقاب الأمة والبلد. وقد بين هذا **المعنى** في إحدى المحاكم فقال:

''لماذا أنتم مشغولون بنا وبرسائل النور أيّها السادة؟ إنّني أؤكد لكم بأنني ورسائل النور لا نقوم بمحاربتكم أو مبارزتكم، بل حتى مجرد التفكير بكم قد يكون خارج مهمتنا. ذلك لأنّ رسائل النور وطلابها الحقيقيين يسعون لتقديم خدمة كبرى للجيل القادم بعد خمسين سنة لإنقاذه من ورطة كبيرة ولإنقاذ الأمة والوطن من خطر كبير.

وعلى فرض المستحيل فلو عُدّ تقديم هذه الخدمة ''التي تسعى لتأمين السعادة والسلامة'' مبارزة فمن الواجب ألاّ يهمّ هذا المدفونين في المقابر والذين تحولوا إلى تراب مع أنّ هذه الأمة المضحية قدمت من أعماق روحها وطوال ألف سنة أمثلة لا تضاهي من البطولات في خدمة القرآن إلاّ أنّ الجيل القادم يمكن أنْ يقوم بتلطيخ هذا الماضي المشرق لطخة كبيرة قد تقضي عليه. لذا فإنّ إنقاذ قسم من هذا الجيل من هذا السقوط المريع بتزويده بالحقائق التي تحتويها رسائل النور أفضل خدمة لهذه الأمة ولهذا الوطن. ولكوننا نعلم هذا فإنّنا لا نفكر في إنسان الزمن الحالي بل انسان ذلك الزمن.

''ذلك لأنّ المسلم لا يشبه غيره. فإنْ ترك دينه وخرج من سجية الإسلام وقع في الضلالة المطلقة وأصبح فوضوياً لا يمكن السيطرة عليه...

''ومادامت هذه هي الحقيقة، فإنّ الواجب الأول لجهاز العدالة ليس اتهامي واتهام طلاب النور، بل القيام بحماية رسائل النور وحماية طلابها لكونهم يحافظون على أعظم حق من حقوق الأمة والوطن، فإنّ الأعداء الحقيقيين لهذه الأمة ولهذا الوطن يهاجمون رسائل النور ويدفعون أجهزة العدالة -بعد خداعها- لارتكاب أفظع ظلم وأفظع جناية على العدالة''.[14]

يعلم جيلنا جيداً أنّنا قد عايشنا منذ مراحل متقدّمة مهاجمة رسائل النور وبديع الزمان، وكبرنا على تلقين مستمر مفاده أنهم يشكلون ضرراً حالياً وضرراً في المستقبل

على الوطن وعلى الأمة. ولكن عندما قمنا بالبحث والتدقيق عن قرب تبين لنا زيف ما يدّعون، وظهرت الحقيقة ناصعة بخلاف ما نشروه، وخوّفوا منه، بل انبجس منها ما يخالف ذلك تمام، فبان أنّها ملاذ الأمن والآمنين ومصدر والاستقرار وباعثة على الشفقة والتعاون والتضامن.

٢ – أثر إعمال التربية برسائل النور على الوطن والأمة

أراد الأستاذ أنّ تتم المحافظة على الوطن وعلى الأمة والدفاع عن حقوقنا وأنّ يحافظ الإنسان، ولاسيما الشباب منهم على إيمانهم في سبيل سعادتهم الدنيوية والأخروية... وأشار إلى أنّ المسلم إن خرج عن إسلامه أصبح شخصاً ضاراً لنفسه ولأسرته ولمجتمعه وسيكون فوضوياً.

ألم تكن هذه هي النتيجة؟ لقد أظهر النظام التربوي الخاطئ كم كان بديع الزمان محقاً.

أ- أنموذج من أثر التربية على رسائل النور:

أنقل لكم في هذا السياق أنموذجا حيا عمّا أحدثته رسائل النور من انقلاب في القلوب والنفوس، وبهذا أود أنْ أقرأ معكم رسالة واردة من المنطقة الشرقية الجنوبية للبلد من أحد طلاب النور دون ذكر اسم المدينة التي وردت منها الرسالة، قال فيها:

''إخوتي الكبار الأعزاء المحترمين الماضين في الخدمة القرآنية بثبات وحكمة:

أولاً: أهنئكم بمناسبة حلول الشهور الثلاثة. وأدعو الرحمن الرحيم أنْ يجّعل هذه الشهور الثلاثة المباركة وسيلة رحمة للعالم الإسلامي ولنا.

ثانياً: بينما تعصف الأعاصير المادية والمعنوية في شرقي البلاد في هذه الأيام التي لبست فيها ثوباً أبيض كالكفن، فإن نتائج حلوة حلاوة السكر تظهر تحت الأستار الباردة للثلوج.

ثالثاً: هناك حوادث فظيعة تحدث في المدرسة الثانوية هنا نتيجة تدخل أصابع قوى الشر فالمظاهرات والمقاطعات، وكل مظاهر الفوضى تعصف بالبلد هنا ويُهدد إخواننا وتظهر كل أسباب السقوط والانهيار، ومع أنّ جميع الترتيبات والوسائل المادية جُربت فإنّ الهدوء لم يسد في المدرسة. فالجمعيات السرية لا تفتأ تمد أصابعها ومؤامراتها فتثير الشغب والفوضى والدمار. أما جماعتنا وإخواننا في صفوف هذه المدرسة، فقد توجهوا إلى الله تعالى الذي هو مسبب الأسباب كلها.. التجأوا إليه وبدأوا بنشاط كثيف. إذْ دعي أحد قادة مسببي الفوضى إلى الغداء، ثم تم إعطاء درس استغرق ساعتين حول التوحيد والحشر والنبوة. وفي نهاية الدرس قام الشاب من مكانه بسرعة

قائلاً: ''أمهلوني ساعة واحدة، سأرجع ثانية'' وبعد فترة جاء مع بعض رفاقه قائلاً: ''أستاذي.. أرجو منكم أنْ تعيدوا على أسماع هؤلاء ما ذكرتموه لي''.

وقمنا نحن بالتحدث معهم لفترة من الزمن فقاموا وصلوا معنا صلاة العشاء. وبعد الصلاة اعترفوا لنا قائلين: ''لم نكن نعرفكم على هذا الوجه. لقد عوملنا حتى الآن معاملة سيئة فيها إهانة. فقد أبدى الجميع لنا ردود فعل خشنة حتى عوائلنا. ولكنكم أبديتم لنا حنان الأم على وليدها واستمعتم إلى همومنا ووجدتم لها شفاءً وعلاجاً. سنأتي إليكم من الآن فصاعداً نحن وأصدقاؤنا''.

وفعلاً بدأوا يجلبون كل يوم عدداً من أصدقائهم. وكان هؤلاء هم الرؤساء والقياديون في كل صف. وقال أكثرهم: ''لو لم نأت إلى هنا لصعدنا إلى الجبل''.

وكم كانت دهشة المحيطين بهم، إذ كيف تغيّر هؤلاء كل هذا التغير في ظرف أسبوع واحد؟! وعندما دخل أحد المدرسين الصف وجده صفاً هادئاً والكل جالسين في أماكنهم وبيدهم كتب ذات أغلفة حمراء وهم يقرأونها.

سأل الطلاب ''ما هذا الكتاب؟'' أجابوه ''إنّه رسائل النور لبديع الزمان'' وعندما رجع إلى غرفة المدرسين سمع الشيء نفسه من المدرسين الآخرين، فالكل كانوا مذهولين من درجة التغير الإيجابي الذي حدث لهؤلاء الطلبة في مثل هذه المدة القصيرة، ومن درجة صلاحهم الحالي.

يواصل في رسالته المطوّلة، قائلا: إنّ رسائل النور يجري تأثيرها الإيجابي على الجميع في هذه الأماكن حالياً ولله الحمد. وفي إحدى الأقضية القريبة قدم إخواننا خدمة ايجابية مشابهة، وقد سر مدير المدرسة والمدرسون من ذلك سروراً بالغاً فالمدرسة تموج بالشباب. وشرقي البلاد في حاجة ماسة إلى المعاني الإيجابية لرسائل النور وأهلها، فقد أصبحت الخدمة النورية في المنطقة الشرقية نقطة استناد للأمة الواقعة في ظلام اليأس.

''والخلاصة أنّنا ندعو الله تعالى بأنْ ينقذ شرقي البلاد برسائل النور في القريب العاجل. وأنْ يخلص أمة محمد ﷺ من موارد التهلكة هذه ومصائبها... آمين. وأن يهيئ من ينذر نفسه لخدمة شرقي البلاد ممن ينذرون أنفسهم دون أي تردد للخدمة النورية ولا يخشون الموت مثلهم في ذلك مثل أستاذهم بديع الزمان. آمين يا رب.

''وندعو الله أن يحقق ما تريد رسائل النور تحقيقه للعالم الاسلامي بأجمعه وما يرضى عنه رسول الله ﷺ. آمين يارب. وأنْ يوفّق المجاهدين من طلبة رسائل النور الساعين لتحقيق هذا المعنى وفي إيفاء هذه الخدمات بإخلاص وثبات حتى نهاية أعمارهم. آمين يارب. أخوكم صالح المحتاج إلى دعائكم.

ب- سر تأثير التربية على رسائل النور:

أين يكمن السر الذي يقلب أناساً فقدوا توازنهم المادي والمعنوي إلى درجة إبداء نية الصعود إلى الجبل في مدة أسبوع وهي مدة قصيرة جداً إلى أناس محبين للحق وللحقيقة إلى درجة العشق؟

تجيب عن هذا كلماتُ بديع الزمان، منها قوله: ''إن دروسنا الإيمانية ضد الفوضى والاضطرابات والتخريب، وضد الماسونية والشيوعية. اسألوا دوائر الأمن للدولة كلها هل هناك حادثة واحدة تخالف الأمن والنظام صدرت من طالب واحد من طلاب مدرسة العرفان والنور، البالغ عددهم خمسمائة ألفاً؟ كلا! ومن البديهي الجواب بالنفي، لأن في قلوبهم جميعاً اقوى حراس الأمن والسكون، وهو حارس الإيمان''.[15]

''المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يكون مؤيداً للفوضى والتخريب. والدين يمنع الفتنة والفوضى بشدة، لأن الفوضى لا تعترف بحق من الحقوق، وتقلب سجية الإنسانية وآثار الحضارة إلى سجية الحيوان المتوحش.''

إذن فهاهنا يوجد مفتاح السعادة والاطمئنان للأسرة وللمجتمع. إذن فعلى جميع من يرغب في استتباب الأمن في الداخل وعلى جميع المربين وعلى جميع محبي بلدهم وأمتهم من المسؤولين وأصحاب الصلاحيات أن يتأملوا المعنى الذي عبرت عنه هذه الرسالة دون أي حكم مسبق.

ويرى بديع الزمان أن بعث هذه الأمة من جديد لن يكون إلا بالالتزام بالدين: ''والتجارب القاطعة أظهرت لنا: أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها. إحياء الدين إحياء لهذه الأمة.''[16]

٣. أثر إعمال برسائل النور في التربية المتوازنة:

أ- أثر الرسائل على التربية الدينية المتوازنة:

منبع الاستقرار والسعادة في حياة المجتمع هو الدين، وعبر بديع الزمان عن هذا بقوله: ''الصدق هو أس أساس الإسلام، وواسطة العِقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا اذاً أن نحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية.''[17]

ويرى الأستاذ أنّ اليأس أي انقطاع الأمل هو أحد الأمراض المعنوية الخطيرة التي تصيب المجتمعات. ويجب أنْ لا تُبعد هذه المسائل عن الأنظار في التربية، إذْ ''إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان... وهو المانع عن بلوغ الكمالات''.[18]

ب- أثر الرسائل على التربية العلمية المتوازنة:

يحثّ الأستاذ وباستمرار على تقديم العلوم المدنية والعلوم الدينية معاً، إذ يرى بديع الزمان أنه لكي ينهض هذا البلد في إطار من الاستقرار فإنّ من الواجب الاهتمام بالعلمين وتقديمهما للشباب بأسلوب عصري. وعبّر عن هذا بقوله:

''ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلّى الحقيقة، فتتربّى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية.''[19]

أهملت جامعاتنا للعلوم والتقنية وعلوم الفلسفة حتى الآن الجوانب المعنوية للشباب. فانقلب معظم الشباب إما إلى فوضويين أو إلى أشخاص مثقفين يضعون منافعهم الذاتية فوق كل اعتبار ويخططون لكيفية الوصول إلى الثراء من أقصر طريق.

رابعا: مقترحات نورية للتربية:

١- تدريس رسائل النور في كلّ مراحل التعليم:

نقترح في هذا السياق القيام وبسرعة -دون إضاعة وقت آخر- بجعل تدريس رسائل النور في المدارس المتوسطة والدراسات العليا وفي جميع المؤسسات التعليمية إجبارياً وأنْ تقرأ في الراديو والتلفزيون، وتطبيق هذا سيكون وسيلة لتوحد هذه الأمة مع العالم الإسلامي إن شاء الله. وسيكون هذا الاختيار مصدر فخر لبلادنا، يشهد لهذه المعاني تأكيد بديع الزمان بأن أمتنا ستفتخر أمام العالم الإسلامي برسائل النور، قال رحمه الله: ''إنني أبلّغكم قطعاً بقناعتي الجازمة الناشئة من أمارات كثيرة: إن هذه البلاد وهذه الأمة والحكومة ستكون في أقرب وقت بحاجة إلى مؤلفات من أمثال رسائل النور حاجة ماسة تجاه العالم الإسلامي وتجاه الدنيا بأسرها. وستبين وجودها وكرامتها ومفاخرها التاريخية بإبراز هذه المؤلفات.''[20]

ويشرح السبب في ذلك بقوله: ''...إن دفع الضلالة والفساد سهل ويسير إن كانت آتية من الجهل، بينما إزالتها عسير جداً إن كانت آتية من العلم. ففي هذا الزمان تأتي الضلالة من العلم، لذا لا يمكن إزالتها وإنقاذ من تردّى فيها من الجيل المقبل إلاّ بان يكون لديهم مؤلفاً كاملاً كرسائل النور.''[21]

٢- نفث روح هذه الرسائل في المنظومة التعليمية:

أ- معالم روح المدرسة:

رأس ما يمثّل في المؤسسات المعبّرة عن روح رسائل النور، مشروع مدرسة

الزهراء، إذ يرى بديع الزمان أنّ الأساس في الأمراض المهمة التي يشكو منها العالم الإسلامي كالتخلّف والفقر والاختلاف هو الجهل، وأنّ الحكم في المستقبل سيكون للعلم وليس للسيف، قال رحمه الله: ''إن إضاعة ضابط ذي حمية وثقافة ودراية يعني إضاعة قوتكم المعنوية، لأن الغالب في الوقت الحاضر هو الشجاعة الإيمانية والعقلية والعلمية. وأحياناً يعدل مثقف واحد منهم مائة من غيرهم. فالأجانب يسعون أن يغلبوكم بهذه الشجاعة، إذ الشجاعة الفطرية وحدها غير كافية.''[22]

ولهذا ينصح الأستاذ بما يأتي: ''مثلما ترقيتم في مضمار الشجاعة المادية بتعلمكم العلوم والمعرفة من كتابات سيوفكم وفتحتم مجرىً من الدماغ إلى القلب مزجاً العقل بالقوة، فافتحوا الآن منفذاً من القلب إلى الفكر. وابعثوا القوة مدداً للعقل وارسلوا العواطف ظهيراً للفكر. لئلا تنهب شرف الأمة الإسلامية في ميدان المدنية. اجعلوا سيوفكم من جواهر العلم والصنعة والتساند الذي يأمركم به القرآن الكريم.''[23]

ويشير بصورة خاصة إلى أنّ إزالة الفقر المادي والمعنوي في الولايات الشرقية تتم برفع مستوى التربية والعلم والعرفان، لذا اقترح إنشاء جامعة شرقية وضع لها اسم ''المدرسة'' وأوضح المسائل الأساسية لهذه الجامعة مثل هدفها وتشكيلاتها ومفرداتها وماهيتها ومصادر تمويلها. بالنسبة لهدفها وماهيتها، قال: ''كما أنّ جامع الأزهر يعد مدرسة عمومية في افريقيا، ولكن آسيا أكبر من افريقيا وبقدر الزيادة بينها فإنّ قارة آسيا تحتاج إلى دار فنون وإلى جامعة إسلامية أكبر، وذلك لكي لا تستطيع الفكرة العنصرية إفساد الأمم الموجودة في البلدان العربية والهندية والقفقاسية في بلاد تركستان وكردستان، ولكي تساعد على توسع الفكرة الملية الحقيقية والايجابية والمقدسة التي هي الملية الإسلامية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات:١٠) والتي هي ناموس إلهي''.[24]

ب- أنموذج المدرسة:

يرى الأستاذ أن مدرسة الزهراء هي الأنموذج المطلوب، والتي يتطلّب توفّرها على جملة من الشروط، منها:

١- أن تحمل اسم ''المدرسة''.

٢- يجب أن تدرس العلوم التي كانت تدرس في المدارس الدينية القديمة مع العلوم الحديثة، أما لغة التدريس فهي اللغة العربية والتركية والكردية على أن تكون اللغة العربية واجبة واللغة التركية لازمة واللغة الكردية جائزة.

٣- ينتخب المدرسون ممن يملكون جناحين ''أي الذين يتقنون العلوم الدينية

والعلوم الدنيوية'' والذين يحوزون على رضا الأكراد والأتراك ''أي الذين ليست لهم ميول عنصرية'' من علماء الأكراد أو من غيرهم ممن يعرفون اللغة المحلية ''وهي اللغة الكردية'' لكي يتم الاستئناس بهم.

٤- تتم الاستشارة مع شخصيات كردية من ذوي القابليات والشجاعة .

٥- يجب وضع شعب متخصصة بجانب الدروس المشتركة.

٦- يجب إيجاد مجالات لاستخدام المتخرجين. ويجب أن يملك المتخرجون من هذه المدرسة حقوقاً مساوية لحقوق المتخرجين من الجامعات الأخرى للدولة.

٧- يجب حصر المدارس التي تُخرج المعلمين في هذه المدارس لمدة مؤقتة، وذلك لكي ينتقل النظام والفيض العلمي من هذه المعلمين إلى هذه المدارس، وتنتقل الفضيلة والدين من هذه المدارس إلى المعلمين.

٨- تعديل نظام التدريس المنفرد في كردستان وجعله عموماً.[25]

كان بديع الزمان يعتقد بأنّه بوساطة مدرسة الزهراء ستزول الفروق الفكرية والنفسية بين المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية والتكايا وستتأسس الأخوة والوحدة في العالم الإسلامي ولاسيما في الشرق الأدنى.

ولكي يحقق بديع الزمان تأسيس هذه المدرسة فعلياً فقد راجع السلطان رشاد ثم مصطفى كمال وأخيراً جلال بايار وعدنان مندرس وقال في مراجعته الأخيرة:

''بذلت جهدي كله لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وايران والقفقاس وتركستان، وسميتها مدرسة الزهراء. فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه. فمثلما بذلت جهدي في سبيل إنشاء هذه الجامعة بذلته في سبيل نشر رسائل النور''.[26]

وبعد افتتاح مجلس النواب كرر طلبه بتأسيس هذه المدرسة لكي ترى النور، ومن ضمن النواب الذين كان عددهم يبلغ مئتي نائب من ضمنهم مصطفى كمال صوّت بالقبول ١٦٣ نائباً وجمعوا ١٥٠ الف ليرة. وعندما قال نائبين من هؤلاء النواب:

''إننا اليوم في حاجة إلى العلوم المدنية وإلى اقتفاء أثر الغرب أكثر من حاجتنا إلى العلوم الدينية وإلى العلوم التقليدية''. أجابهم: ''لنفرض فرضاً محالاً أنتم لستم بحاجة إلى ذلك، ولكن ظهور أكثر الأنبياء في آسيا والشرق وظهور أكثر الحكماء والفلاسفة في الغرب يدل على أن الذي يدفع آسيا إلى الرقي الحقيقي هو الشعور الديني أكثر من العلوم والفلسفة. فإن لم تأخذوا بهذا القانون الفطري وأهملتم الأعراف الإسلامية بحجة التغرب وأسستم الدولة على الإلحاد، فانتم مضطرون أيضاً إلى الانحياز إلى

الإسلام -لصالح الوطن والأمة- إقراراً للسلام في الولايات الشرقية الواقعة بين أربع دول كبرى".[27]

الخاتمة:

تسحر رسائل النور القلوب والنفوس وتخاطب كل المراحل العمرية بما يناسبها وتجعل الأفراد أعضاء صالحين في المجتمع وتقربهم من الله وتجعلهم لائقين للجنة، مصنَّف بهذه المواصفات نستطيع أن نؤكّد أنّها تقوم بإصلاح المدارس الدينية السابقة حسب المفهوم المعاصر وذلك بتأسيس السلام بينها وبين العلوم المدنية (الوضعية)، ومن مزجهما معاً تقدم أنموذجا رائدا للبشرية الحائرة بين مختلف نظم التربية والتي تبحث عن مخرج جديد من أزمتها التربوية.. إنّه أنموذج يعكس مسلك دار الأرقم في العهد النبوي وطراز أصحاب الصفة. إنّ أنموذج تربية رسائل النور يهتم -ولا سيما بالنسبة للشباب- بشكل مكثّف بتنشئتهم حسب التربية القرآنية، وهو في هذا يحتكم إلى النوعية التربوية أكثر من اهتمامه بالكمية.

لقد وضع بديع الزمان نصب عينيه في نظامه للتربية تقريب العبد من الله وهدايته إلى طرق السعادة الدنيوية والأخروية وتأسيس الوحدة والأخوة والتساند والمحبة بين المسلمين.

* * *

الهوامش:

[1] أ.د. آدم طاطلي "جامعة سلجوق": ولد عام ١٩٤٧ في "انطاليا-كوركوت ألي". انهى دراسته في المدرسة العالية للمعلمين عام ١٩٦٦ في انقرة. ثم انهى دراسته في كلية علم الاحياء في انقرة. درّس سنتين في مدرسة تخريج المعلمين للمدارس الابتدائية ١٩٧٠-١٩٧١. ثم دخل عام ١٩٧١ في المدرسة العليا لـ "العلوم الاساسية" في جامعة اتاتورك كمساعد استاذ، وهناك قدم رسالته في الدكتوراه. رقي هناك الى مرتبة استاذ مشارك عام ١٩٨٢ حيث انتقل الى كلية التعليم في جامعة اتاتورك. ومنذ عام ١٩٨٨ يدرس في كلية العلوم والفنون في جامعة سلجوق في مدينة "قونية" بصفة استاذ "بروفسور". نشر مقالاته في مجلة "ظفر" ١٩٨٧-١٩٨٨ وفي مجلة "سور" ١٩٨٤-١٩٨٨ وفي جريدة "يني آسيا" ١٩٧٤ - ١٩٨٠ وفي جريدة "الترجمان" عام ١٩٨٦. مؤلفاته: "المتحجرات والتطور" مترجم ١٩٨٤. "ملخص التقرير حول نظرية التطور" ١٩٨٥. "الخلق والتطور وتربية الجمهور" مترجم ١٩٨٥. "انموذج الخلق" مترجم ١٩٨٥. "مانتشوق لمعرفته" ١٩٨٨. كما له مؤلفات في ساحة تخصصه.

[2] النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات٢٤، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.

[3] الكلمات ص: ٣٥٩.

[4] الكلمات ص: ٣٦٦.

[5] الكلمات ص: ٣٦٦.

[6] النورسي، بديع الزمان سعيد، المثنوي العربي النوري ص:٢٢٢، تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤.

[7] الكلمات ص: ٣٧١.

[8] المثنوي العربي النوري ص:٢٣٤.
[9] النورسي، بديع الزمان سعيد، سيرة ذاتية ص:٤٥٧، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
[10] النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق ص:٢٦٢، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
[11] الملاحق ص:٢١٨.
[12] النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام ص:٥١٣، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
[13] سيرة ذاتية ص: ٣٨٥.
[14] المصدر السابق: ص: ٣٧٧.
[15] المصدر السابق: ص: ٤٤٧، ٤٤٨.
[16] الكلمات ص: ٨٦١.
[17] صيقل الإسلام ص:٥٠٦.
[18] صيقل الإسلام ص:٥٠٥.
[19] صيقل الإسلام ص:٤٢٨.
[20] الملاحق، أميرداغ ص:٢٧٠.
[21] الملاحق، أميرداغ ص:٢٣٥.
[22] صيقل الإسلام ص: ٤٥٠
[23] صيقل الإسلام ص: ٤٦٤.
[24] صيقل الإسلام ص:٤٢٢.
[25] انظر سيرة ذاتية ص: ٤٩٨.
[26] الملاحق، ص:٤١٦.
[27] انظرالملاحق ص:٤١٧.

منهج وطريقة رسائل النور وغايتها

–ABSTRACT–

Approach, Method and Purpose of the Risale-i Nur

Prof. Dr. Sener Dilek

Translated from Turkish into Arabic by: Orhan Mohammed Ali

The one who contemplates on the Risale-i Nur recognizes that, it as a fruit blossomed from the garden of Qur'an and illuminated by the efforts of Said Nursi. The Risale-i Nur has offered uncounted services to reach out with the message of the Qur'an and to spread it. Thus, the Risale-i Nur is a real fruit of the Qur'an. As such, its author was a doctor of souls and a source of wisdom. He was the Luqman of his time. Nursi diagnosed the dilemmas of his era and solved its most problematic issues by the curing medicine of the Qur'an as manifested in the Risale-i Nur. It is the pharmacy in which there are remedies for diseases of the times inspired from the light of the Quran. The Risale-i Nur is an excellent contemplation on the Qur'an which has directed its readers' attention to the Qur'an and referred them to its miraculous jewels that exist within its holy verses. The efforts of Nursi have indicated the jewels and precious stones in the holy book of the Qur'an by and his Risale-i Nur treats the hearts and addresses the minds of Nur students and many others. Thus, the Risale-i Nur has been able to cure the wounded hearts of many and guide the misguided to the right path. The method of the Nur Community for change called for by the Risale-i Nur in the Islamic World is distinguished by its serene, calm and effective nature. It is a community for the construction of human that stays away from irrational enthusiasm and away from confusion or controversy. The Risale-i Nur aims at establishing a pure community built on faith. Thus, it constantly and tirelessly urges its readers to stay away from political rivals and to avoid feeding their ego because anyone who wants to test the deep meanings of the Love of God and to delve into faith in Him and love for Him has his guide and instructor in the Risale-i Nur itself. The Risale-i Nur alone can guarantee his guidance because it relies on the Qur'an and revolves around its light. It is full of Qur'anic wisdom. The Risale-i

Nur is a spring of awaited hope for Islam.
Key Words: Risale-i Nur, Said Nursi, Faith Consciousness, Qur'anic Wisdom, Nur Community

– ملخص البحث –

أ.د. شَنَر دِلَك[1]
ترجمة: أورخان محمد علي (رحمه الله)

إن المتأمل في رسائل النور يجد أنها ثمرة أينعت من دوحة القرآن الكريم مستحلبة بجهود العلامة سعيد النورسي رحمه الله، فقد قدمت الرسائل لتبليغ وانتشار القرآن الكريم خدمات جليلة يعجز اللسان عن حصرها، فكانت بحق ثمرة من ثمرات القرآن، كما كان مصنّفها طبيب ولقمان عصره حكيما شخّص مشاكل العصر المحيّرة وحل عويصها ببلسم القرآن كما تجلى في رسائل النور التي هي صيدلية أدوية لأمراض العصر تستلهم وصفاتها من نور القرآن الكريم.

إن رسائل النور تدبّر قرآني بامتياز لفتت أنظار قرائها إلى القرآن الكريم ودلت على جواهره الثاوية في آياته الكريمة وجلبت إليها الأنظار، فكانت جهود الأستاذ دلالة على جواهر وألماس الكتاب الكريم عالجت بها وجدان طلاب النور وغيرهم وداوت قلوب الجرحى وردت آلاف التائهين إلى الصراط المستقيم.

إن منهج حركة التغيير التي جاءت بها الرسائل متميزة في العالم الإسلامي بهدوئها مع سكينة وفاعلية، فهي حركة بناءة مقتصدة في الحماس ميّالة عن الضجيج، تؤسس لحركة إيمانية صرف تنبّه إلى الابتعاد -باستمرار ودون كلل- عن الأهواء والصراعات السياسية، فمن يريد أن يسبر أغوار معرفة الله عز وجل ويغوص في الإيمان وحب الله فإن رسائل النور هي وحدها التي تضمن له ذلك، لأنها ترتكز على القرآن وتجعله محورها، فهي مليئة بالحكمة القرآنية، ومن ثمّ فإنّ الرسائل مبعث أمل منتظر في الإسلام.

لقد عملت رسائل النور على تأسيس شخصيّتها المعنويّة بالحكمة، واستمرّت في تقديم رسالتها بالكلام الرقيق الناعم واللسان العذب، وبصبر وتحمّل للآلام، استمرت في دعوتها بالحركة الإيجابيّة دون خوف أو وجل ودون أن تنكفئ على وجهها. وقد اتّخذت أساساً إنسانيّاً في أسلوبها وطراز حركتها، وتطلّعت إلى المستقبل بأمل، وكوّنت جيشاً من الفدائيّين الخُلّص.

القسم الأوّل: سلوك ونزعة رسائل النور

عندما يتمّ تدقيق حركة فكريّة أو نظام فكري أو عقائدي، توضع أوّلاً بعض المعايير الأساسيّة التي تكون قاعدة لهذا التدقيق والبحث، حيث يتم ضمن إطارها إمرار هذا النظام الفكري خلال مصافٍ دقيقة وعرضه على المحك. ذلك لأنّ طريقة الفحص والتدقيق توجب هذا، والوصول إلى الحقيقة يتطلّب هذا، وهكذا يمكن توضيح ماهية وقيمة ذلك النشاط وتلك الفعالية وذلك النظام الفكري ودرجة أهميّته. يقول النورسي سعيد النورسي مؤلّف كليات رسائل النور في كتابه ''المناظرات'':

''أروني مفسداً يقول: أنا مفسد، وما هو إلاّ مفسد إلا أنّه يتراءى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقّاً. نعم؛ ما من أحد يقول: مخيضي حامض.. فلا تأخذوا شيئاً إلاّ بعد إمراره على المحك، لأنّ أقوالاً مغشوشة مزيّفة قد كثرت في تجارة الأفكار... حتّى كلامي أنا لا تأخذوه على علاّته -بحسن ظنّكم- لأنّه صادر عني فقد أكون مفسداً، أو أفسد من حيث لا أشعر، فعلى هذا تيقّظوا! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكلّ طارِق. فليظلّ ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنّه ذهب فأرسلوه إلى القلب، واحتفظوه هناك، وإن ظهر أنّه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيّعوه بسوء الدعاء عليّ وردّوه خائباً إليّ''.[2]

وعلى ضوء هذه الحقائق وضعنا بعض الأسئلة التي هي بمثابة ''المحكّ''، فحسب رأينا فإنّ الحركات الفكريّة والنظم الإيديولوجية يجب أن تختبر وتمتحن بشكل جدّي بالأسئلة التي سنذكرها أدناه، وهكذا يتبيّن الخطّ الأساسي للنظام الفكري وجذوره وعمقه ومزاجه وهدفه وماهيته ضمن مقاييس محددة.

نستطيع ترتيب الأسئلة التي تختبر النظم الفكريّة كما يلي:

١- هل هذا النظام الإيديولوجي والحركة الفكريّة المراد امتحانها وفحصها تتوافق وتنسجم مع القوانين الفطرية؟

٢- ماهو منبعها ومصدرها وجذورها؟ أهي نابعة من الأرض أم هابطة من السماء؟ من يغذيها ويمدها بالقوة ومن أين؟

٣- ماهي تأثيراتها على العالم الداخلي للإنسان؟ أهي تأثيرات سطحية وشكليّة أم تأثيرات حيويّة عميقة وديناميكيّة؟

٤- ماهي قيمها الأساسيّة التي تمكّنها من تأسيس وتقوية البنية الاجتماعية؟ وهل لها ''أهداف'' و''أسس'' من زاوية البنية الاجتماعية والعلاقات الإنسانيّة؟ وهل تتّخذ

الاستقامة والعمل الإيجابي وتأمين الاستقرار والسكون أساساً لها، أم غايتها الحقد والذم والانتقام؟

٥- أهي نظم مربيّة ومعلمّة وموسعة لأفق التفكير؟ أم تقوم فقط بعرض الشعارات وبإثارة الأحاسيس والعواطف والأهواء أو تخديرها وإعطائها الأماني؟

٦- أهي باتّجاه واحد ومقتصرة على حياة واحدة وبُعد واحد، هو البعد الدنيوي فقط؟ أم تقوم بمزج المادّة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معاً؟

٧- أهي تحت تأثير تيّارات ضارّة وهدامة داخلية كانت أم خارجية؟ أيمكن أن تدخل إلى مدارات تلك التيارات وتكون آلة بأيديها وتابعة لها؟

في القسم الأوّل من محاضرتنا سنقوم ببعض التقويمات المتعلّقة بهذه الأسئلة، ونوضّح كذلك بإيجاز سلوك رسائل النور ونزعتها ضمن إطار الأسئلة المدرجة أعلاه.

أمّا في القسم الثاني والثالث من المحاضرة، فسنتناول ''منهج وطريقة رسائل النور وغايتها'' بخطوط عامّة وبشكل منهجي، وبصورة تصلح لأن تكون أجوبة على هذه الأسئلة.

السؤال الأوّل:

أتنسجم رسائل النور وتتلاءم مع قوانين الفطرة؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لنبيّن شيئاً موجزاً حول قوانين الفطرة.

قوانين الفطرة: هي مجمل ومجموع القوانين التي وضعها الله في الكون، الجارية في العالم، والتي أدرجها الله تعالى في ماهية الإنسان ممّا نطلق عليها اسم ''سنّة الله'' أو ''صبغة الله''. قسم من هذه القوانين جارٍ في الكون، والتي تكتشفها العلوم التجريبيّة كقانون الجاذبيّة الأرضيّة، وقانون أرخميدس في قوّة رفع الماء للأجسام... الخ، والقسم الآخر هو القوانين المذكورة في طبيعة الإنسان.

وندرج أدناه بعض هذه القوانين الفطريّة حسب أهميّتها:

- ''البشرية لا تستطيع العيش دون دين''
- ''حبّ التملك فطري في الإنسان''
- ''الإنسان في حاجة للعطف وللشفقة لأنّه خُلق ضعيفاً''
- ''الإنسان عبد للإحسان''
- ''لا يستسيغ الإنسان الدكتاتوريّة والإرهاب''

• ''الإنسان ليس مخلوقاً مادياً وسفليّاً. فإن كانت معدته محتاجة إلى الرزق فإنّ قلبه وروحه محتاجان إلى الأرزاق المعنويّة''

• ''الإنسان مخلوق لحياة أبديّة، وفطرة الإنسان تبحث عن الحياة الأبدية ونور البقاء''

• ''الإنسان يتذكر من يحبّه، ويذكر من يحبّه''

• ''الالتجاء والاستغفار والاستمداد والدعاء والطلب من لوازم فطرته التي لا يستطيع الاستغناء عنها''

• ''تتطلّب الفطرة منزلة معتبرة للإنسان''

إنّ هذه القوانين الموضوعة للكون والمنقوشة في الفطرة لا يمكن نزعها من الكون ورميها، ولا يمكن إخراجها من الفطرة وإهمالها، والإنسان يصل إلى كماله عندما يدرك جيداً العلاقة بين هذه القوانين وعندما يؤسس التوازن بينها. ولكنّ اكتشاف أسس هذه القوانين وإدراك التوازن الدقيق فيما بينها وتفسيره والنفوذ إلى كلّ طبقات الحياة وعكس الحكمة والعدالة الموجودة بين جميع هذه العلاقات شيء فوق الطاقة الإنسانيّة، لهذا السبب فإنّ البشر في حاجة إلى مدرّس وإلى معلّم ومفسّر يشرح له هذه الأسس ويوضّح له هذه الحقائق.

وهذا المعلّم والمفسّر هو القرآن الكريم والفرقان الحكيم، حيث تعرض رسالة النور هذه الحقيقة بالشكل التالي:

''هو الترجمة الأزليّة لهذه الكائنات والترجمان الأبديّ لألسنتها التاليات للآيات التكوينيّة، ومفسّر كتاب العالم.. وكذا هو كشافٌ لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المُضْمَرة في سطور الحادثات''.[3]

فحسب النورسي فإنّ هذا الكون الرائع العظيم والكامل هو الكتاب الكبير، أمّا القرآن الحكيم فهو قراءة كتاب الكون هذا وتلاوة نظامه، فهو يقرأ شؤون المصور الأزلي ويكتب أفعاله. وهذا الإعلان الحاسم من النورسي يوصلنا إلى النتيجة التالية، وهي أنّنا لكي نفهم قوانين الفطرة فعلينا بمطالعة القرآن الكريم.

عندما نقرأ كليات رسائل النور نتقابل مع الحقيقة التالية وجها لوجه: أنّ الوظيفة التي أخذتها على عاتقها هي إيضاح قوانين الفطرة هذه السارية في الكون وفي الإنسان. ولمّا كانت رسائل النور تفسيراً حقيقيّاً ومعنويّاً للقرآن الكريم، فإنّ غايتها هي قراءة كتاب الكون وبيان هدف الفطرة ونتيجة الخلق ومصيرها، ذلك لأنّ الله سبحانه

وتعالى خلق الكائنات من أجل الإنسان، وخلق الإنسان لمعرفته ومحبّته. لنستمع إلى هذه الحقائق من النورسي:

''اعلم يقيناً أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية. هو 'الإيمان بالله'.. واعلم أنّ أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية.. هو 'معرفة الله' التي في ذلك الإيمان. واعلم أنّ أزهى سعادة للإنس والجنّ، وأحلى نعمة.. هو 'محبة الله' النابعة من تلك المعرفة.. واعلم أن أصفى سرور لروح الإنسان، وانقى بهجة لقلبه.. هو 'اللذة الروحية' المترشحة من تلك المحبة.

أجل! إن جميع أنواع السعادة الحقة، والسرور الخالص، والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذّة، إنما هي في ''معرفة الله''.. في ''محبة الله''. فلا سعادة، ولا مسرّة، ولا نعمة حقاً بدونها.

فكلّ من عرف الله تعالى حق المعرفة، وملأ قلبه من نور محبته، سيكون أهلاً لسعادة لا تنتهي، ولنعمة لا تنضب، ولأنوار وأسرار لا تنفد، وسينالها إمّا فعلاً وواقعاً أو استعداداً وقابلية. بينما الذي لا يعرف خالقه حقّ المعرفة، ولا يكنّ له ما يليق من حب وودّ، يصاب بشقاء مادي ومعنوي دائمين، ويظلّ يعاني من الآلام والأوهام ما لا يحصر''.[4]

وهكذا فإنّ الغاية الأولى لرسائل النور هي إيضاح وبيان أسمى نتيجة للفطرة، وهي معرفة الله ونقش محبته في القلوب وفي الأرواح. وهذا هو محور رسائل النور التي يزيد عدد صفحاتها على ستة آلاف صفحة. فهي تدور على الدوام حول هذا المعنى تشرحه وتبحث فيه، وبهذا المعنى تشعل القلوب وتنوّرها. ويوجز مولانا جامي ''الذي اشتعلت فطرته بالوجد وبالعشق الالهي السامي'' هذا بهذه الأبيات:

''اقصد الواحد، فسواه ليس جديراً بالقصد.

ادع الواحد، فما عداه لا يستجيب دعاء

اطلب الواحد، فغيره ليس أهلاً للطلب

شاهد الواحد، فالآخرون لا يشاهَدون دائماً، بل يغيبون وراء ستار الزوال.

اعرف الواحد، فما لا يوصل إلى معرفته لا طائل من ورائه.

اذكر الواحد، فما لا يدلّ عليه من أقوال وأذكار هراء لا يغني المرء شيئاً''.[5]

ويوضح النورسي فيقول: ''إنّ من يشقّ طريقاً في الحياة الاجتماعية ويؤسس

حركة، لا يستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه في أمور الخير والرقي ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله في سبيل التخريب والشر".[6] فتدوسها عجلات الحياة الاجتماعيّة وتقضي عليها. فمن يعادي الفطرة ويخالفها منعت الفطرة عنه موافقتها وتأييدها. والشيوعية أفضل مثال حي على هذا على مسرح التاريخ. ذلك لأنها سقطت وانهارت لأنها خالفت الفطرة. وكل النظم التي تخالف الفطرة ستسقط وستتهاوى عاجلاً أم آجلاً وتكون أثراً بعد عين.

ويبين النورسي العلاقة بين الإسلام وقوانين الفطرة في الجمل التالية:

" تأمّل في حقائق الشريعة مع تلك المصادمات العظيمة والانقلابات العجيبة، وفي هذه الأعصار المديدة تَرَها قد حافظت على موازنة قوانين الفطرة وروابط الاجتماعيات اللاتي بدقتها لا تتراءى للعقول مع كمال المناسبة والمصافاة معها. فكلّما امتد الزمان تظاهر الاتصال بينها. ويتظاهر من هذه الحالة؛ أنّ الإسلاميّة هي الدين الفطريّ لنوع البشر وإنّها حق، لهذا لا ينقطع إن رقّ".[7]

السؤال الثاني:

ما منبع ومصدر رسائل النور؟... أهي أرضي أم سماوي؟... من أين يغذي ومن قبل من؟

إنّ منبع ومصدر رسائل النور هو القرآن العظيم ومرشدها هو الرسول العظيم محمد ﷺ، وسبيلها هو السبيل القويم لأهل السنّة والجماعة، فليست هناك قوة من بين القوى التي تبقى المجتمع حياً وقوياً وتربط الناس بعضهم ببعض وتوحدهم لها قوة تأثير مثل قوة الدين، وليست هناك قوة تستطيع أن تحلّ محل قوة الدين. ولكي تستطيع أيّة قوة النفوذ إلى أعماق قلب الإنسان وروحه، وربط روحه وقلبه بالحقائق، وإثارة الكرامة الإنسانية بمشاعر الشوق والوجد، فلابدّ أن يكون مصدرها ومنبعها قدسيا وإن لم تكتسب هذه القوى قدسية عامّة وكلية فان تأثيرها سيكون باهتاً وضعيفاً. فإن كان المصدر مقدساً فإنّ التأثير سيكون جذريّاً وعميقاً وكليّاً ودائميّاً، ويشرح النورسي هذه الحقيقة كما يلي:

"أرى أنّ قسماً من الفضائل التي تعود إلى حقائق القرآن تُمنح إلى الوسائل التي تقوم بدور الدعاة والدالين على تلك الحقائق.

والحال أنّ هذا خطأ، لأنّ قداسة المصدر وسموّه هو الذي يولد تأثيراً يفوق تأثير براهين كثيرة. وعوام الناس إنّما ينقادون للأحكام بهذه القدسية".[8]

وهكذا فإنّ رسائل النور تستمدّ لمعانها من قدسية القرآن وتترنّم بهذه القدسية. يقول النورسي:

''أرى من الفضول التحري عن برهانٍ وفي اليد معجزة خالدة، القرآن
أتُراني أتضايق من إلزام الجاحدين، وفي اليد برهان الحقيقة، القرآن''.[9]

السؤال الثالث:

ما تأثير رسائل النور على العالم الداخلي للإنسان؟... وهل هذا التأثير سطحي وشكلي أم حيوي وديناميكي وعميق؟

تهتمّ رسائل النور بالبنية الداخليّة للإنسان وتتّجه لتزيينها. وتأثيرها عميق وحيوي وجذري، إذ تقوم بتشكيل الروح، وتوسيع أفق التفكير وتؤمّن امتزاج العقل مع القلب، وتهيّء الإنسان لأكبر وأفضل تغيير. فهي تزرع في عالمه الداخلي مشاعر علوية مثل طلب الرضا الإلهي، والإخلاص والفداء والصفاء والصدق. والعالم الغربي والمدنية الغربية لا تعرف مثل هذه المشاعر ولا تفهم مثل هذه المفاهيم، لأنّها مشاعر إيمانيّة وعمليّة ووجدانيّة وحاليّة وليست قولية أو لسانية. ولأنها ليست ضمن الثروة والمادة ولا ضمن الشهرة والمظاهر الخادعة.

إنّ الحياة والعمل هما ساحة تأثير رسائل النور، فتأثيرها يظهر في التصرّفات ويُقرأ في سيماء الوجوه.

السؤال الرابع:

ما القيم الأساسيّة لرسائل النور التي تمدّ أساس وقاعدة البنية الاجتماعية بالقوّة والمنعة؟ وهل لها أهداف وأسس من زاوية البنية الاجتماعية والعلاقات البشرية؟... أتتّخذ الأمن والاستقرار والفعاليّات الإيجابيّة أساساً لها أم تتّخذ الحقد والانتقام وإراقة الدماء هدفاً لها؟

تعطي رسائل النور أهميّة كبرى لصحّة البنية الاجتماعية ولاتّجاهها، لذا تبذل جهدها لتأمين الهدوء الاجتماعي والراحة العامّة. ولا تعير أيّ اهتمام أو التفات لحركات التدمير والهدم والتمزيق، بل ترفع شعار الحركة الإيجابية وترى فيها وظيفتها ومهمّتها، ولا تسمح مطلقاً بالفعاليات السلبيّة، بل تسعى لتقوية أواصر المحبّة والأخوّة في بنية المجتمع، وتطرح ضرورة الإتحاد والامتزاج. وتردّ بشكل مطلق وتطرد كل المشاعر والأفكار التي أطفأت روح الأخوة التي يأمر بها ديننا الإسلامي، والتي مزّقت المحبة والإخلاص الموجودين بين المسلمين، كالشعور القبلي أو العشائري أو الفكرة القومية أو العنصرية أو الملية السلبية.

إنّ رسائل النور ترى أنّ الحق يجب أن يكون هو نقطة الاستناد والارتكاز في البنية الاجتماعية، وفي المجتمعات التي يراعى فيها لا يبقى هناك أيّ مجال للقوة الغاشمة ولا تحكمها مثل هذه القوة. ففي المجتمع الذي يوزع فيه الحق بصورة عادلة يجد الاتفاق متنفّسه وحياته.

إنّ استحصال الرضاء الإلهي وتحقيق الفضيلة هو هدف وغاية رسائل النور التي تسعى لتحقيقها في البنية الاجتماعية. وفي المجتمعات التي تحلّ المادّة والمنافع المادية محلّ الفضيلة والتي تنتشر فيها المظاهر الخداعة والتصفيق، تكون العلاقات قائمة على أسس النفاق والتزلف، وفي مثل هذا الجو لا يمكن تأسيس المحبة الحقيقية والتساند.

وترى رسائل النور في التعاون دستوراً للحياة الاجتماعية، لذا فهي تهرع لمساعدة الفقير والعاجز والمحتاج والوحيد الذي لا عائلة له، واليتيم والذي لا صاحب له ولا صديق. وهي لا تسمح بالتقاتل والتصادم ولا بالحقد وإراقة الدماء، بل تحاول بشفقة وحلم مداواة الأمراض الاجتماعيّة.

السؤال الخامس:

أتقوم رسائل النور بالتربية والتعليم وتوسيع الأفق وبيان السبيل القويم؟... أم تقوم باختراع الشعارات أو بالتخدير وبتقديم السلوان أو بإثارة الأهواء؟

لقد تأسّس سلوك رسائل النور على محور القراءة، وهدفها تربية مخاطبيها بالحق وبالمعرفة عن طريق القراءة وإكسابهم الشخصية الواثقة. إنّ مطالعتها لذيذة ومنهجها مقنع، إذ تتناول المسائل تناولاً منطقيّاً وتحليليّاً، وتعجنها بالأدلّة وبالبراهين، فإلى جانب استفادة العقل يستفيد القلب والروح واللطائف السرية الموجودة لدى الإنسان، ويأخذ كل منها نصيبها، فمعانيها سامية وأفقها واسع، وهي ترمي لتنشئة عناصر دعوة مثالية لهم همم عالية.

ونقدم المنهج التالي لرسائل النور لمؤسسات التربية وعلماء التربية فهو يستحق منهم البحث والتحليل:

يقول النورسي "إن تصوير الأمور الباطلة تصويراً جيداً جرحٌ للأذهان الصافية وإضلال لها".[10]

ولهذا السبب فإنّ طراز التربية لدى رسائل النور هو تقديم الشيء الإيجابي والشيء الصحيح دون شرح الباطل، أي المداواة دون فتح جرح، ذلك لأنّ الانشغال

بالأمور السيئة ستخلّف آثاراً سيئة في القلب وفي الروح وتعكر الأذهان الصافية. وبدلاً من الأفكار السيئة والسلبية، وبدلاً من إطلاق الشعارات تقوم رسائل النور بتنوير القلوب والنفوس وتبديد الظلام منها، فتعلّم الخير لكي يتميّز عن السوء، وتعلّم الحق لكي تنقذ من الباطل.

السؤال السادس:

هل رسائل النور باتجاه واحد ومقتصرة على حياة واحدة وبُعد واحد هو البعد الدنيوي فقط؟... أم تقوم بمزج المادّة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معاً؟

ولكون نظم التفكير الغربي على مدار التاريخ وكذلك في أيّامنا الحالية تناولت حقيقة الإنسان ببُعد واحد ذي صبغة مادية، فإنها لم تصل أبداً إلى أعماق الإنسان ولم تعرف دقائق روحه ولا سماته الملكوتية، والنتيجة أنّها بقيت بجناح واحد ولم تستطع تأسيس التوازن، بينما نرى أنّ رسائل النور -لكونها تترنم بأسس الإسلام التي هي نبع الحياة والسعادة الحقيقة- تأخذ بنظر الاعتبار المسؤولية الأخروية للإنسان ووظائفه العبوديّة بشكل حسّاس وجدّي إلى جانب وظائف الإنسان الدنيويّة ومسؤولياته الاجتماعية، يقول النورسي:

"فلابدّ أنّ أسعد إنسان هو مَن: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحي بآخرته للدنيا.. ولا يفسد حياته الأبديّة لأجل حياة دنيويّة.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيّف. ليفتح باب القبر بأمان.. ويدخل دار السعادة بسلام".[11]

السؤال السابع:

هل رسائل النور واقعة تحت تأثير تيارات ضارّة وهدامة داخلية كانت أم خارجيّة؟... أيمكن أن تدخل إلى أفلاك تلك التيارات وتكون آلة بيدها وتابعة لها؟

إنّ موقف النورسي سعيد النورسي من التيارات المنحرفة عن الحقّ والحقيقة وعن الدين والعدالة والتي تستند إلى العناد والعصبية المليّة والمنافع القومية الضيقة وإلى أنانية النفس، والتي تعمل لحساب ظلم لم تشهد الدنيا مثيلاً له... موقف النورسي لا يكتفي أن لا يكون مناصراً لها فقط، بل يرى أنّ مجرد الاطلاع عليها وتتبّع أخبارها وسماع دعاياتها الكاذبة والمضلّلة ومشاهدة ظلمها شيء لا يجوز. ذلك لأنّ الرضا بالظلم ظلم، فإن كان مناصراً له يكون ظالماً، فإن مال إليه يكون مظهراً للآية الكريمة ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.[هود:١١٣]

وملاحظات النورسي في هذا الموضوع تستحقّ التأمل اذ يقول:

"نعم، لأنّ هذه الحرب المدمّرة ليست لأجل إحقاق الحقّ وإرساء الحقيقة ولا لأجل إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة، بل تستند إلى العناد والعصبية القوميّة والمصلحة النوعية وإشباع أنانيّة النفس، فترتكب مظالم شنيعة ومآسي أليمة لم يُر مثيلها في العالم. والدليل على ذلك:

إفناء الأبرياء من أطفال وعوائل وشيوخ ومرضى بالقنابل المدمّرة بحجّة وجود جندي أو إثنين من جنود الأعداء فيما بينهم.. واتّفاق أعتى المستبدّين من البرجوازيّين مع الفوضويّين والإرهابيين الذين هم المتطرّفون من الاشتراكيين والشيوعيين وإهدار دماء ألوف بل ملايين من الأبرياء.. والاستمرار في هذه الحرب الضارّة للإنسانيّة جمعاء.. وردّ الصلح والسلام.. لذا فإنّ الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلاشك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أيّ قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الإنسانيّة ولا مع أيّ دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق. ولا يتنازلان ولا يتذلّلان لمعاونة أولئك؛ لأنّ فرعونيّة رهيبة ومصلحية عجيبة تستحوذان فيهم بحيث لا يمدّون يد العون إلى القرآن والإسلام بل يحاولون جعلهما آلتين طيعتين في سبيل مآربهم. فلا شك أنّ أحقية القرآن تأبى الاستناد إلى سيوف ظالمين كهؤلاء. بل الفرض على أهل القرآن والواجب عليهم الاستناد إلى قدرة ربّ العالمين ورحمته بدلاً من الاستناد إلى قوّة عجنت بدماء ملايين الأبرياء".[12]

في هذا الزمان يبيع أهل الغفلة والضلالة دينهم بدنياهم، ومع ذلك ففي نظر هؤلاء الغافلين "الذين يرجّحون قطع الزجاج الرخيصة على قطع الألماس الثمينة" فإنّ هذه الخدمة الإيمانية المقدّسة يجب ألّا تكون تابعة لأيّ تيار وألّا تكون آلة بيده.

ويقول النورسي بأنّه لكيلا تنزل قيمة هذه الخدمة القرآنية ولا تصغر في نظر العامّة، فإنّه يجب ألّا يشغل نفسه بالمسائل الخارجة عنها وبالأمور التافهة، ويقول جواباً عمّن يسأله عن سبب ذلك:

"بينما ينبغي أن تكون الحقائق الإيمانيّة أوّل مقصد وأسبقه في هذا الزمان، وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة، وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور أجلّ وظيفة وموضع اهتمام ولهفة ومقصودة بالذات، إلاّ أنّ أحوال العالم الحاضرة ولاسيما الحياة الدنيوية والاجتماعية والحياة السياسية خاصة، وأخبار الحرب العالميّة بالأخصّ -التي هي تجلّ من تجليات غضب

الله النازل عقاباً لضلالة المدنية الحاضرة وسفاهتها- والتي تستميل الناس إلى جانبها وتهيج الأعصاب والعروق حتى تدخل إلى باطن القلب، بل حتى مكّنت فيه الرغبات الفاسدة المضرة بدلاً من الحقائق الإيمانية الرفيعة النافعة

''إنّه لأجل اطمئنان عوام المؤمنين وتقبّلهم حقائق الإيمان دون أن يساورهم أيّ تردّد، يلزم في الوقت الحاضر، وجود معلّمين، يحملون من الإيثار ما يجعلهم يضحون لا بمنافعهم الدنيويّة وحدها، بل بمنافعهم الأخروية أيضاً في سبيل منافع أهل الايمان. فيكون ذلك الدرس الإيماني خالصاً نقياً بحيث لا يفكرون فيه بالمنافع الشخصيّة مهما كانت. بل يسعون في الخدمة الإيمانيّة، بالحقائق، نيلاً لرضا الله، وعشقاً للحقيقة، وشوقاً إلى الحق والسداد الذي في الخدمة، وذلك ليطمئن كلّ من يحتاج إلى الإيمان اطمئناناً تامّاً دون حاجة إلى إيراد الأدلّة له، ولكي لا يقول: ''إنّه يخدعنا ويستميلنا'' وليعلم أنّ الحقيقة قوية بذاتها إلى حدّ لا يمكن أن تتزعزع بأيّ حال من الأحوال، ولا تكون أداةً طيّعة لأي شيء كان.. فيقوى إيمانه عندئذٍ ويقول: ''حقاً إنّ ذلك الدرس الإيماني هو عين الحقيقة'' وتمحى شبهاته ووساوسه''.[13]

القسم الثاني:

تناولنا في هذا القسم وفي القسم الثالث الذي يليه:

منهاج رسائل النور وطريقتها وغايتها.

عند تدقيق منهاج وطريقة وغاية رسائل النور يجب القيام ببعض التصنيف ورسم إطار عام لكي يتيسّر فحص وتدقيق الموضوع بشكل متكامل ومنهجي قابل للتحليل، ثم تناول الموضوع وشرحه في خطوطه الرئيسة وضمن إطار العام.

يمكن النظر إلى خطّة سير رسائل النور وإلى أسلوبه وطرازه من زاويتين:

الأولى: ماهي أسس سبيل رسائل النور؟ وبتعبير آخر على أيّ الأسس أقيم خطّ سير وسلوك رسائل النور؟

الثانية: ماهي خطط وطرق الخدمة التي تؤدّيها رسائل النور؟

ضمن هاتين الزاويتين من النظر إلى كليات رسائل النور وإلى الخدمة الإيمانية التي تقدّمها، سنقدّم ملاحظاتنا بشكل موجز. ففي هذا القسم الثاني سنوضح أسس سبيل رسائل النور، أمّا في القسم الثالث فسنوضح طرق رسائل النور عند قيامها بإيفاء خدماتها الإيمانيّة.

أسس سبيل رسائل النور

١- خدمة الإيمان وحمل دعوة القرآن

إنّ أساس سبيل رسائل النور هو خدمة الإيمان والقرآن. وغاية الخلق هي الإيمان بالله، والدعوة الكبرى هي كسب الحياة الأبدية، فهذه أكبر من الحروب العالمية، وأكبر من موضوع حاكميّة الشعب على ظهر هذه الأرض. فدعوى ربح حياة باقية وأبديّة أو خسارة تلك الحياة دعوى مفتوحة وتعود لكلّ مسلم. فإن لم يكتسب وثيقة الإيمان اكتساباً سليماً فإنّه سيخسر هذه الدعوى، وهذه هي خلاصة دعوة النورسي ولبّها. ولهذا السبب فإنّ السعي لإنقاذ الإنسان من مستنقع الكفر ومن هوة الفسق والضلالة، وجلبه إلى دائرة الإيمان وبذل كلّ المساعي والجهود في هذا السبيل إلى درجة الوجد والعشق هو محور هذه الدعوى. فالإنسان ليس عبارة عن كتلة من الجسد فحسب، إذ لا تنحصر فلسفة حياته في خدمة هذا الجسد. فلأجل تغذية هذا الجسد وخدمته لا يقطع القلب ولا اللسان ولا العقل ولا الدماغ، ولا يقدّم إلى الجسد كطعام له.

"ولكن لمّا كان الإنسان ليس مجرّد جسد، ولا يُجرّد من القلب واللسان والعقل ليعطي غذاءً للجسد، فلا يمكن إفناء تلك الجوارح. فكلّ منها يطلب التغذية والعناية. ولمّا كان باب القبر لا يغلق، بل إنّ أجلّ مسألة لدى كلّ فرد هو قلقه على ما وراء القبر. لذا لا تنحصر الوظائف التي تستند إلى احترام الناس وطاعتهم في وظائف اجتماعية وسياسيّة وعسكريّة تخص حياة الأمّة الدنيويّة. إذ كما أنّ تزويد المسافرين بتذاكر سفر وجواز مرور وظيفة، فإنّ منح وثيقة سفر للمسافرين إلى ديار الأبد ومناولتهم نوراً لتبديد ظلمات الطريق وظيفة جليلة، بحيث لا ترقى أيّة وظيفة أخرى إلى أهميّتها. فإنكار وظيفة جليلة كهذه لا يمكن إلاّ بإنكار الموت، وبتكذيب شهادة ثلاثين ألف جنازة يوميّاً تُصدق دعوى: أن الموت حق".[14]

هذه الوظيفة هي الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبديّة، وترسيخه وتقويته.

لقد فتحت المدنيّة السفيهة جراحاً يصعب علاجها في روح البشر. فمن ذا الذي سيمدّ يده إلى الإنسان المحطّم والممزّق والمنحلّ بسبب التأثير المدمّر والخانق للكفر والإباحية؟ من سيحميه ومن سيرشده إلى السبيل القويم؟ هذا هو مصدر ألم النورسي. والذي يعبر عنه بهذه الجمل:

"بلى، لم ينقطع رجائي وأملي تماماً... العالم يمر بأزمة خانقة وقلق معنوي عظيم.

فالمرض الذي دبّ في جسم المجتمع الغربي وزعزع دعائمه المعنوية كأنّه وباء طاعون وبيل. فما الحلول التي يجابه بها مجتمع الإسلام هذا المرض المعدي الرهيب؟ هل بوصفات الغرب النتنة المتفسخة الباطلة؟ أم بأسس الإيمان الحيويّة لمجتمع قلعة الإسلام؟ إنّني أرى الرؤوس الكبيرة سادرة في الغفلة. فقلعة الإيمان لا تسند بأعمدة الكفر النخرة، ولهذا أبذل كلّ جهدي وسعيي في الإيمان وحده.. لذا ركّزت جهدي كلّه من أجل الإيمان فقط.

إنّهم لا يفهمون رسائل النور، أو لا يريدون أن يفهموها. يظنّونني شيخ مدرسة جامداً في الأمور الدنيوية المادية. لقد اشتغلت بالعلوم الصرفة والعلوم والفلسفات المعاصرة كلها، وحللت أعقد مسائلها، بل صنّفت فيها مصنّفات. لكني لا أعترف بألعاب المنطق ولا أصيخ سمعاً لحيل الفلسفة، بل أترنّم بجوهر حياة المجتمع، وبوجوده المعنوي وبوجدانه وإيمانه. فقد حصرت اشتغالي في أساس التوحيد والإيمان الذي أسّسه القرآن، ألا وإنّ العمود الرئيس لمجتمع الإسلام هو هذا، فإذا تزلزل يضيع المجتمع''.[15]

٢- الإخلاص

إنّ الإخلاص هو سبيل رسائل النور. فالخلاص والنجاة هو في الإخلاص، والشفرة المعنويّة من أجل قبول الخدمة القرآنية ونجاحها هي الإخلاص. ففي العمل يجب قصد وجه الله تعالى. ويقول النورسي أنّ أكبر قوة لرسائل النور تكمن في الإخلاص. وقد ألّف رسالة بهذا الخصوص، ويظهر مدى اهتمامه بالإخلاص من الكلمة التي وضعها في أوّل رسالة الإخلاص فقد قال: ''تُقرأ هذه اللمعة كل خمسة عشر يوماً في الأقلّ''.[16]

وقد بيّن النورسي أنّ إبطال حقيقة الذين أخذوا الخدمة القرآنيّة على عواتقهم أنّ طريق التخلص من الأحاسيس القذرة مثل الرياء وحبّ المظهر والحسد والحرص والطمع يتحقق بالإخلاص. إنّ حبّ الجاه وهوى توجيه الأنظار إلى النفس مرض روحي، وسبيل رسائل النور هو جعل طلب رضا الله تعالى هو الأساس.

فإذا كانت رسائل النور قد نجحت كلّ هذا النجاح -وتنجح- فإنّ السبب يكمن في سر الإخلاص.

٣- الأخوة

إنّ العلاقة في رسائل النور هي علاقة صميمية قائمة على الأخوّة الحقيقيّة دون انتظار أيّ مقابل، وهي ليست مثل العلاقة الموجودة بين الشيخ وبين المريد، ولا بين

الأب وابنه. فطلّاب النور إخوة وأصدقاء في مائدة درس القرآن يعين بعضهم بعضاً، ويعبّر عن هذا في رسائل النور بـ"الفناء في الإخوان". أي فناء بعضهم في بعض، والعيش فكريّاً في مزايا أخيه، فإن رأى فيه نقصاً أكمله وإن رأى فيه فتقاً رتقه، وإن رأى فيه سوءً تألّم له ونصحه بكلّ لطف، وحاول إصلاحه دون إبداء خشونة أو إظهار حبّ السيطرة عليه.

إنّ الايمان يقتضي المحبّة، والإسلام يقتضي الأخوّة، فروابط الوحدة الموجودة بين المؤمنين والاتفاق والامتزاج مؤسّسة بفضل أسماء الله الحسنى.

ويشرح النورسي هذا الترابط كما يلي:

"إنّ خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم، أنّ نبيّكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنّكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظلّ دولة واحدة، في بلاد واحدة.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة".[17]

كلّ هذه الروابط سلاسل معنوية تستطيع ربط الكائنات والعوالم بعضها ببعض، وهذه الأواصر ليست مادية أو شكليّة أو سطحيّة أو سياسيّة بل تستمد نبعها من القرآن وتستثار بالانفعالات المقدّسة للحمية الدينية فهي علاقات وأواصر تتّحد وتتماسك وتتكامل ضمن روح الدعوة.

٤- سبيل رسائل النور هو العجز والفقر والشفقة والتفكّر

سبيل رسائل النور قائم على هذه الأسس الأربعة. وقد وصف النورسي هذا الطريق الذي استخرجه من القرآن الكريم بأنّه أقصر طريق للوصول إلى الله وأسلمه وأمضاه. فالمؤمن يرقى ويسمو بقدر إدراكه عجزه تجاه الله وفقره، وبقدر إدراكه نقصه وقصوره. وهكذا يوصله العجز عن طريق العبادة إلى اسم المحبوب، ويوصله الفقر إلى اسم الرحيم. وعندما يسلك طريق استعمال واستغلال فقره وعجزه، فإنّه يصبح مرآة لتجلّي الصمدانية.

إنّ ربع سلوك رسائل النور شفقة. فمن أسّس رسائل النور مدّ يد الشفقة باسم القرآن ومن أجل الآخرة إلى الناس المحيطين من الناحية المعنوية، والسعي لإنقاذهم والعمل من أجلهم وبذل كلّ الجهود في سبيل هذا.

الشفقة مثل الحب والعشق ''بل ربما أكثر منهما'' طريق واسع ومؤثّر. فطريقها هو طريق الرحمة، والنورسي متّصل مع جميع المسلمين، بل حتّى مع جميع الناس بسبيل الشفقة، والجمل التالية تبيّن مدى شفقته الواسعة.

''يقولون: لماذا تجرح فلاناً وعلّاناً؟ لا أدرى. لم أشعر ولم أتبين ممّا أرى أمامي من حريق هائل يتصاعد لهيبه إلى الأعالي يحرق أبنائي ويضرم إيماني، وإذ أنا أسعى لإخماده وإنقاذ ايماني، يحاول أحدهم إعاقتي، فتزل قدمي مصطدمةً به. فليس لهذه الحادثة الجزئية أهميّة تذكر وقيمة أمام ضراوة النار؟ يا لها من عقول صغيرة ونظرات قاصرة!''.[18]

والتفكير أساس آخر من أسس سبيل رسائل النور، فتناول المواضيع والمسائل بأبعادها الواسعة والتفكير فيها بدقة وبعمق، وإمرار الأحداث من أشعّة الفكر وتصفيتها ثم تصنيفها وتحليلها للتوصل إلى تركيبها من أسس سلوك رسائل النور. فهناك تفكير شامل وتأمل عميق في رسائل النور، والتفكير الذاتي تفكير عميق ودقيق. ففيها سباحة في شواطئ الأسرار الإلهيّة باستخدام خريطة الحقيقة الإنسانيّة وبمطالعة مرآة الماهية الإنسانية بوجدان مذعن للحقّ وبإيمان تحقيقي سمته الاطمئنان.

إنّ آفاق التفكير التي تكسبها رسائل النور للإنسان هي قراءة ومطالعة كتاب الكائنات باباً باباً وصفحة صفحة وسطراً سطراً باسم الله وعلى ضوء الأسماء الحسنى لله.

هناك ترغيب كبير للتفكّر وللتأمّل في رسائل النور، وذلك للوصول إلى سرّ الحديث النبوي الشريف ''تفكر ساعة خير من عبادة سنة'' المقصود من العبادة هنا أداء النوافل.

٥- الوفاء الخالص الكامل والثبات الدائم

''إنّ الذي تطلبه رسائل النور ثمناً لما تكسبه طلّابها الصادقين الثابتين من مغانم ومكاسب عظيمة جداً ومن نتائج عظيمة جليلة هو: الوفاء الخالص الكامل والثبات الدائم الذي لا يتزعزع''.[19]

إنّ الثبات والاستمرار في أداء الخدمة الإيمانية حتى الموت ومهما كانت الظروف والأحوال ودون خوف أو تراجع، والإيمان بالدساتير الموجودة في رسائل النور والمحافظة على العزة وعلى الكرامة الإسلاميّة وإظهار الوفاء والإخلاص والصدق لدعوة القرآن من أسس سبيل رسائل النور.

لقد كان أبرز صفات رجال الإسلام العظام الذين لعبوا أدواراً حاسمة في التاريخ

الإسلامي، والأبطال الذين حفروا أسماءهم في سجلّ التاريخ هو الثبات المخلص الصادق، فبهذا الصدق والثبات تسير الدعوة وتبقى حية. والصدق عند النورسي كان من نوع الصدق الصدّيقي والكلمات التالية تعبر بكلّ جلاء عن مدى صدقه وبطولته:

" إنّ الحقيقة المقدسة التي افتدتها ملايين الرؤوس فداءٌ لها رأسنا ايضاً، فلو أشعلتم الدنيا على رؤوسنا ناراً فلن ترضخ تلك الرؤوس التي افتدت الحقيقة القرآنيّة ولن تسلم القيادة للزندقة ولن تتخلّى عن مهمتها المقدّسة بإذن الله".[20]

٦- الشوق المطلق والشكر المطلق

من أسس رسائل النور إيفاء الشكر لله تعالى في جميع الأحوال وفي جميع الأوقات، في الألم والحزن، في الفرح والسرور، دون الوقوع في هوة اليأس ودون فقدان الأمل والشوق والعزيمة، ومهما كانت الظروف والأحوال فيجب إيفاءه دون اتّهام الرحمة الإلهية. إذ يرى النورسي:

"إنّ اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي. فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى -كالأموات- حتى تمكّنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها".[21] فاليأس يمنع بلوغ كل نوع من أنواع الكمال وهو جبن وصفه للعاجزين.

لم يسقط النورسي في ظلام اليأس حتى في تلك العهود المظلمة المرعبة، التي أصدرت في حقّه أحكام الإعدام ودبرت ضده خطط الخيانة، ولم ينحن ولم يفقد جلده بل حافظ على عزّته الدينية، وبذر بذور الأمل في كلّ مكان ذهب إليه مثيراً الهمم وملهباً الحماسة والشوق للدعوة. والحماسة والشوق الموجود في رسائل النور ليس من الأنواع التي تأتي مع الأحداث وتذهب معها. بل هو شوق دائمي. لنستمع إلى هذا من رسائل النور:

"نعم... نعم... أجل.. أجل.! لو سكن طنينُ البعوض وهدأ دويّ النحل فلا تيأسوا ولا تحزنوا ولا تخمد أشواقكم أبداً، فالموسيقى الإلهية العظيمة التي تجعل بنغماتها الكون في رقصٍ وانتشاء، وتهزّ بأشجانها أسرار الحقائق، لم تسكن أبداً ولم تهدأ... بل تستمر قوية عالية هادرة".[22]

"نعم، كونوا على أمل؛ ان أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر.[23]

والأساس الثاني من أسس رسائل النور هو الشكر المطلق. فأهمّ شيء يريده الخالق من عباده هو الشكر. فكلّ مخلوق في هذا العالم، وكل شيء متوجّه إلى الشكر بشكل ما ويؤدّي إلى الشكر. الذي هو ثمرة شجرة الخلق:

''إنّ مقياس الشكر هو القناعة، والاقتصاد، والرضا، والامتنان. أمّا مقياس عدم الشكر والاستغناء عنه فهو الحرص، والإسراف، وعدم التقدير والاحترام، وتناول كل ما هب ودّب دون تمييز بين الحلال والحرام''.[24]

و النورسي يشرح أنواع الشكر ثم يقول إنّ الصلاة هي أجمع شكل وأشمل نوع له:

''فقد أودع سبحانه في هذا الإنسان طاقةً لاحدّ لها، وجعله محتاجاً إلى أنواع لا تحدّ من الرزق المادي والمعنوي. وما الوسيلة التي تمكّن الإنسانَ من العروج بها إلى أسمى مقام وهو مقام 'أحسن تقويم' ضمن ما يملكه من الجامعية إلاّ الشكر. فإذا انعدم الشكر يتردى الإنسان إلى أسفل سافلين ويكون مرتكباً ظلماً عظيماً''.[25]

القسم الثالث: طرق تنفيذ الخدمة في رسائل النور

١- أصبحت رسائل النور مرآة للقرآن العظيم

يرى النورسي أنّ من أهمّ أسباب الكسل الذي يبديه المسلمون نحو الأحكام الدينيّة، والإهمال واللامبالاة التي يظهرونها نحوها، هو أنّ الكتب الموضوعة والمؤلفات المكتوبة لا تعكس بشكل جيد قدسيّة المصدر والمنبع وهو القرآن الكريم، وهو يرى أنّ الاجتهادات والكتب يجب أن تكون مرآة للقرآن حيث تبرزه وتظهره أمام الأنظار، فإن أصبحت الكتب وكيلة أو ظلّاً غابت قدسية المصدر، ذلك لأنّ الذي يدعو الجمهور إلى الامتثال والطاعة هو قدسيّة المصدر أكثر من الأدلّة والبراهين:

''عندئذ لا يُقرأ كتاب 'ابن حجر' -مثلاً- بقصد ما يقوله إبن حجر نفسه، بل يُقرأ لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم، وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد''.[26]

فلو وجهت الأنظار بهذا الشكل إلى القرآن، وتمت الإشارة في الضرورات الدينيّة إليه، لأدّى هذا إلى إيقاظ أكثر للضمائر، ولزادت أشواق الأرواح إلى الحقائق، ولقامت قدسيّة القرآن وجاذبيّته بهزّ الضمائر، ولأثّرت الحقائق على النفوس بوساطة الإيمان، وهكذا تزداد حاكميّة القرآن ونفوذه بكلّ معنى الكلمة على النفوس بصورة مباشرة.

وهكذا فقد أصبحت رسائل النور مظهراً ومرآة لهذه الطريقة المبتكرة، إذ قامت بإظهار قدسية القرآن بشكل شفاف وجعلت قرّاءها يواجهون القرآن وجهاً لوجه

وعزلت شخصيتها تماماً. وفي مسامراته ومجالسه وفي كتبه وتأليفاته لم يطلق النورسي على نفسه ألقاباً أمثال ''قطب العارفين'' أو ''غوث الواصلين'' بل قال عن نفسه بأنّه ''دلّال'' للقرآن وخادم له. ولهذا السبب فإنّ قارئ رسائل النور لا ينظر إلى شخص المؤلّف، بل ينظر مباشرة إلى الحقائق الموجودة فيها ويحصر نظره في الأدلّة والبراهين.

ويشرح النورسي سرّ النجاح في الخدمة التي تؤدّيها رسائل النور فيقول:

''أرى أنّ قسماً من الفضائل التي تعود إلى حقائق القرآن تُمنح إلى الوسائل التي تقوم بدور الدعاة والدالين على تلك الحقائق.

والحال أنّ هذا خطأ، لأنّ قداسة المصدر وسموّه هو الذي يولّد تأثيراً يفوق تأثير براهين كثيرة. وعوام الناس إنّما ينقادون للأحكام بهذه القدسية.

ومتى ما أبدى الدلال والداعي وجوداً لنفسه، أي متى ما توجّهت الأنظار إليه -دون الحقائق- يتلاشى تأثير قدسية المصدر''.[27]

''لأنّ الزمن الحالي يحتاج إلى إعطاء نوع من الدرس القرآني الذي لا يكون في خدمة أي غرض آخر للذين لم يتوصّلوا بفطرة العبودية الموجودة في أنفسهم إلى الحقائق الإيمانية التي هي فوق كلّ شيء، وإلى الذين هم بحاجة إلى فهم هذه الحقائق وذلك بأسلوب مؤثر، بحيث يستطيع إنقاذ الإيمان في مثل دنيا الاضطراب هذه التي اختلطت فيها الأمور، ويستطيع إقناع حتى المعاندين وبعث الطمأنينة في نفوسهم، وبذلك يستطيع قصم ظهر الكفر المطلق والضلال المتمرّد والمعاند وبذلك يهب القناعة الكاملة للجميع.

ولا تحصل مثل هذه القناعة في الظروف الحالية إلاّ عندما يكون الدين بعيداً عن كونه وسيلة لأيّة غاية شخصية أو دنيوية أو أخروية، مادية كانت أو معنوية. وإذاً: ''فللّه الشكر ألوف ألوف المرات، ففي طيّ تهمة القيام باستغلال الدين في السياسة قام القدر الإلهي -الذي هو العدل المحض- طوال ثمان وعشرين سنة بمنعي من جعل الدين - دون علمي ودون إرادة مني - آلة لأي غرض شخصي، وذلك باستخدام الأيدي الظالمة للبشر في توجيه الصفعات لي وفي تذكيري وتنبيهي.. هذه الصفعات التي كانت عدلاً محضاً وتحذّرني قائلة: إياك إياك! أن تجعل الحقائق الإيمانية آلة لشخصك، وذلك لكي يعلم المحتاجون إلى الحقائق أنّ الحقائق وحدها هي التي تتكلّم، ولكيلا تبقى هناك أوهام النفس ودسائس الشيطان، بل لتخرس وتصمت.

هذا هو سرّ تأثير رسائل النور في إشعال الحماس في القلوب وفي الأرواح كالأمواج في البحار الواسعة. وهذا هو سرّ تأثيرها في القلوب وفي الأرواح وليس شيئاً غيره. ومع أنّ هناك آلافاً من العلماء سجّلوا الحقائق التي تتحدّث عنها رسائل النور في مئات الآلاف من الكتب، والتي هي أكثر بلاغة من رسائل النور، لم تستطع إيقاف الكفر البواح. فإذا كانت رسائل النور قد وفّقت إلى حدّ ما في مقارعة الكفر البواح تحت هذه الظروف القاسية، فقد كان هذا هو سر هذا النجاح.. ففي هذا الموضوع لا وجود لـ سعيد، ولا وجود لقابليّة سعيد وقدرته، فالحقيقة هي التي تتحدث عن نفسها..نعم.. الحقيقة الإيمانية هي التي تتحدّث''.[28]

٢- قامت رسائل النور بحركة تجديد في علم العقيدة وعلم الكلام

قامت رسائل بإيضاح وإثبات حقائق الإيمان وأسس الإسلام بأدلّة عقلية ومنطقية. إذ قامت بتحقيق المعنى الذي ذكره الشاعر الكبير محمد عاكف:

بالإلهام المأخوذ مباشرة من القرآن

يجب أن نقدم الإسلام إلى عقل العصر

إنّ رسائل النور هي الدرس الذي يقدّمه القرآن الحكيم إلى عقل العصر وإلى إدراكه. ففيها تمّ شرح الحقائق القرآنية بلغة العلم والتقنيّة، وبشكل ملائم لإدراك العصر، فبالمنطق وباستخدام طريقة ضرب الأمثال وطريقة التمثيل قُرّبت الحقائق البعيدة وجُمعت المسائل المتفرقة المتشتّتة ضمن إطار منهجي واحد، مما سهّل الوصول إلى أسمى الحقائق. فإلى جانب استفادة العقل فقد روعي استفادة الأحاسيس أيضاً مثل النفس والخيال والتوهّم والهوى. وبدلاً من نقب الجبال وإجراء الحفريّات لجلب المياه من أماكن بعيدة، فقد اتّبعت رسائل النور طريقة موسى عليه السلام الذي كان يجد الماء بعصاه في كلّ مكان، فأينما ضربه انفجرت عنده عيون الماء الزلّال الذي جعل الله تعالى منه كلّ شيء حي.

''ثم إنّ الرسائل ليست كبقيّة مصنّفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلّته ونظراته، ولا تتحرّك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوّفين بمجرّد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنّما تتحرّك بخطى إتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن إقدامها وخطواتها، فتبيّن أنوار الحقائق الإيمانيّة وتوصّلها إلى عيونها المطموسة.[29]

ورغم تلفيق الدعايات الكاذبة ضد رسائل النور ووضع الخطط السرية الأثيمة ضدها، فإنّها لاتزال تُقرأ بكلّ شوق داخل البلد وخارجه، وأحد الأسباب في هذا هو الطريقة المبتكرة التي وضعتها في الصراع بين الكفر وبين الإيمان، حيث أبانت وبرهنت على النتائج الأليمة والمرعبة للكفر وللضلال في الدنيا، وإنّ اللذة الخالية من الألم لا توجد إلّا في الإيمان وليس في غيره.

فرسائل النور برهنت على ''أنّ نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبى، فتفضّل درهماً من لذّةٍ عاجلة على قنطار من لذّات آجلة، هذه الأحاسيس قد طغت - في هذا العصر - على عقل الإنسان وسيطرت على فكره؛ لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألمه في لذّته نفسها، ومساعدته على التغلب على أحاسيسه تلك؛ إذ المرء في زماننا هذا، مع علمه بلذائذ الآخرة ونعيمها الثمين كالألماس يفضّل عليها مُتعاً دنيويّة تافهة أشبه ما تكون بقطع زجاجيّة قابلة للكسر! كما تشير إليها الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾(إبراهيم:٣). وبناء على هذا ولشدة حبّه للدنيا تراه ينساق وراء أرباب الضلالة، ويتبعهم بعد أن كان من أهل الإيمان.

والسبيل الوحيد لإنقاذه من خطر الانسياق هذا، هو إظهار آلام جهنّم وعذابها في الدنيا أيضاً.

وهذا هو النهج الذي تسير عليه رسائل النور''.[30]

وهناك حال أخرى مفجعة وأليمة في هذا العصر وهي أنّ الكفر المطلق، وكذلك الكفر المعاند النابع من العلم ومن الفلسفة، أصبحا يهاجمان الحقائق الإيمانيّة ويعارضانها، لذا فهناك حاجة إلى حقيقة مقدّسة تفجّر قواعد الكفر بقوّة القنبلة الذرية وتجعلها أثراً بعد عين. وهذه الحقيقة هي رسائل النور التي هي بمثابة سيف قرآني ألماسي، ذلك لأنّ الجانب المعنوي في هذا العصر لا يتمّ إلّا بسيف الإيمان المحقّق الذي لا شبهة فيه. ورسائل النور هي المرآة التي تعكس حقائق الدين بحقّ.

٣- رسائل النور أسّست شخصية معنوية

يرى النورسي بأنّ أيّ شخص - مهما كانت مرتبته المعنويّة كبيرة – لا يستطيع النجاح في إزالة الوساوس الصادرة من الكفر ومن الضلالة ومن الإلحاد الناتج من فكرة الجمعيات السريّة التآمرية إزالة تامّة. لذا يجب وضع شخصيّة معنويّة تجاه الشخصيّة المعنوية للإلحاد. ورسائل النور أصبحت شخصية معنوية بعد أن نجحت في جلب ملايين الناس إليها. وهي لا تحمل سمة السياسة أو الجمعيات السرية المسلّحة

التآمرية، ولا سمة الجمعيات الاعتيادية، ولا سمة الفكرة القومية أو المحلية ولا سمة فكرة شخصية. بل هي عبارة عن أفراد تجمّعوا وتحلّقوا حول رسائل النور التي هي تفسير معنوي وحقيقي للقرآن، يريدون ارتشاف الحكمة والمعرفة منها، وهذه الشخصية المعنوية لا تعني جمعية علنية أو سرية بالمفهوم الاجتماعي والسياسي، بل تعني ربما ''وحدة قلبية'' نابعة عن علاقات وجدانيّة وعاطفية أو ''انتسابا للقرآن''.

إنّ أسلوب الخدمة التي تؤديها هذه الشخصية المعنوية لرسائل النور ومفهومها لا يدخلان ضمن القوالب السياسية أو الشكلية أو السطحية ولا يمكن حشرهما فيها. فخدمات هذه الشخصية المعنوية لا تنحصر في مركز معين أو لشخص أو محيط معين. ولا توجد فيها سلسلة شكليّة للآمر - والمأمور ولا علاقة فوق - تحت. فالشخصية المعنوية لرسائل النور هي ''تقارب قرآني'' و''اشتراك في العواطف العلوية السامية''. وتعدّ أقوى رابطة في حياة المجتمع وأكبر قوّة ديناميكية معنوية فيها.

لقد جمعت الشخصية المعنوية لرسائل النور أشخاصاً من مستويات متعدّدة في صعيد واحد، والخدمات التي تقدّمها حلقات الحقيقة المتداخلة بعضها في بعض والممتدّة من المركز نحو المحيط، والتي تعبّر عنها بتعابير ''الطالب -الأخ- الصديق'' لها وجوه متعدّدة، وتهدف جميعها إلى إيصال حقائق القرآن إلى كل جبهات الحياة الاجتماعية المختلفة بصورة صادقة ومخلصة، ومع أنّ أساس سلوك رسائل النور أساس واحد، إلّا أنّ المظاهر المختلفة لهذه النشاطات تتعلّق بالميل النفسي وليس بالأساس. أي أنّ رسائل النور لا تنشئ أناساً ذوي بعد واحد، أو أناساً في قالب معيّن فقط. ولكونها مظهراً لـ ''الاسم الجامع'' فإنّ كلّ شخص يأخذ من معرفتها الكليّة وحكمتها وحقيقتها وإطار فكرها حسب قابليّته وميله وفهمه وإدراكه.

ثم يعكس ذلك حسب عزيمته وجهده وصفاء روحه. وفهم المشارب هذه يساعد على وضوح الحقائق النسبية وحضورها. وإذا جاز التعبير فإنّ الشخصية المعنوية لرسائل النور ليست بستان فيه نوع واحد من شجرة الفاكهة، بل هي حديقة واسعة تحتوي على أشجار متنوّعة وعلى أثمار وفواكه متعدّدة وعلى ورود وزهور عديدة تنمو كلّها في أطيب مناخ وأحلاه. وضمن تكاملها فإنّ هذه تظهر بشكل ''جميل'' و''أجمل'' و''الأجمل''.

٤- طريقة رسائل النور هي العمل الإيجابي

الدرس الأخير الذي أعطاه النورسي سعيد النورسي قبيل وفاته كان حول ''العمل الإيجابي'' فهو يقول:

"اخواني الأعزاء!

إنّ وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إنّنا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كلّ ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

أقول متخذًا من نفسي مثالاً: أنّني لم أنحن تجاه التحكّم والتسلّط منذ القدم. وهذا ثابت بكثير من الحوادث. فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنّني لم أعر أيّة أهميّة على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكريّة العرفيّة الذي كان يهدّدني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبيّن عدم قبولي للتحكّم والتسلّط. إلّا أنّني قابلت المعاملات الشائنة بحقّي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألاّ أتدخّل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءاً بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد.

نعم مثلاً: أنّني لم أدعُ بالسوء حتى على المدعي العام الذي اتّخذ علينا القرار الجائر رغم أنّني قد أثبتّ أخطاءه البالغة واحداً وثمانين خطأً. لأنّ المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، واقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكلّ ما نملك من قوة.

نعم، إنّ في مسلكنا قوة. إلّا أنّنا لم نقم باستعمالها إلّا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي إتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء:١٥] أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبّائه. إنّ هذه القوة لا يمكن استعمالها الا ضد الهجمات الخارجية. إنّ وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكلّ ما نملك من قوة. لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخليّة المخلّة بنظام الأمن وأقول كجلال الدين خوارزم شاه: إنّ وظيفتي الخدمة الإيمانية، أمّا النصر أو الهزيمة فمن الله سبحانه. وإنّني قد تلقيت درس التقلّد بالإخلاص التام من القرآن الكريم".[31]

وقد ابتعد النورسي البعد كلّه عن أيّ عمل أو نشاط يؤدي إلى إثارة أهالي البلد بعضهم ضدّ بعض أو إلى الإحساس بالانحياز نحو طرف أو إلتزام طرف، أو القيام بما يمسّ الأمن والاستقرار والهدوء. وقد أوصى تلاميذه وطلّابه بذلك بشدة. وكلامه التالي يسترعي الانتباه:

''أجل، إنّ هناك نفوذ اً وتأثيراً كما يقوله المنافقون، ولكن ليس لي، وإنّما لرسائل النور. فرسائل النور لا تنطفئ وكلّما تعرّض لها شيء قويت! ولم تستعمل إلاّ لصالح الأمة والبلاد ولا يمكن غير ذلك''.[32]

هناك أسباب حيويّة ومهمة جدّاً وراء إعطاء النورسي كلّ هذه الأهميّة للعمل الإيجابي ومراعاة الأمن والاستقرار:

إنّ الحياة الاجتماعية إن كدر ماؤها فإنّ إعادة السكون والاستقرار إليه تحتاج إلى مدة طويلة من الزمن، وتتطلّب همّة كبيرة وجهوداً مكثّفة. والبنية الاجتماعية إن اهتزّت بعوامل الاستبداد والإرهاب والفوضى، فلا يمكن أداء الخدمة فيها بشكل مستمرّ وصحي ومؤثّر. ولكي يتم نقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فإنّ الهدوء الاجتماعي شيء ضروري ولازم. فإن تمّ تناول الأمور تحت تسلسل ''التهيّج - استعمال القوة الجسدية – الانحياز'' وليس تحت تسلسل ''العقل - المنطق - موازنة الأدلّة'' زادت التناقضات واكتسبت شدّة وارتفع النبض الاجتماعي، والاضطرابات الشديدة تؤدي إلى غياب الاستقرار والهدوء الداخلي وإلى انفراط عقد القلوب. وإذا غاب الهدوء احتلّ الفوضى والاستبداد والإرهاب مكانه. أمّا السدّ الذي يقطع السبيل أمام الفوضى الاجتماعية والفساد والانقلابات فهو التصرف بحركة إيجابيّة.

ولو لم يؤلّف النورسي أيّ كتاب طوال حياته لكانت أبياته الموجزة التي سنقدمها بعد قليل وصفة تستطيع البشريّة استعمالها بدءً من الأحاسيس القلبية إلى النيّة ووجهة النظر، وصولاً إلى العلاقات الفرديّة والعائلية والاجتماعية، وإلى الأبعاد الواسعة للحياة إلى جميع العلاقات البشريّة:

''اتخذ هذه القاعدة دستوراً لك:

''خذ ما صفا دع ما كدر'' فانظر بُحسن وشاهد بُحسن ليكون فكرك حسناً، وظُن ظنّاً حسناً، وفكّر حسناً لتجد الحياة اللذيذة الهانئة.

إنّ الأمل المندرج في حسن الظنّ ينفخ الحياة في الحياة، بينما اليأس المخبوء في سوء الظنّ ينخر سعادة الإنسان ويقتل الحياة''.[33]

٥- تجرّدت رسائل النور عن السياسة

لم يهتم النورسي طوال حياته بالسياسة الفعليّة أبداً، وقد رأى أنّ من أسس

وموجبات طراز خدمته تجرّده من السياسة تماماً. ومن الملفت للنظر والداعي إلى التفكير تجرّد مثل هذا الشخص الذي يستطيع تحليل الأحداث الاجتماعية والسياسيّة تحليلاً فكريّاً حكيماً وجيّداً كلّ هذا التجرد من السياسة. والحقيقة أنّ تبنيه طراز خدمة بعيدة تماماً عن السياسة يُعدّ من أكثر أفكاره جدّة، وأكثرها مدعاة إلى التحليل والبحث.

فلماذا لم يقم النورسي بتشكيل حزب ولماذا لم يعمل على تشكيل أنموذج سياسي؟ ولماذا حصر كلّ همّه وجهوده في خدمة القرآن؟ دعنا نرتّب الجواب على هذا السؤال في شكل موادّ موجزة بعد القيام بمسح شامل لرسائل النور:

آ- يرى النورسي أنّه عندما يتمّ تقييم الحوادث الاجتماعيّة يجب أن يكون التشخيص تامّاً وذو متانة وصحة. وتشخيصه الموجز هو ما يلي:

''إنّ الحياة البشريّة ما هي إلاّ كركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان، أنّ طريق تلك القافلة الماضية أدّت بهم إلى مستنقع آسن، فالبشرية تتعثّر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أوحال ملوّثة منتنة.

ولكنّ قسماً منها يمضي في طريق آمنة.

وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لتنجيه قدر -المستطاع- من الوحل والمستنقع.

وقسم آخر وهم الأغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحل المتّسخ.

فالعشرون من المائة من هؤلاء يلطخون وجوههم وأعينهم بذلك الوحل القذر ظنّاً منهم أنّه المسك والعنبر، بسبب سُكرهم. فتارة يقومون وأخرى يقعون وهكذا يمضون حتّى يغرقون.

أما الثمانون من المائة، فهم يعلمون حقيقة المستنقع ويتحسّسون عفونته وقذارته إلاّ انهم حائرون، إذ يعجزون عن رؤية الطريق الآمنة.

وهكذا فهناك علاجان اثنان إزاء هؤلاء:

أوّلهما: إيقاظ العشرين منهم المخمورين بالمطرقة.

وثانيها: إراءة طريق الأمان والخلاص للحائرين بإظهار النور لهم (أي بالإرشاد).

فالذي أراه أنّ ثمانين رجلاً يمسكون بالمطرقة بأيديهم تجاه العشرين، بينما يظلّ

أولئك الثمانون الحائرون البائسون دون أن يُبصّروا النور الحق، وحتى لو أُبصروا فإنّ هؤلاء لكونهم يحملون في أيديهم عصا ونوراً معاً فلا يوثق بهم. فيحاور الحائر نفسه في قلق واضطراب: تُرى أيريد هذا أن يستدرجني بالنور ليضربني بالمطرقة؟. ثم حينما تتحطّم المطرقة بالعوارض أحياناً، يذهب ذلك النور أيضاً أدراج الرياح أو ينطفئ''.[34]

ب- إنّ رسائل النور دروس قرآنيّة تهدف إلى نيل الرضا الإلهي، ولا يمكن أن نكون متحيّزين ضد أيّ شخص يأتي إلى درس الإيمان مهما كان هذا الشخص. فلا نميّز في الدرس الإيماني بين صديق وعدو، بينما التحيّز الموجود في السياسة يقضي على هذا المعنى فيختلّ معنى الإخلاص.

ج- ''هناك دوائر وحلقات للقلب والمعدة والبدن بعضها وسط بعض بدءً من الأسرة إلى المحلّة إلى المدينة إلى البلد إلى الكرة الأرضية والنوع البشري، ففي كلّ دائرة قد يكون هناك نوع من الوظيفة لكلّ إنسان. ولكنّ أكبر وظيفة وأهمّها وأكثرها دواما توجد في أصغر دائرة وهي دائرة القلب، وقد توجد الوظيفة الصغيرة والمؤقّتة والتي لا نحتاج إليها إلّا من وقت إلى آخر في أكبر دائرة. ولكنّ الدائرة الكبيرة تكون أكثر جاذبيّة، وبجاذبيّتها هذه تجذب إليها الفضوليّين وتشغلهم بها، وتجعلهم ينسون الوظيفة الحقيقيّة والوظيفة الكبرى، وتعطي دافعاً للتحيّز ولا ترى بأساً في ظلم الظالمين فتكون بذلك شريكاً في الظلم''.[35]

إنّ أوسع مجال ودائرة تكون سبباً في الغفلة وفي الانشغال بالدنيا والغرق فيها وفي نسيان الآخرة هي دائرة السياسة، فمن الصعب على الشخص السياسي المحافظة على الإخلاص والصفاء وعلى نقاء القلب، فتجاه الحوادث وفي أثناء غمار النضال هناك حاجة ماسّة إلى إيمان بوضوح الشمس لكيلا يختنق الإنسان بهذه الحوادث. لذا:

''لا يكون قسم من السياسيّين -على الأغلب- على تقوى كاملة، ولا يكون الذين هم على تقوى وصلاح تام سياسيين ما خلا الصحابة الكرام وأمثالهم من المجاهدين من السلف الصالحين. بمعنى إنّ الذين اتّخذوا السياسة هدفاً لهم يأتي الدين لديهم في المرتبة الثانية ويكون حكمه حكم التابع. أمّا المتديّن حقّ التديّن فيرى العبوديّة لله تعالى أعظم غايته في الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان، بل ينظر إليها -حسب مرحلتها- في المرتبة الثانية والثالثة ويستطيع أن يجعلها أداة طيّعة للدين والحقيقة. إذ بخلافه يهوّن من قيمة الألماس الثمينة إلى قطع زجاجيّة تافهة''.[36]

د- ''وحمداً لله فإنّني بسبب تجرّدي عن التيارات السياسيّة لم أبخس قيمة حقائق القرآن التي هي أثمن من الألماس ولم أجعلها بتفاهة قطع زجاجيّة بتهمة الدعاية

السياسيّة. بل تُزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مرّ الأيّام وتتألّق أكثر أمام أنظار كلّ طائفة".[37]

هـ- "حذار.. حذار.. أيّها الإخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيويّة ولاسيما السياسيّة منها ولاسيما التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة، إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالّة المتّحدة... فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطانيّ والعياذ بالله: 'الحبّ في السياسة والبغض في السياسة' بدلاً من الدستور الرحماني "الحبّ في الله والبغض في الله" إذ عندها تعادون أخاً لكم هو في الحقيقة كالملاك وتولّون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخنّاس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمناً. فحذار حذار من هذا!"[38]

و- في الحوادث السياسية "نعم، إنّ السياسة الحاضرة لإستانبول شبيهة بالأنفلونزا تسبّب الهذيان. فنحن لسنا متحرّكين ذاتياً، بل نتحرك بالوساطة. فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا، فهي تلقّن بالتنويم -المغناطيسي- ونحن نتصوّرها نابعة من أنفسنا ونجري أثر تلقينها بتخريب أعمى أصمّ".[39] فمنبع الحوادث السياسيّة ومصدرها ومواضع صنعها هو الغرب. لذا فهناك احتمال الإشتراك بعلم أو دون علم بالأعمال القذرة وبمناورات الغرب وألاعيبه. والذين ينجرفون في تلك التيارات تكون أعمالهم لحساب القوى الخارجيّة لأنّ إرادتهم لا تأثير ولا حكم لها، وكون نيّاتهم خالصة لا تفيد شيئاً.

ز- ولا يؤيّد النورسي الانشغال بالسياسة من الناحية النفسيّة أيضاً للفرد... "نعم إنّ السياسة الحاضرة تفسد القلوب، وتدع الأرواح الحسّاسة في عذاب. فالذي يروم سلامة القلب وراحة الروح عليه أن يترك السياسة.

نعم، إنّ كلّ إنسان في الوقت الحاضر، على الكرة الأرضيّة قاطبة، له نصيبه من المصائب الجارية إمّا قلباً أو روحاً أو عقلاً أو بدناً، ويعاني من العذاب والرهق ما يعاني، ولاسيما أهل الضلالة والغافلين حيث أنّهم غافلون عن الرحمة الإلهيّة الشاملة والحكمة السبحانيّة الكاملة. فمن حيث إنسانيّتهم وعلاقتهم بالبشريّة يتعذبون بالآلام الرهيبة المفجعة التي تعانيها البشريّة في الوقت الحاضر، فضلاً عن آلامهم أنفسهم، ذلك لأنّهم قد تركوا وظائفهم الحقيقيّة وأمورهم الضروريّة وأعاروا سمعهم بلهفة إلى ما لا يعنيهم من صراعات سياسيّة وشؤون آفاقية، وحوادث خارجة عن طوقهم، ويتدخّلون فيها حتى جعلوا أرواحهم حائرة وعقولهم ثرثارة، وسلبوا من أنفسهم الإشفاق والرثاء عليهم، حسب قاعدة 'الراضي بالضرر لا ينظر له' أي من يرضى لنفسه

الضرر لا يستحق النظر إليه برحمة. فلا يُرثى لهم ولا يُشفق عليهم، فهم الذين قد سبّبوا نزول البلاء بهم''.[40]

ط- ''فما دامت خدمة الإيمان والقرآن أسمى من أيّة خدمة في هذا العصر، وأنّ النوعية تفضّل الكمية، وأنّ التيارات السياسيّة المتحوّلة المتغيّرة وأحداثها المؤقّتة الزائلة لا أهميّة لها أمام خدمات الإيمان الثابتة الدائمة، بل لا ترقى لمقارنتها ولا يمكن أن تكون محوراً لها، فينبغي الاطمئنان بما منحنا ربّنا سبحانه وتعالى من مرتبة نورانيّة مفاضة علينا من نور القرآن المبين''.[41]

٦- قوّة رسائل النور أصيلة

في الخدمة التي تؤديها رسائل النور حركة وقدرة عمل دائبة ومستمرّة، ومنبع هذه القدرة هو الإيمان. فكلّما زاد إيمان الفرد زادت قدرته على العمل، وبتعبير النورسي:

''كما أنّ الايمانَ نورٌ وهو قوةٌ أيضاً. فالإنسان الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائناتِ ويتخلّصَ من ضيق الحوادثِ، مستنداً إلى قوةِ إيمانه فَيبحرُ متفرّجاً على سفينة الحياة في خضمّ أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلاً: تَوكَّلتُ على الله، ويسلّم أعباءه الثقيلةَ أمانةً إلى يدِ القُدرةِ للقدير المطلق، ويقطعُ بذلك سبيلَ الدنيا مطمئنّ البال في سهولةٍ وراحةٍ حتى يصل الى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفعَ طائراً إلى الجنّة للدخول إلى السعادة الأبدية''.[42]

إنّ الخدمات التي لا تأسر القلوب ولا تشغل الأرواح مهما بدت كبيرة في المظهر الخارجي، فإنّها -من منطلق الحقيقة- تشبه نار القش المشتعل لا تملك دواماً ولا تأثيراً،و إنّ فعاليّة ونشاط رسائل النور هو في سبيل أسمى معنى، فلكونها تأخذ ''العقل، القلب، الروح'' أساساً فهي لا تهتم بإطلاق الشعارات، بل بالحياة الواقعية، ووسيلتها ليست الهدم والتمزيق والحدّة واستعمال القوة العمياء والسلاح، بل عشق الحقيقة والإرشاد القلبي، فليست هي دون غاية أو هدف أو نظام. وفعاليّتها تساعد على استتباب الأمن والاستقرار والهدوء، وتقف في وجه الفتن والهدم الاجتماعي والاضطرابات والهزّات ولا تعطي لها فرصة، وهذه الفعاليّة تحاول بالرفق واللين وبمشاعر الرحمة والشفقة معالجة دواليب المجتمع التي أصابها الخلل والفساد. وتتميّز فعاليّتها بأنّها تقوم بنقش الحقائق في النفوس، وبالنفوذ إلى أعماق القلوب لتثير أرقّ المشاعر وتوسّع الاستعدادات السامية.

ولإيضاح مدى تأثير فعاليّة رسائل النور وقوّتها أدرج أدناه حادثة حقيقيّة:

في أثناء المحكمة التي انعقدت في ظلّ الأحكام العرفيّة سنة ١٩٨٥ أُحضر أرمني -يحتمل أنّه كان من حزب ''أصالا'' الأرمني السري- إلى قاعة السجن الذي كان أحد طلاب النور مسجوناً فيه، كان هذا الأرمني مولوداً في إسطنبول ويتقن اللغة التركيّة، فدار بينهما الحوار التالي:

سأل الأرمني:

- ما التهمة الموجّهة إليك؟ لماذا أتوا بك إلى هنا؟

- إنّني بريء. لقد جاؤا بي إلى هنا لكوني أقرأ كتاباً.

- أيّ كتاب؟

- رسالة النور.

ما إن سمع الأرمني كلمة ''رسالة النور'' حتى صمت قليلاً ثم دمدم بالكلمات التالية:

- دعوة النور.. أكثر القوى هدوءاً في العالم ولكنّها أكثر القوى قدرة وفعاليّة.

٧- طريقة تعليم وتربية رسائل النور متكاملة

لقد أسّست رسائل النور في طول البلاد وعرضها ورشة تربية دائمة، وقلبت سطح الوطن إلى مدرسة ومؤسسة معرفة، فهي تقرأ الآن بكلّ شوق داخل البلد وخارجه من قبل جميع الأعمار بدءً من الأطفال إلى الشيوخ قراءة مستمرّة. إنّ اجتماع العديد من الناس -قد يبلغ عددهم عدة ملايين- حول دروس وحقائق رسائل النور في سبيل الله، دون وجود أيّ إكراه روابط فيما بينهم، وتوحّدهم حول هذه الحقائق يُعدّ خدمة قرآنية كبيرة وحادثة مهمّة. فلم يحدث في تاريخ الإسلام أن اجتمع كلّ هذا العدد من الناس حول كتاب أيّ مؤلف. ولمّا كانت رسائل النور تجليّاً لسلوك الصحابة في هذا العصر فإنّ نظام التربية عندها انعكاس لأنموذج ''دار الأرقم'' في عصر النبوة.

إنّ طريقة التربية والتعليم لرسائل النور تعطي أهمية كبيرة لتربية المؤمنين -ولاسيما أجيال الشباب- تربية قرآنية. ويركّز هدفها التربوي على الكيفيّة أكثر من الكميّة. إذ تتّبع أنموذج ''أصحاب الصفة''، وتعكس النظرة القائلة بأنّ ''أسد واحد أفضل من ألف غنم''.

٨- لا تطلب أجراً ولا أجرة عند إيفاء الخدمة

تتّبع رسائل النور الأنبياء في موضوع نشر الحق. أي أنّها لا تطلب أجراً مقابل

خدماتها، بل تنتظر أجرها من ربّ العالمين، فهذه الدنيا عالم خدمة وليس عالم أجر. وطريقة رسائل النور هذه بعيدة عن الرياء والمظاهر وعن حبّ التصفيق، فهي طريقة لخدمة خالصة. فقد اتّخذت دستور ''تقديم الخدمة دون مظاهر'' فباستغنائها عن الشعب وبرعايتها للاقتصاد أنقذت العلم من أن يكون واسطة لجَرّ المنافع، فحافظت بذلك على عزّة العلم وعلى كرامته.

النتيجة:

يقول النورسي سعيد النورسي:

''وأنا أطمئنكم مقسما بالله أنّ قصدي من الثناء على رسائل النور إنّما هو تأييد حقائق القرآن وإثبات أركان الإيمان ونشرها. وأنّني أشكر ربّي الرحيم شكراً لا منتهى له، على أنّه لم يجعلني أعجب بنفسي قط، وأنّه أظهر لي عيوب نفسي وتقصيراتي حتى لم تبق أيّة رغبة في إظهار تلك النفس إلى الآخرين''.[43]

وعلى ضوء هذا البيان فقد حاولنا في محاضرتنا هذه ليس استعراض شخصية سعيد النورسي، بل الخدمات التي قدمها للقرآن وللإسلام حسب مقدار فهمنا. لقد أطلنا بعض الشيء، وجعلنا صبركم ينفد، غير أنّ مدح هذا المجدّد وعلاّمة القرآن باسم القرآن والثناء عليه لا يعدّ إسرافاً كما أعتقد، ذلك لأنّه كان تحت إمرة القرآن وتلميذاً من تلاميذه.

ذلك لأنّه لقمان الحكيم في عصره الذي شخّص حيرة العصر، وطبيب الإيمان ودلال القرآن، وهو من الناحية المعنوية اختصاصي على مستوى العالم.

النورسي هو طبيب زمانه الذي قدّم من صيدليّة القرآن أدوية لأمراض العصر.

النورسي هو دلّال القرآن الذي عمل على إحياء سنّة الرسول ﷺ وأعلن عن قدسيّة القرآن.

النورسي هو دليل زمانه الذي فتّش عن الخلاص في القرآن والذي جلب الأنظار إليه.

النورسي هو ناشر نور القرآن الذي أخذ على عاتقه مسؤوليّة الدعوة القرآنيّة.

النورسي هو معمار الإيمان الذي عالج الوجدان العام والقلب العام بالحكمة القرآنية.

النورسي هو الجواد الأصيل الذي سبح في شواطئ أسرار معرفة الله، وهو معرّف بالقرآن، وهو في النهاية الأمل المنتظر للإسلام.

لقد أرسي النورسي سبيله على أسس صلبة، فالطريق الذي اختطه حكيم وملائم للفطرة، فقد بدأ بألزم شيء للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد". وبعد أن جعل منتسبي طريقه يمرّون من مراحل انتقالية في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجوّلون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمّل، وشكّل منهم جماعة حصينة وكاملة. واستخدم الحكمة والكلمة الليّنة واللسان العذب في تبليغ دعوته، ولم يلتفت أو يهتمّ أبداً بالأسلوب الخشن الحاد والهدّام المخرّب. واستمرّ في دعوته بصبر وبجلد، وتحمل كلّ الآلام دون خوف ودون استسلام ودون التخلّي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف. ونجح في تأسيس جيش فدائي متماسك نقي وصميمي، وأنشأ شخصيّة معنويّة قويّة تشعّ نوراً تجاه الشخصيّة المعنويّة للكفر. وقد تطلع إلى المستقبل بأمل ولم يقع في اليأس. عاش مثلما تحدّث، وتحدّث مثلما عاش، فتربع على عرش القلوب كحقيقة تعيش في الواقع، ففي سبيله وطريقته وطرازه وأسلوبه اتخذ الإنسان أساساً ورسم سبل الوصول إليه، واهتمّ كل الاهتمام بإنشاء هذا الإنسان وبكيفيّة صعوده مدارج الكمال.

وقد أصبح سعيد النورسي المنقذ المنتظر في عصره بإخلاصه التام وبتفكيره العميق وتضحيته اللّامحدودة، وبتواضعه الكبير وروحه المتآلفة وشفقته الواسعة وشخصيّته الكبيرة الخالية من الأنانيّة، وبخدماته الجليلة وبعبوديّته الخالصة الخاليّة من حبّ المظاهر، وبالتزامه المتين. لقد عكس في القرن العشرين أنموذج عصر الصحابة، ونشر أسلوب دار الأرقم وأصحاب الصفة، فحرّك الجماهير المتجمّدة الفاقدة للحركة، بمشاعر عشق الحقيقة، وجعل الإسلام مثله الأعلى، والغاية العلويّة والمقدّسة للدين فوق جميع المنافع الشخصيّة، وفوق جميع المآرب. حافظ على العزّة الدينيّة، وجعل الإخلاص والاستغناء عن الناس والتضحية والاقتصاد التام أسس قواعد حياته. وبمفهومه عن طراز الخدمة -الذي يبدأ من المركز ويتوجه نحو المحيط- فقد بدأ بشخصه وخاطب نفسه، ولم تقتصر طاقة خدماته في مكان معيّن أو زمان معين أو بيئة معينة، بل داوم على أداء خدماته المخلصة في كل مكان وزمان وتحت جميع الشروط.

وخلاصة القول أنّ رسائل النور أخذت نورها من القرآن الكريم مباشرة، أي أنّها أصبحت مثلما قال الشاعر:

إنّ التقدير الإلهي لا يمكن ردّه بقوة الذراع
وإنّ شمعة أوقدها الله لا تنطفئ بالنفخ

إنّ رسائل النور برسالتها الغنيّة وبفكرها المؤثّر وبعلمها العميق تحمل بحقّ صفة ''المعلّم''. ولكونها تزكّي الأنفس وتطمئن القلوب وتهذّب الأرواح فهي تحمل بحق صفة ''المربّي''.

إنّ قراءة رسائل النور تجعل الإنسان ينسى الإنسان، إذ تحمله إلى أقاليم المعرفة وتعجنه بأسرار وبأنوار القرآن، وتصفى نفسه وتعيد تشكيله من جديد، وتربطه برسول الله وبالقرآن وبالله. وتجعله يطير في أنوار أسماء الله الحسنى ويتنزّه في حدائق العشق والمحبّة الإلهيّة.

لذا فإنّ العالم الإسلامي بأجمعه، والبشرية جمعاء في حاجة إلى مثل هذا التفسير للقرآن وإلى منظومة الحقائق هذه في بداية نقطة انطلاقها للهداية. وستزداد هذه الحاجة يوماً بعد يوم وستحتفظ رسائل النور بشبابها وطراوتها ويناعتها حتى يوم القيامة.

* * *

الهوامش:

[1] أ.د. شَنَر دِلَك ''جامعة اينونو'': ولد عام ١٩٤٩ في قضاء ''حنص'' التابعة لمحافظة ''ارضروم''. وفي عام ١٩٧١ تخرج من كلية ادارة الاعمال في جامعة اتاتورك. في اعوام ''١٩٧٠ - ١٩٧٢'' خدم مدرسا في ثانوية التجارة في ارضروم. وفي عام ١٩٧٦ أنهى رسالته في الدكتوراه. في ١٩٨٣ أصبح استاذا مساعدا وفي عام ١٩٨٩ رقى إلى رتبة استاذ ''بروفسور''. يعمل حالياً أستاذا في كلية الادارة والاقتصاد في جامعة اينونو. وهو معروف باطلاعه العميق على رسائل النور وله مؤلفات منشورة في مجال اختصاصه.

[2] صيقل الإسلام/المناظرات - ص: ٣٩٠.

[3] الكلمة التاسعة عشرة - ص: ٢٦٤ .

[4] المكتوب العشرون - ص: ٢٨٩.

[5] الكلمة السابعة عشرة - ص: ٢٣٨.

[6] اللمعة الثانية والعشرون - ص: ٢٥٧.

[7] إشارات الإعجاز - ص: ١٧٠.

[8] المكتوبات ص: ٤١٠.

[9] الكلمات، الكلمة الخامسة والعشرون - ص: ٤١٩.

[10] اللوامع - ص: ٨٤٩.

[11] المكتوب السادس عشر - ص: ٨٩.

[12] الملاحق - ملحق قسطموني، ص: ٢٠٣.

[13] الملاحق - ملحق قسطموني، ص: ٢٢٥.

[14] اللمعة الثانية والعشرون - ص: ٢٦١.

[15] سيرة ذاتية - ص: ٤٥٦.

[16] اللمعة الحادية والعشرون - ص: ٢٤٠.

[17] المكتوب الثاني والعشرون - ص: ٣٤١.

[18] سيرة ذاتية – ص: ٤٥٧.
[19] الملاحق – ملحق قسطموني، ص: ١٥١.
[20] سيرة ذاتية – ص: ٣٣١.
[21] صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: ٥٠٥.
[22] صيقل الإسلام/المناظرات – ص: ٣٨٨.
[23] صيقل الإسلام/السانحات – ص: ٣٦٠.
[24] المكتوبات ص:٤٦٩.
[25] المكتوبات ص ٤٧٣.
[26] صيقل الإسلام/السانحات – ص: ٣٤٨.
[27] المكتوبات ص ٤١٠.
[28] سيرة ذاتية – ص: ٤٤٣.
[29] الملاحق – ملحق قسطموني، ص: ١٠٥.
[30] صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: ٤٨٣.
[31] سيرة ذاتية – ص: ٤٧٠.
[32] الملاحق – ملحق أميرداغ/١، ص: ٢٣١-٢٣٢.
[33] اللوامع – ص: ٨٥٤.
[34] المكتوب الثالث عشر – ص: ٦٠.
[35] انظر المسألة الرابعة من رسالة الثمرة وهي الشعاع الحادي عشر.
[36] الملاحق – ملحق أميرداغ/١، ص: ٢٥٩.
[37] المكتوب الثالث عشر – ص: ٦١.
[38] الملاحق – ملحق قسطموني، ص: ١٥٢.
[39] صيقل الإسلام/السانحات – ص: ٣٦١.
[40] الملاحق – ملحق قسطموني، ص: ١٥٢.
[41] الملاحق – ملحق قسطموني، ص: ١٣٥.
[42] الكلمة الثالثة والعشرون – ص: ٣٥٢ .
[43] الملاحق – ملحق أميرداغ/١، ص: ٢٦٣.

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

حوار مع الأستاذ فاروق رسول يحيى

١ - نستهل الحوار بالتعرف على الأستاذ فاروق. فمن هو الأستاذ فاروق؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد... فإن اسمي الثلاثي: ''فاروق رسول يحيى''.

ولدت لأبوين مسلمَين، كُرديين، شافعيين مذهباً، في رقعة ممزَّقة من بلاد الله الواسعة اسمها كُردستان، إقليم فيدرالي ضمن الدولة العراقية الاتحادية.

البيئة التي تربيتُ فيها كانت تتسم بالمسحة الدينية العلمية التقليدية، فنشأت متأثراً بذلك المحيط وتعلمتُ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياتي.

ورغم ما تعرضت له منطقتنا من المآسي والحروب وحملات التشريد والتقتيل في فترة صباي وريعان شبابي فقد منَّ الله علي في ذلك الجو القاتم بإكمال دراستي الثانوية في سنة ١٩٧٦م، ودراستي الجامعية في كلية الشريعة بجامعة بغداد سنة ١٩٨٠م. ولم تتيسر لي بعد ذلك مواصلة الدراسة لأسباب ذاتية وموضوعية لا داعي لذكرها.

ومنذ سنة ١٩٨١م أعمل في حقل التدريس للمرحلة الثانوية في مواد التربية الإسلامية واللغة العربية. وكذلك حاضرت لمدة أربع سنوات في ''معهد كردستان لإعداد الأئمة والخطباء'' في مواد العقيدة والبلاغة والخطابة.

وقد منّ الله عليّ وعلى إخوة آخرين من ذوي الاختصاصات العلمية المتنوعة بإنشاء ''مركز كردستان للإعجاز العلمي في القرآن والسنة'' ما زال يقوم بنشاطاته من يوم ميلاده إلى يومنا هذا وهي مدة تقرب من خمس عشرة سنة. وبعد وفاة رئيس المركز الأستاذ ''نشأة غفور سعيد'' في الموقف بعرفة عصر التاسع من ذي الحجة سنة ١٤٣٦هـ ملبياً، منحني الإخوة الأعضاء ثقتهم واختاروني رئيساً للمركز خلفاً للأستاذ نشأة، رحمه الله.

٢- من هم أهم الشخصيات التي تأثرتم بها في تحصيلكم المعرفي والتربوي؟

ليس من الميسور أن نحصي الشخصيات التي تركت آثارَها على أفكارنا أو على محطات التجدد ومساعي التكمل في حياتنا، لكثرتهم وكونهم من أزمان متلاحقة وأماكن متباعدة. فالأئمة والعلماء والأدباء السابقون الذين استفدنا من علومهم وآدابهم كثيرون، جزاهم الله عنا بأعلى درجات الجنان..

أما المعاصرون وقريبو العهد بزماننا ففيهم مَن لم نتشرف برؤيتهم، ولكن تتلمذنا عليهم من خلال آثارهم، كالأستاذ بديع الزمان النورسي وأبي الحسن الندوي ومصطفى السباعي ومحمد إقبال وغيرهم، رحمهم الله...

ومنهم من تشرفنا برؤيتهم والإستفادة من كتبهم دون التتلمذ عليهم بصورة مباشرة كالشيخ عبدالكريم المدرس مفتي العراق الأسبق، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطى وغيرهما كثيرون، رحمهم الله جميعاً.

ومنهم مَن تتلمذنا عليهم في فترة دراستنا وكان لهم شأن في توجيهنا، منهم العارف بالله الشيخ عارف العلّامي، والعالم العامل الشيخ عثمان عبد العزيز الذي كان مرشداً للحركة الإسلامية في كردستان لعدة سنوات، والأستاذ عبد العزيز البارَزاني الذي ألف كتاباً قيماً في السيرة النبوية باللغة الكردية. وغيرهم، نسأل الله تعالى الرحمة والغفران لهم جميعاً.

وهناك أيضاً عدد من المربين الذين كان لكل منهم إسهام فعال في جانب معين من توجيهنا التربوي، أولهم خالي الشاعر الشيخ أحمد القاضي البنجويني، والعالم الأديب المتأدب في شتى أحواله بالسنة النبوية الشيخ عبدالله مصطفى الكاتب، والأستاذ سليمان محمد أمين القابلي -رحمهم الله جميعاً- وكذلك الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، أمد الله له في عمره بالصحة والعافية.

٣ – كيف تعلمتم اللسانين العربي والتركي؟

كانت دراستي في الإبتدائية باللغة الكردية. وبعد تحولنا إلى الدراسة في المدارس الدينية تحتمت علينا دراسة العلوم الإسلامية باللغة العربية التي قد ترافقها ترجماتها باللغة الكردية. فقد كان هذا هو المسار الأول نحو تعلمنا لغة القرآن الكريم.

وبعد ذلك أسهمتْ مطالعاتُنا الحرة -التي كانت معظمها باللغة العربية- في شتى نواحي المعرفة الإنسانية، إسهاماً حيوياً في تقدمنا خطوات جادة في طريق تعلُّم هذه اللغة.

أما قيامي بتدريس مواد اللغة العربية من صرف ونحو وبلاغة وأدب، في السنوات الطويلة التي أعقبت تخرجي من الجامعة إلى الوقت الحاضر، فقد كان بمثابة عمليات صقل وتهذيب لنطقي وتعابيري باللغة العربية وتوظيف لما تعلمته سابقاً من هذه اللغة العريقة.

وبعد اللغة العربية تأتي معرفتي باللغة الفارسية بالدرجة الثانية. إذ كما تأثرتْ ثقافاتنا ومعارفنا في وجههما الديني باللغة العربية، كذلك تأثرتْ من الوجهة الأدبية بآداب اللغة الفارسية التي هي واللغة الكردية من سلالة اللغات الهندوأوربية، فبينهما قواسم مشتركة لغوية وأدبية.

أما صلتي باللغة التركية فلا ترقى إلى أن أصفها بأني أعرفها معرفتي باللغتين السابقتين. ومع ذلك أستفيد من هذا القدر من الصلة بها استفادة جيدة في ترجماتي لرسائل النور من العربية إلى الكردية مستعيناً بالأصل التركي.

٤ - متى كانت بداية رحلتكم في ميادين الترجمة؟

رحلتي في طريق الترجمة بدأت حينما كنت شاباً يافعاً في أولى سنة لي في مرحلة الدراسة الإعدادية، فقد أقدمت آنذاك خُفية على ترجمة رسائل صغيرة الحجم، منها رسالة لأبي الحسن الندوي -رحمه الله- كان عنوانها ''ردة ولا أبا بكر لها''! فكنت أستحيي استحياء الفتاة في خدرها أن أشهرها بين الملأ وأحس بالخجل فيما لو اطلع عليها الناس! لذا كنت أراجعها لنفسي بين حين وآخر، وأعمل فيها قلمي تصحيحاً وتقويماً، دون أدرك إلا فيما بعد أن ذلك العمل كان سَوقاً قدرياً وإعداداً لي من الله سبحانه يهيؤني به لترجمة رسائل النور في قابل الأيام!

٥ - متى كانت صلتكم برسائل النور؟ وكيف كانت؟

أُولى صِلاتي برسائل النور تعود إلى سنة ١٩٧٢م حيث رأيت اسم الأستاذ بديع الزمان لأول مرة مع الاستشهاد بأحد أقواله أثناء مطالعاتي، فاستفسرت عنه من الذين كنت آنس فيهم الاطلاع أكثر مني، فحصلت منهم على جواب مقتضب أثار لدي المزيد من البحث عنه وعن مؤلفاته. وبعد ذلك بسنة واحدة حصلت على سيرة مختصرة للأستاذ بديع الزمان بقلم الأستاذ البوطي رحمه الله، وعلى تراجم مختصرة من قبله ومن قبل الأستاذ عبد المجيد النورسي لبعض الرسائل. ولكن الصلة الحقيقية مع هذه الرسائل بدأت في سنة ١٩٧٩م عندما شرع الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بنشر بعض مترجماته من رسائل النور على صفحات مجلة ''التربية الإسلامية''

البغدادية في أعداد متتالية، فاتصلتُ به من ذلك الحين، وعن طريقه توطدت علاقاتنا برسائل النور.

٦ – ما أهم ما بعثكم على العناية بترجمة رسائل النور؟

بعد أن استقر أمر الترجمة إلى العربية من قبل الأستاذ إحسان الصالحي، أصبحنا نفكر في أن نجد مترجماً إلى اللغة الكردية، لأن هذه اللغة هي ثانية أكبر لغة في العراق وتدرس بها المواد المدرسية في إقليم كردستان في جميع المراحل الدراسية لما قبل الجامعة. فالطالب الشاب عندنا تأتي معرفته باللغة العربية بالدرجة الثانية بعد اللغة الكردية، ونادرا ما يكون إلمامه بالعربية جيداً. فكان لابد من ترجمةٍ للرسائل بهذه اللغة كي تصل إلى القارئ الكردي.

وقد بحثنا كثيراً عن مترجم هادف جاد يعطي غير قليل من وقته لهذه المهمة الإيمانية.

وبعد أن يئسنا من الذين كنا نأمل منهم القيام بهذه الخدمة. بدأتُ من جانبي بترجمة بعض المقالات والرسائل فعرضناها على بعض الخبراء والعارفين باللغتين، فجاءت ردود أفعالهم بالاستحسان والتشجيع على المضي..

وقد آزرني الأستاذ إحسان قاسم الصالحي وأصدقاؤه في عملي، فتابعت السير في هذا الطريق إلى يومنا هذا. والحمد لله أولاً وآخراً.

وبالنسبة لي شخصياً، وبعد أن استوثقتُ من قدرتي على الترجمة -بفضل الله تعالى- وشهد لي بالتوفيق فيها عدد من المعنيين بالكتابة والأدب. أحببت أن أعطي عمري لهذه الخدمة الإيمانية، أبتغي بها الخير أولاً لنفسي بالذات، حيث أكون أوّلَ مَن يستفيدُ من هذه المترجمات في الجانبين الإيماني والتربوي، عسى أن ينقضي عمري في عمل خالص يقربني إلى الله عز وجل. وثانياً: خدمة في إنقاذ إيمان قومي الذين أحاطت بهم الضلالة إحاطة السوار بالمعصم. وكذلك أعيد إليهم بعملي هذا علّامتهم بديعَ الزمان بلُغَته بعد أن طالته حملات النفي عن وطنه وشعبه. ومَن يدري فلعله كان يكتب بعضاً من هذه الرسائل بهذه اللغة لقومه لو لم تحلْ بينه وبينهم الأحداث التي أبعدته عنهم.

٧- هل طالعتم ترجمات سابقة لرسائل النور؟ وماذا تستدركون عليها؟

أُولى المترجمات التي اطلعت عليها باللغة العربية كانت للأستاذ عبد المجيد النورسى والأستاذ البوطي، رحمهما الله. ورأيي فيها أنه لم يكن المقصود من نشرها

على أنها ترجمة كاملة لأي من تلك الرسائل بقدر ما كان الغرض من نشرها تعريفاً بالرسائل وإلقاءً للضوء عليها. لذا جاءت ترجماتهما مختصرة جداً.

وبعد ذلك اطلعنا على بعض الرسائل المترجمة من قبل الأستاذين عاصم الحسيني وخليل المارديني. فكانت ترجماتهما جيدة ووافية بالمضمون. ولكن توقفت ترجماتهما في حدود بعض الرسائل دون الاستمرار في ترجمة كاملة لكليات رسائل النور ونشرها.

٨- لاشك أن الترجمة استغرقت وقتاً غير قصير، كم دامت الرحلة؟ صفها للقراء.

دامت الرحلة من بداية الثمانينات في القرن المنصرم إلى وقتنا هذا، أي لمدة خمس وثلاثين سنة. وأنا طوال هذه المدة أتحين الفرص وأوفّر الأوقات وأنسحب من الأضواء والضوضاء وأركن إلى الهدوء الحسي والنفسي ما استطعت إلى ذلك سبيلا لأواصل الترجمة ليلاً أو نهاراً.

وقد تفاوتت أجواء الترجمة وأوقاتها مداً وجزراً، فمن الرسائل ما ترجمناها في أجواء هادئة مريحة، ومنها ما كانت تحت جو من الرعب تقصف مناطقَنا الطائراتُ أو المدافع الثقيلة في سني الحرب العراقية الإيرانية. ومنها ما كانت في أوقات النزوح وترك الديار هرباً من الأعداء الذين لا يرقبون في أحد إلّاً ولا ذمة، ننجو بأنفسنا وعوائلنا من ويلات ومآسي الحروب والصراعات الدامية، فنجد سلواننا وعزاءنا أمام تلك الحوادث في خدمتنا لرسائل النور.

واختلفت كذلك آليات الترجمة بحسب توفر الوسائل المعِينة عليها. ففي بداية الأمر كنت أكتب بنفسي المسوّدات، ثم أراجعها، وبعد ذلك أقوم بتبييضها... ثم يسّر الله لي مَن يعينني في التبييض أولاً بكتابتها يدوياً... ثم هيأ المولى عزوجل أجهزة الحاسوب لنا، فأمدني بمن كان ينضّد المترجمات على هذه الأجهزة، بل بمَن أُملي عليه الترجمة فيواصل كتابتها مباشرة ببرامج الحاسوب.

فكما استقبل عملَنا المحبون المخلصون بالترحيب والثناء والتشجيع على الاستمرار في هذه الخدمة المباركة، واجهتنا كذلك المنغصات وبعض العوائق المنبثقة من أحاسيس نفسانية، تأثّرنا بها –كإنسان- إلى حين، ثم تركنا أمرها إلى الله تعالى، يفعل فيها ما يشاء بما يشاء.

٩ – هل كانت الترجمة معاناة ومكابدة أم متعة أم هي مزيج من المشاعر المتباينة في الوقت نفسه؟

لا أبتعد عن الحقيقة لو قلت أن جميعَ هذه الأوصاف تصدُق على ترجماتنا التي وفقنا الله سبحانه إليها واستمرت طوال هذه المدة المديدة من السنين رسالة فرسالة وموضوعاً فموضوعاً. إذ ليست حالات المرء كلها متماثلة ولا استعداداته الروحية والقلبية متساوية، ولا فهم كل مبحث من الرسائل على مستوى واحد من الصعوبة والوضوح، ولا أي موضوع تعالجه الرسائل مماثلاً لسائر المواضيع الأخرى في العرض والبيان.

١٠ – هناك عوامل مساعدة على ترجمة نص مثل رسائل النور، ما هي؟

لاشك أن رسائل النور التي أنافت على المئة تبحث في عدد من المواضيع المختلفة التي ترجع في أصولها العلمية إلى شتى المعارف ذات الأصول والقواعد التي استقرت بمرور الزمن في عدد من العلوم.

فمن العوامل المساعدة والهامة التي تعين مترجم رسائل النور في عمله وجود خلفية معرفية في العلوم ذات الصلة بالمباحث المطروقة في رسائل النور. ومن الممكن لهذا المترجم شحذ معرفته هذه بالرجوع إلى مظانها في كتب كل علم ذي علاقة، إن تطلّب الأمر ذلك.

وربما تعود معاناة كثير من مترجمي رسائل النور إلى شتى اللغات، تلك المعاناة التي يذكرونها في الندوات التي تُعقد للمترجمين، إلى عدم وجود هذه الخلفية المعرفية لدى بعضهم.

ومن العوامل المساعدة أيضاً إلمام المترجِم بل اطلاعه الجيد على اللغتين المترجم منها وإليها لغةً وأدباً وبلاغة، كي يقتدر أولاً على فهم المحتوى العالي والصياغة الراقية لمفاهيم الرسائل، وبعد ذلك نقلها إلى اللغة الأخرى بأسلوب محكم رصين يليق برسائل النور.

ومن العوامل المساعدة (لنا خاصة في الترجمة الكردية) معرفة طريقة تصور المفاهيم لدى مؤلف رسائل النور. وهي التي يذكرها الأستاذ النورسي في إحدى رسائله القديمة من أن: ''لغة الأم، لكونها فطرية، تنساب معانيها إلى الذهن دون استدعاء''. وهو لأجل ذلك قال: ''إنني أتصور كردياً ثم أتكلم عربياً أو تركياً''. فطريقة تصور المفاهيم للأستاذ النورسي في كثير من رسائله ليست غريبة عنا كغربتها لدى بعض مترجمي اللغات الأخرى، بل لدى العديد من قراء رسائل النور.

١١ – ما أهم ما شد انتباهكم في رسائل النور من حيث المنهج؟

الكتب التي قرأناها من غير ''رسائل النور'' كانت تخاطب جانباً أحادياً من الإنسان. ولكننا وجدنا الرسائل تتعامل مع الإنسان ككل متكامل يأبى على التجزيء، فهو كيان موحد لكنه ذو لطائف عديدة من عقل وقلب وروح وغيرها... فلا تستأثر هذه الرسائل بجانب واحد من هذا الكيان لتوجه إليه خطابها دون الجوانب الأخرى. وقد سارت رسائل النور في منهجها هذا على ضوء منهج القرآن الكريم في نظرته للإنسان.

١٢- استوقفكم موضوع الرسائل، فما أهم ما يشد الإنتباه فيها؟

الجوانب التي تجلب انتباه القارئ إلى رسائل النور كثيرة لا مجال هنا لسردها. لكن أود أن أشير إلى واحدة منها وهي أننا ألفينا العديد من الكتب الدينية تبحث عن قضايا لا شك في كونها إسلامية نابعة من علم وإخلاص، ولكن الملاحظَ على أكثرها أن الوقت الحقيقي لم يحن بعد لتنزيلها على أرض الواقع. فهناك كتب قرأناها منذ ما يربو على ثلاثة عقود وأخذنا منها زاداً معرفياً واسعاً وأُعجبنا بما حوتها أيما إعجاب، ولا تزال تحتل مكانتها الجديرة بها في مشاعرنا، ولكن بعد مضي هذا الوقت المديد لم تتهيأ لها بعد الأرضية المناسبة لتطبيقها في الحياة العملية. أو تتأبى على التطبيق لكونها أموراً نظرية مقطوعة الصلة بالواقع بكل أبعاده. وأغلب الظن أننا سنترك هذه الدار دون أن تكتحل عيوننا برؤية كثير منها وهي تأخذ طريقها إلى التطبيق العملي.

أما الرسائل النورانية التي أذاب فيها النورسي قلبه، واعتصر بين أسطرها روحه، وأنابَ كل كلمة فيها عما كان يختلج في نفسه، بل إنك لتلقى شخصه وروحه في ثنايا كلماته وحروفه... فهي التي تقف بك قُبالةَ القضايا الإيمانية الملحّة التي تواجهها يوماً فيوماً، بل ساعة فساعة. فلا يضيع أي وقت من العمر سدى في التعامل الجاد معها والاقتباس من أنوارها. بل إن مطالعتها تجعل الإنسان يعيش في تفاعل مستمر مثمر مع أركان الإيمان التي كانت قبل تعامله مع هذه الرسائل قضايا نظرية باردة غدتْ شاحبة لديه، إن لم تكن شبه معطلة.

١٣- ما الزوايا التي تنصحون القراء بالتركيز عليها معرفياً؟

الأصنام الجديدة القديمة التي تزينها للناس شياطين الإنس والجن اليوم لا تعدو أن تكون منصوبة في الآفاق أو الأنفس...

فالشخص الذي ابتلي بأصنام الطبيعة والصدفة والأسباب المادية ويُرجع إليها أمر

الإيجاد والتصرف في الكون، بل في كل صغيرة وكبيرة، لابد له أن يركّز في دراسته للرسائل على المواضيع التي تحطم هذه الأصنام ببراهينها الدامغة.

والذي استولى عليه حب الذات ونصب لنفسه من نفسه الأمارة صنماً هام فيه لا يعصي له أمراً، تعالج داءَه المباحثُ الخاصة بتعريف الإنسان بربه وبنفسه وبوظيفته في الحياة.

وبعد أن تم له تحطيم هذه الأصنام تنفتح أمامه الأبواب على عوالم شاسعةٍ جداً في رياض رسائل النور الرحيبة يختار السياحة في أي منها كما يشاء.

١٤- امتازت الرسائل بمناح معنوية قوية، فما هي المباحث التي توجهون القراء إلى العناية بها؟

ما من موضوع في الرسائل يعتبر زائداً عن الحاجة أو لا يحتاج المرء إلى العناية به، إن أراد لنفسه تزكيتها والسير بها إلى مراقي التكامل الإيماني والمعرفي.

وأهم الزوايا فيها -في نظري- هي تلك المواضيع التي ترشد المسلم إلى كيفية التمسك بالسنة النبوية -على صاحبها الصلاة والسلام- والعيش الحضوري مع الخالق جل جلاله، والتعامل مع مخلوقاته، في خط سير مستقيم وفق القواعد والدساتير القرآنية التي تكفلت ببيانها رسائل النور.

١٥- كيف استقبل العارفون باللسان الكردي ترجمة رسائل النور؟

لاقت ترجماتنا -بفضل الله وتوفيقه- في بلادنا استقبالاً حسناً من لدن قرائها...

فمن حيث الترجمة، اعتبرها البعض ترجمة جديرة بأن ينسج على منوالها المترجمون...

ومن حيث كونها "رسائلَ النور" للأستاذ النورسي -رحمه الله- فقد حظيت بإقبال رائع على اقتنائها وقراءتها والتحلق حول دروسها سواء في الأُسر أو البيوت أو في بعض المراكز الثقافية الدينية التي بدأت تهتم بهذه الرسائل ضمن أنشطتها ودروسها.

وقد توالت طبعاتها في مدد زمنية متقاربة إذا ما قسناها بإقبال الناس على غيرها من الكتب.

ولا عجب -بعد ذلك- أن يلاحظ المرء آثار هذه الرسائل على دارسيها في التغيرات التي تطرأ على سلوكهم ووجهتهم في الحياة بعد مداومتهم على قراءتها وحضورهم دروسها.

١٦- بماذا تنصح القارئ العادي من حيث أخذه عدة معرفية لاستيعاب مضامين ومناهج رسائل النور؟

أرى أن يتركوا أبواب القلوب مشرَعة والمنافذ المطلة على أرواحهم وسائر لطائفهم مفتوحة... وأن يجتنبوا الأحكام المسبَقةَ الجاهزة التي قد تأتي ممن لم يعرفوا بعدُ رسائل النور حق معرفتها... وأن لا يستعجلوا في قراءة وفهم جميع الرسائل، ولا ينقطعوا عنها، بل يواصلوا قراءتها شيئاً فشيئاً كي تنفتح لهم أبواب فهمها واحدة بعد أخرى...

فلم يشترط المؤلف -حسب علمي- على القارئ شيئاً ذا بال خارج هذه الوصايا لهم.

١٧- هل من مشاريع ترجمة جديدة؟

تم بفضل الله تعالى وتوفيقه إلى الآن ترجمة (كليات رسائل النور) إلى اللغة الكردية وطبعها ونشرها بين الناطقين بها في كل من العراق وإيران. عدا كتاب ''المثنوي النوري'' الذي هو الآن قيد الترجمة. وقد أنهينا ترجمة ما يقرب من نصفه، نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى إتمام ترجمته ونشره.

١٨- بم تنصحون القائمين على مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية وهي في السنة السادسة؟

لا أجد نفسي أهلاً لتوجيه النصح إلى الأساتذة الكرام والإخوة القائمين على هذه المجلة المتينة في إخراجها والرصينة في بحوثها والغنية في محتوياتها العلمية، إلا أن يكون امتثالاً لأمر ''الدين النصيحة''، فأبديها أُمنيّة، وهي أن أرى هذه المجلة فصلية تكون حصيلة سنتها أربعة أعداد، إن كان ذلك في الإمكان.

وختاماً وبدءاً أقدم شكري وعرفاني لكم على هذه الالتفاتة الكريمة من جانبكم، حيث منحتمونا هذه العناية الكبيرة والفرصة الطيبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

الإصدارات

قراءة في كتاب

عنوان الكتاب: منهج الاستنباط من القران الكريم عند سعيد النورسي في رسائل النور

المصنف: حيدر خليل اسماعيل

مؤسسة النشر: مؤسسة الرسالة ناشرون

سنة النشر: الطبعة الأولى (١٤٣٦هـ -٢٠١٥ م)

حجم المصنف: ٤٩٦ صفحة

التعريف بالكتاب: يستهل البحث بتأكيد الباحث على أن الأستاذ النورسي تتلمذ على القرآن متخذاً إيّاه أستاذاً ومعلماً لا يحيد عنه، فأوقف عمره لنصرته جملة وتفصيلا، جاعلا منه نقطة الاستناد ومنبع الاستمداد؛ فاستلهم منه مناجيا ومتدبرا ومستنطقا، لأنّه نظام محكم وظيفي، أجزاؤه تمثل وحدة متكاملة تؤدي رسالة كاملة ولا يكون ذلك إلا عن طريق استخراج الأسرار القرآنية وإيضاح المعاني الإيمانية من نصوص آيات كتاب الله المبين، قال النورسي: (إنّ وظيفتنا في الوقت الحاضر هي استخراج الأسرار القرآنية واستنباطها، لا نقل المسائل الموجودة في بطون الكتب)، وعلى هذا الأساس فسّر آيات كتاب الله تعالى ووضّح معانيها وأبرز حقائقها الإيمانية في ''رسائل النور''.

بناء على هذه المعطيات تمّ اختيار الموضوع تلخصت أسبابه في جانبين الأول يتعلق بعلم الاستنباط، والثاني يتعلق برسائل النور.

١-علم الاستنباط: يتعيّن الحثّ على تحصيل علم الاستنباط ونشره وإيضاح معالمه، لأنّه وسيلة خدمة القرآن الكريم وميسّر تدبر آياته التي تثوي فيها الأسرار والمعاني والأحكام .وفرض هذا المسعى التمييز بين المصطلحات المشابهة، رفعا للتداخل الحاصل بينها، فبسطنا القول في الاستنباط والتفسير والتأويل والاستدلال، وجعلنا هذا البحث مدخلا لتحديد ملامح منهج اقترحه الباحث في دراسة استنباطات المفسرين تيسيرا للباحثين الذين يرومون الكتابة في الموضوع نفسه.

٢- رسائل النور: يوضّح البحث أنّ رسائل النور استلت من مصادر التشريع الأساسية (الكتاب والسنة والإجماع)، وتلخّص دورها في كشف أسرار القرآن الكريم وحقائقه الإيمانية عن طريق الاستنباط، المؤسس لمنهج تربوي وسلوكي وحضاري، ومنظومة معرفية كلية تهدف إلى النهوض بالواقع البشري والكوني على أساس السلام والعدالة والتسامح والخير.

قسّم الباحث كتابه إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تضمّن الفصل الأول عرض حياة بديع الزمان سعيد النورسي ودراسة مختصرة في مؤلفه (رسائل النور)، وتفرّع عنه مبحثان، خصص الأول لحياة النورسي (١٨٧٧م-١٩٦٠م) مسلطاً الضوء على أبرز محطاتها، وحوى الثاني تعريفا عاما بمؤلفات الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، عرضنا فيه محتوياتها وتسميتها ومصادرها ومقاصدها وأسلوبها.

أما الفصل الثاني فوسمه الباحث بمفهوم الاستنباط من القرآن الكريم وعلاقته بالتفسير والتأويل والاستدلال. أبرز فيه حدودها مستهلا لها بالاستنباط؛ الذي يمثّل أساس المصنّف، وعرّج بعدها على التمييز بين المصطلح المحوري في البحث والمصطلحات الثلاثة المشار إليها، وعلى أساس ما مر تمخض من الفصل ثلاثة مباحث تحتها مطالبها .المبحث الأول: مفهوم الاستنباط لغة واصطلاحاً. المبحث الثاني: مفهوم التفسير والتأويل والاستدلال لغة واصطلاحاً .المبحث الثالث: الفرق بين الاستنباط والتفسير والتأويل والاستدلال.

أورد في الفصل الثالث شروط الاستنباط وطرقه في رسائل النور، لأجل بيان منهج النورسي في الاستنباط من القرآن الكريم على وفق ما قرر في ضوء الشروط الواجب توفرها في المستنبط وفي المعنى المستنبط .وسلك في هذا الفصل طريق الدراسة الجامعة بين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، فذكر الشروط الواجب توفرها في المستنبط والمعنى المستنبط، وتوصيف النورسي واستنباطاته بالشروط المعتبرة مع ذكر أمثلة تبين صحة توفر الشروط بالاعتبارين المذكورين مع دراسة تحليلية للأمثلة، وراعى المصنف في ذكر الأمثلة طريقة انتقائية بعد الدراسة الاستقرائية المسبقة لتحديد ما يلزمه ويتطلبه البحث، فعرض الفصل الثالث في مبحثين، خصص الأول لتحقيق القول في شروط الاستنباط من القرآن الكريم في رسائل النور، أما الثاني فأفرده لطرق الاستنباط في رسائل النور .خصص الفصل الرابع والأخير لبيان أقسام الاستنباط من القرآن الكريم في رسائل النور، وتفرعت إلى أنواع كثيرة من اعتبارين اثنين، جاء الأول باعتبار المعنى المستنبط وله قسمان، القسم الأول منهما ينظر إلى الموضوع أو العلم

الذي جاء الاستنباط على أساسه، والقسم الثاني ينظر إلى المعنى الكلي والمعنى الجزئي .وأما الثاني فكان مقسماً على أساس النص القرآني على قسمين، جاء الأول منهما بالنظر إلى الظهور والخفاء في النص القرآني .والثاني بالنظر إلى الإفراد والتركيب في النص القرآني .وقد نهج في هذا الفصل ما سلكه في الفصل الثالث، فجمع بين المنهجين الوصفي والتحليلي ومعتمداً على الاستقراء المسبق وفرز كل قسم على حدة مع ذكر الأمثلة التطبيقية من رسائل النور بما يتناسب تماماً مع الموضوع الممثل له، مما يسترعي التدقيق والقراءة المتفحصة لكل ما ورد في رسائل النور من استنباطات لا يذكر النورسي نوعها ولا قسمها ولا موضوعها، إذ يكتفي بذكر ما تجود به قريحته في هذه الآية أو تلك، وبناء عليه قسّم الفصل الرابع إلى مبحثين، اشتمل الأول بيان أقسام الاستنباط باعتبار المعنى المستنبط في رسائل النور، وحوى الثاني أقسام الاستنباط باعتبار النص القرآني في رسائل النور.

أتحفنا المؤلّف بخاتمة مصنفه والنتائج التي خلص إليها، مشيرا فيها إلى التفاصيل ما انتهى إليها من نتائج تؤكّد على أهمية الاستنباط وضرورة التركيز على شروطه وآلياته، وقد كانت رسائل النور أنموذجا تطبيقيا ثرا في التدريب على التدبّر والاستنباط كما جلاه هذا المصنف الذي هو في الأصل أطروحة تقدّم بها لقسم علوم القرآن بكلية الآداب بالجامعة العراقية، وقد نوقشت من قبل ثلّة من العلماء يوم الأحد ٢٠١٢/٦/٣.

* * *

المؤتمرات والحلقات الدراسية

١- ملتقيات ماليزيا وإندونيسيا

أقامت جامعة السلطان زين العابدين Unisz في ترنكانو بماليزيا بالتعاون مع مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم مؤتمرا في يومي الأحد والاثنين ٦-٢٠١٥/٩/٧ تحت عنوان: ''إحياء الحضارة الإسلامية؛ مقاربة رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي'' اشترك فيه ١٠٣ من الأساتذة والأكاديميين وممن قدموا بحوثا للدراسات العليا في رسائل النور الذين جاؤوا من دول ومناطق متعددة هي: تركيا، ماليزيا، إندونيسيا، تايلاند، كشمير (الهند)... ومن العديد من الجامعات في ماليزيا مثل UKM، USIM، IIUM، UPM. وجرى إلقاء العروض في أربع قاعات متوازية. وافتتح المؤتمر رئيس الجامعة البروفسور داتو يحيى إبراهيم، وحضره جم غفير من الطلبة والأساتذة.

وبعد انتهاء المؤتمر بدأت المناقشات في جلسات خاصة مع الأكاديميين الشباب ممن قدموا بحوثهم للدراسات العليا عن رسائل النور.

وفي اليوم التالي الثلاثاء ٨/أيلول أقامت جامعة العلوم الإسلامية الماليزية USIM ندوة لنصف يوم موضوعها الأساس: مزج العلوم الإسلامية والعلوم الصرف وهو ما دعا إليه الأستاذ النورسي وسعى إلى إنشاء مدرسة الزهراء التي تحقق هذا الأساس. وكانت المناقشات والأسئلة الموجهة إلى الأساتذة جادة، حتى اشترك هاتفيا رئيس جامعة تركستان البروفسور داتو موسى أحمد في المناقشات، وأعرب عن رغبته في تنفيذ مشاريع مشتركة في المستقبل. وعقب ذلك عقدت الأستاذة الدكتورة روزالين عبد السلام المسؤولة عن مشروع دمج العلوم الاسلامية والعلوم الصرف، جلسة علمية خاصة للمداولة الفكرية في كيفية التعاون في هذا المجال بين الجامعة ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم؛ وتم وضع الخطوط العامة لتحقيق ذلك الهدف.

وبعد ذلك قام وفد المؤسسة بزيارة جامعة بوترا الماليزية UPM واجتمع مع الأساتذة والأكاديميين ممن أعدوا رسالة الدكتوراه عن الأستاذ النورسي ورسائل النور.

وفي يوم ١٠/أيلول توجه وفد المؤسسة إلى جاكارتا، عاصمة إندونيسيا. وقضى سهرة ليلية ممتعة مع مجموعة كبيرة من الطلاب والأساتذة في جلسة إيمانية وعلمية

بقراءة رسائل النور والإجابة عن أسئلة الحاضرين الموجهة بالإندونيسية والعربية والإنكليزية.

وفي الصباح الباكر من يوم الجمعة ١١/ أيلول توجه قسم من الوفد إلى ''جامعة الشريف هداية الله''، وقسم إلى ''جامعة بانكاسيلا''. وانتهت الندوتان بصلاة الجمعة، وبعدها توجه الوفد إلى ''جامعة بارا مدينة'' للمشاركة في ندوة موضوعا ''الحركة الإيجابية والجهاد المعنوي'' والتي دامت ثلاث ساعات.

ثم توجه الوفد ليلا إلى ''مؤسسة مدارس النجاح'' التعليمية العريقة إذ تأسست قبل أكثر من خمسين سنة لخدمة العلوم العربية والإسلامية، ولها فروع في كثير من أنحاء إندونيسيا. وعدد طلابها يربو على المليون، وهم منتشرون في مؤسسات الدولة والمؤسسات الخاصة. وعقدت بعد ذلك جلسة خاصة بالأساتذة للتعريف برسائل النور ونشاطات مؤسسة إسطنبول.

وفي يوم السبت ١٢/ايلول عقدت ندوة واسعة دامت يوما كاملا اشترك فيها الأساتذة والطلاب والطالبات وألقيت بحوث حول رسائل النور وضرورتها للناس كافة ولاسيما المسلمون. وتمت دراسة مجالات التعاون بين المؤسستين وكيفية تفعيله.

٢- ملتقيات أمريكا الجنوبية

في البرازيل:

انطلق الوفد المؤلف من الأساتذة يونس جنكل وألب أسلان آجق كنج وإبراهيم أوزدمير والسيد نبيل الباز وإحسان قاسم وخاقان كولرجه، إلى البرازيل يوم ٢٠١٥/١١/٩. وفي صباح اليوم التالي التقى أعضاء مؤسسة اتحاد المؤسسات الإسلامية في البرازيل وهم علي حسين الزغبي والشيخ خالد تقي الدين والشيخ الصادق العثماني. وبعد التجوال في شعب المؤسسة عقدت جلسة مطولة استغرقت أربع ساعات للتفاهم على نقاط أساسية في التعاون بين المؤسستين وفي التعريف برسائل النور في أمريكا اللاتينية عموما، وانتهت الجلسة بتبادل الهدايا. فقدم وفد مؤسسة إسطنبول إلى المؤسسة البرازيلية مجموعة كاملة من كليات رسائل النور المترجمة إلى العربية. وفي العصر تم لقاء مع رئيس وأعضاء مركز الدعوة الإسلامية لأمريكا اللاتينية وطرح الموضوع نفسه.

وفي يومي الأربعاء والخميس ٤-٢٠١٥/١١/٥ فتحت أكبر جامعة في البرازيل Sao

Paulo أبوابها لرسائل النور في مدينة Riberio Preto، بندوة علمية تحت عنوان ''الإيمان والفكر الاجتماعي بما يليق بالكرامة الإنسانية: بمنظور رسائل النور'' وشارك في المؤتمر أساتذة من تركيا، والمملكة العربية السعودية ومن البرازيل، وكولومبيا. وقدمت كلمة الافتتاح البروفسورة سونيا باسيان رئيسة قسم الدراسات العليا بالجامعة. دامت الندوة يومين، ونقلت فيها العروض بالقناة التلفزيونية الخاصة للجامعة TV USP إلى العالم باللغات الثلاث البرتغالية والإنكليزية والعربية.

وفي يوم ٦/أيول انتقل الوفد إلى مدينة ريودي جانيرو للقاء أعضاء من مؤسسة فكرية مرموقة في البرازيل هي ISER وهم نخبة ممتازة من أساتذة جامعات البرازيل. وموضوع بحثهم لهذه السنة: التغير المناخي والبيئة. وكانت الجلسة خاصة ومحددة الاشتراك، ومع هذا ضمت ٢٠ شخصا من الأكاديميين البرازيليين المرموقين. فألقيت خمسة عروض. منها عرض البروفسور أجق كنج ثم البروفسور إبراهيم أوزدمير باللغة الانكليزية وترجمت فورا إلى البرتغالية، واستغرق كل عرض ساعة.

في الأرجنتين:

وفي يوم السبت ١١/٧ انتقل الوفد إلى الأرجنتين واجتمع مع عدد من مسؤولي المراكز الإسلامية والأكاديميين. وبخاصة مع الأستاذ كولومبو الذي ترجم صحيح البخاري إلى اللغة الإسبانية، وكذلك مع الأستاذ غوستاف وهو أستاذ علم النفس جامعة Tres de Febrero المعروفة في بوينس أيرس. وقد تركزت هذه اللقاءات على النقاط الآتية:

١- من هو سعيد النورسي؟ وما أهمية رسائل النور؟ وكيف يمكن إيصال هذا الفكر إلى الأرجنتين؟ فباتت إذن ترجمة حياة الأستاذ النورسي ضرورية.

٢- لابد من إقامة مؤتمر في الأرجنتين ولو بشكل مصغر كبداية.

٣- لابد أن يشارك اثنان أو ثلاثة من الأساتذة للمؤتمر العالمي الذي سيعقد في إسطنبول في ٢٠١٦. وأضاف الأستاذ كولومبو علينا أن ننظم للمشاركين في المؤتمر هنا لقاءات في التلفزيون كي يعم الفكر إلى الناس كافة.

٣- ندوة رسائل النور في أربيل

انعقدت في قاعة ''ئالتون'' بمدينة أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق، وشارك في تأطيره أكاديميون من تركيا، وبحضور وزراء سابقين وأساتذة جامعيين وكتاب وباحثين وجمّ غفير من الشباب وسائر طبقات الشعب، وقد عرّفت النشاطات ندوة أولى نظمتها

''بيامي باك'' للعلم والثقافة بعنوان ''نور النبوة في رسائل النور'' لمدة يوم واحد بتاريخ ١/ربيع الأول/١٤٣٧هجرية الموافق ليوم ٢٠١٥/١٢/١٢ ميلادية.

استهلت الجلسة الافتتاحية بتلاوة خاشعة لكتاب الله تلاها المقرئ ''رفعت ابلاي'' أستاذ جامعي من مدينة دياربكر التركية. بعدها ألقى الدكتور لقمان عثمان البحركي كلمة ترحيبية باسم المنظمة، وانتظمت فيها جملة من الكلمات وفق البرنامج الآتي:

- كلمة الدكتور عبد الله سعيد الكرتكي رئيس اتحاد علماء الدين الإسلامي في كردستان ألقاها باسم الاتحاد أشاد فيها بالندوة وبأهمية إبراز دور العلماء الكرد في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى المجالات الدينية والمعرفية والاجتماعية.

- كلمة تهنئة واعتذار للأستاذ إحسان قاسم الصالحي مترجم كليات رسائل النور إلى العربية ألقاها نيابة عنه الدكتور عمر السيمرداني.

- كلمة الأستاذ فاروق رسول يحيى مترجم كليات رسائل النور إلى اللغة الكردية، أشار فيها إلى تجليات انعكاس الالتزام بالسنة النبوية على حياة الأستاذ النورسي ورسائله.

تلت جلسة الافتتاح ثلاث جلسات علمية قُدمت فيها ستة بحوث، تخللتها مناقشات وردود وتعليقات السادة الحضور، وقد رتبت على النحو الآتي:

الجلسة الأولى كانت برئاسة الدكتور أميد نجم الدين المفتي، قُدم فيها بحثان:

١- ''فارس ليلة المعراج الخالدة'' للأستاذ عابدين رشيد، كاتب وداعية من مدينة كركوك.

٢- ''الشخصية المعنوية للنبي ﷺ في رسائل النور'' للأستاذ الدكتور حسن تانرفدي عميد كلية القانون بجامعة دجلة في مدينة دياربكر، تركيا.

الجلسة الثانية كانت برئاسة الدكتور إبراهيم أحمد السنكسري من أربيل، قُدم فيها بحثان:

١- ''نظرة جديدة لمصطلح الإعجاز في رسائل النور'' للدكتور عثمان غريب من جامعة صلاح الدين، أربيل.

٢- ''دلائل النبوة في رسائل النور'' لأستاذ الدكتور عبدالكريم اونالانا عميد كلية الإلهيات في جامعة دجلة، دياربكر.

والجلسة الثالثة كانت بعد صلاة الظهر وفترة الاستراحة وبرئاسة الدكتور زكريا عبد الرحمن من أربيل، قُدم فيها بحثان، هما:

١- ''أوصاف النبي في رسائل النور'' لطالب النور الشيخ عبدالرحمن اراز من مدينة قيصري، تركيا.

٢- ''مكانة السنة من خلال رسائل النور'' للدكتور صديق محمود الأوبري، من أربيل.

تلت هذه الجلسات مراسيم تقديم الهدايا التقديرية لبعض الباحثين من إقليم كردستان الذين كتبوا رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه حول رسائل النور.

وفي ختام تلك المراسيم ألقيتْ الكلمة الختامية، ونتائج وتوصيات الندوة، ثم دعاء الختام.

ومن الجدير بالذكر أن الندوة أديرت من قبل الدكتور فرهاد الشواني من جامعة صلاح الدين، أربيل.

* * *

٤- الندوة العالمية الثالثة لمترجمي رسائل النور

عقدت الندوة العالمية الثالثة لمترجمي رسائل النور بإسطنبول في ٧-٢٠١٥/١١/٩ في مجمّع مركز البحوث العلمية في أسكدار، إسطنبول ودامت الندوة ثلاثة أيام متوالية. واشترك فيها جميع المترجمين القادمين من أنحاء العالم، وأُلقيت كلمات قيمة حول الترجمة وأهميتها وضرورتها وما ينبغي مراعاته في ترجمة رسائل النور بالذات. ودامت المناقشات ساعات طوال.. وفي الختام قدم طلبة الأستاذ النورسي الأوائل هدايا تذكارية للمترجمين.

نورد هنا البحث الجامع الذي استمع إليه الحاضرون بدقة وعناية وهي كلمة الأستاذ فاروق رسول يحيى:

الترجَمَةُ الجيِّدة

معالم وخطوط أساسية

فاروق رسول يحيى[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:

مقدمة

ركزت في البحث على بيان بعض المعالم والخطوط الأساسية في عملية الترجَمة الناجحة والجيدة التي هي من ثمار جهود متواصلة قد تكون مضنية وشاقة، نقصِدُ بها تسهيلَ طريق المترجم الهادف وأخص منهم بالذكر المبتدئ، ليكون على وعي وبصيرة من أمره، مستثمرا معارفه وتجاربه الشخصية، فيتخذ من مجموعها خارطة طريق في عمله الذي نرجو الله سبحانه أن يوفقه فيه ويجزيه الجزاء الأوفى يوم تُعرَضُ الأعمال عليه جل جلاله.

ولا شك أننا لا نستهدف هنا عملية الترجمة بصورة عامة، بل قصدنا ترجمة (رسائل النور) بصورة خاصة. لأن البحث مقدّم في ندوة منعقدة بخصوص نشر رسائل النور في أنحاء المعمورة بلغات شعوبها.

والورقة المقدّمة نتيجة خبرة اشتغال طويل -قاربت خمسة وثلاثين عاما- متواصل بِمُدارَسَة رسائل النور وترجمتها بوصفه حقلا معرفيا مخصوصا، وكذلك من منطَلق نظري أفدناه من محاضراتنا المتعددة عن الترجمة من الناحية العلمية والفنية في دورات تدريبية خاصة بالكُتاب والمترجمين عقدتها بعضُ المراكز الثقافية والمعاهد التعليمية في بلدنا. فلا ندّعي معرفةً بالأمر خارجَ هذه التجارب وهذا التواصل.

نسأل الله سبحانه أن يوفقَنا في أعمالنا لما يحب ويرضى، وينورَ قلوبنا، ويتقبلَ منا جميع جهودنا في خدمة الإيمان والقرآن ورسائل النور، وينفعَنا به يوم لا ينفعُ مال ولا بنون إلا مَن أتى اللهَ بقلب سليم.

وقد عرضتُ البحث بعد هذه ''المقدمة'' في مبحثين:

الأول: الخطوات التي تسبق الترجمة.

الثاني: القيام بالترجمة عمليّاً.

المبحث الأول: الخطوات التي تسبق الترجمة.

لخّصتُ في هذا المبحث أهمّ الخطوات في مطلبين:

المطلب الأول: اختيارُ النص المراد ترجمته.

ونعني بالنص هنا ''رسالةً'' من رسائل النور، أو ''مقاطعَ متفرقةً'' مختارة منها. إذ لابد أن تسبقَ الترجمةَ اختيارُ وتعيينُ ما هي بحاجة إلى الترجمة واحدةً بعد أخرى، سواء من قبل المترجم، أو من قبل الهيئة التي تتولى الإشراف على الترجمة.

وتتحكمُ في هذا الاختيار بالدرجة الأولى حاجةُ الوقتية في البيئة التي تخاطبُها النصُّ المترجَم، حسب الأولويات الضرورية. فمن البيئات ما تحتاج -مثلاً- إلى ''رسائل الإخلاص والأخوة'' أولاً، ومنها ما تلبي حاجتَها ''رسالةُ الطبيعة''، مثلاً. وكذلك سائر الرسائل. وقد يقعُ الاختيار على مواضعَ متفرقةٍ من الرسائل لجمعِها في كتاب، تلبيةً لحاجة زمانية ومكانية معينة.

وقد يعود سبب الاختيار إلى قدرة المترجم وكفاءته، فمن المترجمين مَن بدأ حديثاً بالتعرف على الرسائل وترجمتها، فلابد له من أن يبدأ بما هو أسهلُ عليه فهماً وترجمةً.

على أن يكون هذا الاختيار -بصرف النظر عن الأسباب- في اللغات التي بدأتْ ترجمةُ الرسائل إليها حديثاً، وإلاّ فرسائل النور كلُّها تخاطبُ شعوبَ العالَم أجمع دون استثناء، ولأجل هذا نوصي بترجمة كليات رسائل النور إلى جميع اللغات.

المطلب الثاني: الاستعداد للترجمة من الناحية المعنوية.

يُعلم أنّ الأعمال الإيمانية ليست كغيرها من سائر الأعمال الدنيوية البحتة التي تتحكم فيها حسابات الربح والخسارة المادية، بل يتوجّه المرء فيها بكل كيانه إلى الله سبحانه وتعالى وإلى ما أعدّه لعباده في دار الخلد والجزاء.

وترجمة رسائل النور هي في جوهرها من الأعمال الإيمانية التي نحسبُها من التقرب إلى الله تعالى بأحسن القول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. فصلت:٣٣

ومن هذا المنطلق الإيماني، لابد للمترجِم الراجي فيما عند الله أن يستحضرَ قلبا، قبل الترجمة وأثناءها، الأمورَ الآتية:

أولاً: تصحيح النية وتنقيتها وجعل العمل خالصاً لوجه الله تعالى، دون الالتفات إلى ما قد يعود عليه في الدنيا ولا إلى مدح الناس أو قدحهم.

ثانياً: قصد الاشتراك في العمل الجماعي الذي ركّز عليه الأستاذ النورسي، رحمه الله. وذلك بمقتضى قاعدة تقسيم الأعمال، لينالَ المرء نصيبه من ثواب ما تقدمه الجماعة المعنوية من أعمال خالصة.

ثالثاً: استحضارُ ظروف تأليفِ رسائل النور ونشرِها، والدعاءُ للأستاذ النورسي وطلابِه الأوائل الذين ضحُّوا بما كانوا يملكون في هذا السبيل، وذلك ابتغاءَ مرضاة الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: القيام بالترجمة على طهر ووضوء.

خامساً: استنادُ المترجم إلى حول الله وقوته أثناء الترجمة بصورة كلية، واستشعار الضَّعف والعَجز اللذين جُبل عليهما الإنسان، كي يلتجئَ دوماً إلى الله، والإقرارُ بعجزه ين يديه سبحانه، مع إقرار تام بأنه إنسان عاجز لا علمَ له إلاّ ما علَّمه الله.

ولهذا الاستناد إلى الله في حوله وقوته والاعتماد عليه في علمه وقدرته فوائد جمة وعوائد كثيرة على المترجم لا تُحصى، منها:

١- الاستمداد من الله تعالى وانتظار ورود فيوضات جليلة من التوفيق الإلهي على العبد من حيث لا يحتسب، ففي بعض الأحيان يعجز المرء عن ترجمة فقرة أو موضوع ما إن اعتمد على قدرات نفسه وعلمه الجزئي، ولكن بهذا الاستناد إلى الله تعالى ينجز الترجمة بصورة مثلى أكثر مما كان يتوقعها.

٢- المترجِم لا يرى في عمله حسنة ينسبها إلى نفسه، بل يرى يقيناً أن حسناتِ الترجمة من الله سبحانه، وقصورَها من نفسه الأمارة، مما ينجيه من الغرور والعجب وملاحظة الذات، وهي أدواء معنوية من شأنها أن تمحق البركة وتزيل النعمة وتكون سبباً لعدم القبول، والحرمان من الثواب في النهاية.

المبحث الثاني: القيام بالترجمة عملياً.

اختصرت في هذا المبحث الخطوات الضرورية لعملية الترجمة الناجحة -حسب علمنا وتجربتنا- وعرضتها في مطلبين:

المطلب الأول: الاستعداد للترجمة والتهيؤ لها. كما يتضح في النقاط الآتية:

أولاً: الإلمام الجيد باللغة المترجَمِ منها، والقدرة على التعبير الجيد باللغة المترجَم إليها.

ثانياً: إذا كان بإمكان المترجِم أن يترجمَ مباشرةً من اللغة الأصلية فبها ونعمت، وإلا فليقلل من اللغات الوسيطة بين اللغة الأصلية واللغة المترجَم إليها.

ثالثاً: قراءة النص المراد ترجمته قراءة دقيقة لمرة واحدة على أقل تقدير، ومن الأفضل قراءته أكثر من مرة قبل الإقدام على الترجمة، ليستوعب المترجِم ما ينوي ترجمته ويكوّنَ عنه فكرة جيدة.

رابعاً: يستصحب أثناء هذه القراءة الواحدة أو القراءات المتعددة دفتراً يسجل فيه ملاحظاته كافة.. فقد تصادفُه فقرة يستعصي عليه فهمها، ليستفسر بشأنها ذوي الخبرة

والعارفين بالكتاب، أو يراجعَ المصادرَ التي تعينه في ذلك.. أو تبرزُ أمامه كلمات جديدةٌ عليه يحتاج إلى معرفة معانيها، فيستنجدُ في ذلك بالمعاجم اللغوية.. أو يرى في النص أساليبَ من الكناية والمجاز، فلابد له من أن يبحثَ عن مرادفاتِها في اللغة المترجَم إليها، وذلك في مظانها من كتب اللغة والبلاغة والأدب. أو تستوقفه أماكنُ متفرقةٌ في النص المترجَم منها تحتاج إلى إضافة هوامشَ من قبل المترجِم لإلقاء مزيد من الضوء عليها، سواء أكانت حول الأعلام أو الأماكن أو الأحداث أو المفاهيم.

يدوّن المترجِمُ كلَّ هذه الأمور في دفتر ملاحظاته ولْيكتبْ أرقامَ الصفحات إزاء كل ملاحظة، لتسهُل عليه مراجعة مواضعها في الكتاب.

خامساً: بعد هذه الخطوة، يبدأ بمراجعة دفتر ملاحظاته، فيُجيبُ عن كل نقطة غامضة أشار إليها مما ذكرناها أو من غيرها، ويكتب جميع ما توصّل إليه بشأن كل منها عند كلِّ ملاحظة، إلى أن يأتيَ على جميعها.

ويكون المترجِم في هذه المرحلة على استعداد تام للبدء بعملية الترجمة.

المطلب الثاني: القيام بالترجمة.

لابد للمترجم أثناء هذه العملية الفنية الدقيقة أن يراعيَ ما يأتي:

أولاً: يتجنبَ الترجمةَ بتصرف أو الترجمة المختصرة، إذ يعجزان عن الاستيعاب الجيّد لمفاهيمَ الرسائل. وأن يتجنبَ أيضاً الترجمةَ الحرفية التي هي ترجمةُ الكلمات واحدة بعد أخرى، والتي تشبه ترجمةَ النصوص من قبل أجهزة الحاسوب. لأن كلَّ لغة لها طريقة أداء خاصة بها قد تغايرُ طريقة الأداء فيما عداها من اللغات.

ثانياً: يختارَ مِن بين أنواع الترجَمةِ وطرُقها العديدة طريقةَ ترجمة المعاني والأفكار التي يحويها النص الأصلي، مع الأخذ بنظر الاعتبار دلالات الألفاظ ومفاهيم الجمل في النص المترجَم منها لكي يعطيَ أدق مفهوم صحيح عن النص الأصلي لقارئ الترجمة، بل يحاول قدر الإمكان إنجاز ترجمة سهلة ميسّرة لا تشعر القارئ بوجود شخص آخر بينه وبين المؤلف. وكلما نجحَ المترجم في هذا النوع من الترجمة كانت ترجمته أدقَّ وعملُه أقربَ إلى النجاح والصواب.

وتتلخصُ هذه الطريقة فيما يأتي:

يبدأ المترجِم باسم الله تعالى وبالتوكل عليه، كما ذكرنا، فيقرأ من البداية -مثلاً- فقرةً ذاتَ دلالةٍ موحّدة، أو مجموعةَ عبارات مترابطة، أو جملاً متعانقةَ المعاني، قد تبلغُ سطراً أو أكثر، فيحاولُ المترجِمُ فهمَها واستيعابها لنفسه أولاً بصورة جيدة، ولو

أدتْ به هذه العملية إلى إعادة القراءة مرتين أو مرات عديدة حتى يفهمَها جيداً.

وبعد أن يشعر المترجم في نفسه بأنه قد استوعبَ النصّ المحدد، فليسألْ نفسَه:

(لو عبَّرَ شخصُ المؤلف عن هذا المفهوم الذي وعيتُه، باللغة التي أترجِمُ إليها، ما الصيغة التي يعبرُ بها عنه)؟

وسيأتيه الجواب حتماً من نفسه بأنه: (كان يعبر عنه بكذا وكذا بهذه اللغة)...

إذن فليكتبْ هذا الجواب. فإذا به قد عبر عن تلك الفقرة المعينة، أو العبارات والجمل المترابطة في المعنى، باللغة التي يريد الترجمة إليها.

وعليه أن يراعيَ في ذلك خصوصياتِ كلٍّ من اللغتين، فقد يأتي الفعل في لغة ما بعد الفاعل مثلاً، ولكنه في اللغة الأخرى يسبق الفاعل. وهلم جراً...

ثم ليُعدِ النظرَ فيما ترجَم وليقارنْه بالنص الأصلي، ليقفَ على ما قد تكون زيادة لا تُجدي فيحذفَها، أو على شيء فاته التعبيرُ عنه فيضيفَه إليه.

وليمضِ المترجِمُ على هذا المنوال في جميع الفقرات والعبارات والجمل، إلى أن يترجمَ النصَّ بكامله.

ثالثاً: بعد إكمال ترجمة الرسالة كلِّها بهذه الطريقة، يبدأ المترجِمُ -نفسُه- بمراجعتها ومقارنتها بالنص المترجَم منه من البداية إلى النهاية. فإذا كانت مسَوَّدةُ الترجمة مكتوبة على الورق -أي على غير جهاز الحاسوب- فليصحبْ معه في هذه المراجعة قلماً ذا لون مخالف للون الذي كتب به المسوّدة. ليعدِّلَ ويحذفَ ويضيفَ ويكتب الهوامش بهذا القلم في هذه المراجعة حسب الحاجة وبما يجعل ترجمته أدق وأقرب إلى النص الأصلي.

رابعاً: تبييضُ المسَوَّدة على الحاسوب بصورة جيدة بعيدة عن الأخطاء المطبعية والإملائية قدر الإمكان، ثم مراجعة هذه المبيَّضة من قبل المترجم لتصحيح ما قد يحتاج إلى تصحيح.

خامساً: المراجعة اللغوية من حيث سبكُ الجمل والعبارات وتخيُّرُ الكلمات والتقيدُ بالقواعد اللغوية والاهتمام بالنواحي البلاغية والأدبية قدر الإمكان وبما يناسب فحوى النص. ولابد أن تكون هذه المراجعة من قبل شخصٍ آخَرَ غيرِ المترجِم ملمٍّ بهذه الأمور أو من قبل هيئة خبيرة.

سادساً: مقارنة دقيقة للنص المترجَم بالنص الأصلي في اللغة التي كتب بها الأستاذ

بديع الزمان ذلك النص، سواء كانت اللغة تركية أم عربية، وذلك من قبل شخص أو أشخاص ملمين باللغتين. لكي تطابق الترجمة تماماً مع معاني النص الأصلي.

سابعاً: المراجعةُ المتكرِّرة للترجَمة وتصحيحُها وتقويمُها وتهذيبُها بقدر الطاقة قبل الطبع والنشر. وكذلك قبل الطبعات المقبلة أيضاً للاستدراك على ما فات المترجمَ من أمور.

ثامناً: استقبالُ النقدِ النزيه والملاحظاتِ الإيجابية البنّاءة من قِبل القرّاء، بغيةَ الاستفادة منها في الطبعات اللاحقة.

خاتمة

عرضت في هذه الورقة معالم وخطوط أساسية لترجمة رسائل النور إلى اللغات الأخرى، أحببت أن أضعها بين يدي إخواني وأخواتي مترجمي هذه الرسائل، لعل فيها ما ينفعهم في عملهم. ولا أدعي لها الكمال، بل أرجو أن ترتقى نحو الكمال المقدر لها بإضافة ملاحظات السادة المترجمين الآخرين وتجاربهم في هذا الحقل المعرفي المخصوص وهذا المجال الدعوي المبارك.

* * *

الهوامش:

[1] **فاروق رسول يحيى** مترجم كليات رسائل النور إلى اللغة الكردية – اللهجة السورانية. العراق – إقليم كردستان.

٥- إعلان عن انعقاد المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي: "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل (مقاربة رسائل النور)"

٢-٤ أكتوبر لعام ٢٠١٦ في إسطنبول

يواجه إنسان اليوم في جميع أنحاء العالم، مشاكل مادية ومعنوية؛ الجوع، والفقر، والظلم الاجتماعي، والحرب والهجرة والفوضى والإرهاب والعنف بجانب طواهر سلبية كالتلوث البيئي والاحتباس الحراري وغيرها. وللأسف هي في تزايد مستمر يوما بعد يوم. ولم يتيسر لحد الآن إيجاد حلول دائمة لها على الرغم من بذل جهود واسعة.

فكيف إذن ستتحقق سعادة البشرية الدنيوية والأخروية؟ وكيف يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل تخفيفها؟ وهل يمكن -ماديا ومعنويا- القيام بالإصلاح من دون هدم، والبناء من دون تدمير؟ وهل يمكن التوصل إلى حل جذري لهذه المشاكل؟ إذ إننا أحوج ما نكون من أي وقت مضى إلى إجابات لهذه الأسئلة وما شابهها.

إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي ومؤلَّفه "كليات رسائل النور" مصدر مهم لمحاولة البحث عن إجابات شافية لهذه الأسئلة والمشاكل. وذلك لأن حل المشاكل فردية كانت أواجتماعية أوعالمية مرهون بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة. وبديع الزمان سعيد النورسي قد وفّى حق سلوك الإنسان في نظرته للكون والحياة بعبارة أصيلة هي "العمل الإيجابي". فالعمل الإيجابي نهج مهم للحياة والنظر إلى الكون؛ لذا ينبغي أن يطرح للمناقشة الجادة بأساساته المستندة على الوحي، وبتطبيقاته وممارساته في الحياة، لإيجاد حلول دائمة للمشكلات التي تواجهنا.

ولأجل سعادة المسلمين خاصة والإنسانية عامة؛ الدنيوية والأخروية، فإن نهج النظر في رسائل النور جدير بالمناقشة والذي نرجو أن يتحقق في المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي: دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل "مقاربة رسائل النور" الذي سينعقد في ٢-٤ أكتوبر ٢٠١٦ في إسطنبول؛ بإذن الله. ونأمل أن يسهم في هذا المؤتمر كوكبة من الشرائح الفكرية والعلمية المتنوعة؛ في اللغات والثقافات والبلدان والأديان والمؤسسات والأنظمة، وذلك وفق **المحاور المدرجة** أدناه:

١. العمل الإيجابي من حيث المصطلح والجانب النظري:

- تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه.
- نظرة أنثولوجية: الإيمان، التوحيد، الآخرة.
- مفاهيم ذات علاقة؛ الأخوة، المحبة، الشفقة، الصبر، التساند، الحفاظ على الأمن العام، التمذهب، التوكل، عدم تصوير الباطل، الاتفاق، البناء.
- مفاهيم مخالفة؛ الفتنة، الغيبة، العداء، الحقد، الحسد، العناد، مرض النقد، اليأس، الانحياز.
- العدالة المحضة والعدالة الإضافية.
- نطاق المصطلح وشموليته.

٢. العمل الإيجابي من حيث العلوم الإسلامية:

القران الكريم / السنة النبوية / الفقه / علم الكلام / تطبيقاته في التاريخ الإسلامي

٣. العمل الإيجابي من حيث العلوم عامة:

الفلسفة / علم الاجتماع / الاقتصاد / السياسة / الأخلاق / التعليم / علم النفس

٤. علاقة العمل الإيجابي بالقضايا الراهنة والعالمية:

العنصرية / الإرهاب والعنف / التلوث البيئي وتغير المناخ / تفاوت الدخل / الإفراط في الاستهلاك / التهالك على حطام الدنيا / إخلال حقوق الإنسان / الحداثة من حيث نتائجها: الأنانية، العبثية، السادية... / حل المشاكل في التعايش في عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات. / جذور الحرية وعلاقتها بحرية الإنسان الإيجابية (ضمن الحقوق والحريات الأساسية). / الأمراض الستة (اليأس، الكذب، محبة العداوة، الاختلاف، الاستبداد، المنافع الشخصية).

٥. العمل الإيجابي في الممارسة العملية

تحمل الاختلافات / فن التعايش معا / حرية التعبير والعقيدة / البحث عن الحق والحقوق / نهج العمل الإسلامي / الصلح والتسامح / مفهوم الجهاد.

٦. دراسات مقارنة:

الديانات الأخرى / التيارات الفلسفية / العصيان المدني / مقاربات مشابهة / مقاربات مختلفة.

ملاحظات مهمة:

١. موعد إقامة المؤتمر٢–٤ في أكتوبر لعام ٢٠١٦

٢. الجدول الزمني لوصول البحوث إلى سكرتارية المؤتمر كالاتي:

أ. **ملخصات البحوث** لا تتجاوز ٢٥٠ كلمة. وآخر موعد لوصولها إلى السكرتارية **٢٨ فبراير ٢٠١٦** www.musbethareket2016.com وتلحق بالملخصات **السيرة الذاتية** للباحث على صورة فقرات لا تتجاوز ٢٠٠ كلمة. مع ذكره للبريد الالكتروني.

وسيتم الإعلان عن الملخصات المقبولة في ٢٥ مارس ٢٠١٦.

ب. النص الكامل للبحوث لا يتجاوز ١٥ صفحة ويصل إلى لجنة التحكيم للتقويم في موعد أقصاه **٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٦** بالموقع:

www.musbethareket2016.com

ج. وسيتم الإبلاغ عن البحوث المقبولة للعرض في المؤتمر في ٣١ يوليو/تموز ٢٠١٦.

٣. تكتب البحوث في ضوء كليات رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي. وتهمل كليا البحوث التي لا توافق المحاور وأهداف المؤتمر الأساسية.

٤. إن ما يحتاج إليه الباحث حول رسائل النور من معلومات أو مصادر يمكنه مراجعة الموقع في الانترنيت:

www.iikv.org/academy, www.musbethareket2016.com

وسكرتارية المؤتمر مستعدة للتعاون مع أي استفسار يردها.

٥. لغة المؤتمر بالتركية والإنجليزية والعربية بالترجمة الفورية.

٦. سيتم توفير السكن للباحثين المقبولة بحوثهم والتذكرة حسب المستطاع.

الاتصال:

İstanbul İlim ve Kültür Vakfı,
Kalenderhane Mh. Cüce Çeşmesi Sk. No: 6
Vefa / Fatih / Istanbul
Tel: +90 212 527 81 81
Fax: +90 212 527 80 80
E-mail: musbethareket2016@iikv.org

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: ..... ٢٠ ليرة تركية

الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: ..... ١٥ دولار أمريكي

الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ..... ٣٠ دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بايارا kerimbaybara@gmail.com

شركة سوزلر للنشر

٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع

مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية

تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

- Prof. Dr. 'Imaduddin Khalil: Nursi and the Aesthetic Dimensions of the Qur'an's Literary Styles 8
- Emeritus Prof. Dr. Hasan Khalid Mustafa Mahmud al-Mufti: The Role of the Tolerant Islamic Shari'a in Establishing International Security 33

Dossier:

- Ihsan Qasim al-Salihi: The Role of the Risale-i Nur in Remoulding Humanity in Accordance with the Qur'an 61
- Prof. Dr. Faruq Hammada: The Human Being in the Risale-i Nur in Respect of His Existence, Significance, and Purpose 77
- Şükran Vahide: Bediuzzaman's Works as a Model For Presenting Islam to the West .. 95
- Prof. Dr. Adam Tatli: Education Systems in the Light of the Risale-i Nur 111
- Prof. Dr. Sener Dilek: Approach, Method and Purpose of the Risale-i Nur 129

Interviews, Publications and Conferences

- Interview with Prof. Faruq Rasul Yahya 165
- **Publications:**

  A reading of the book: Said Nursi's Interpretation in the Risale-i Nur of the Qur'anic Method of Deduction 175
- **Conferences and Study Circles:**

  1. Conferences in Malaysia and Indonesia 178
  2. Conferences in South America 179
  3. Conference in Arbil on the Risale-i Nur. 180
  4. Fourth International Conference for Translators of the Risale-i Nur 182
  5. Announcement of the Eleventh International Symposium on Bediuzzaman Said Nursi 189
- Information about publication of articles and papers in the Journal, al-Nur 192
- Annual subscriptions / Contents 193

– Only papers conforming to academic standards will be considered for publication